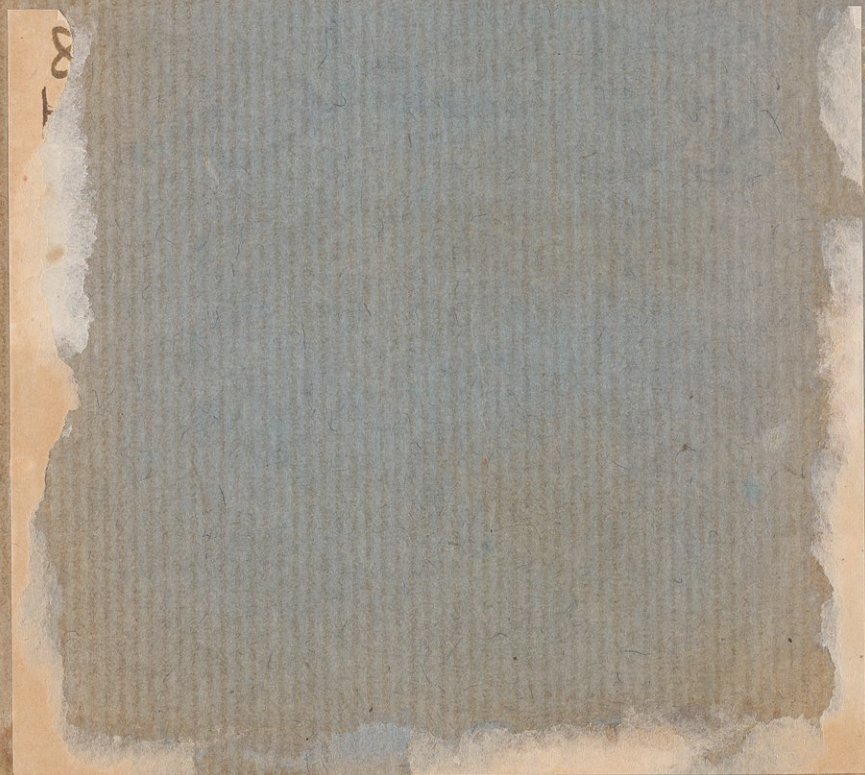






محمد عبد الغني حسنين

808

Ha 381 bA

c. 1

آية حب وتقدير
لمحمد المزيب الغراء
من الزمر
١٩٥٠/٤
الفقرة

بين السطو

cat. 7 Dec: 53

دار الفكر العربي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

يشتمل هذا الكتاب على نظرات نقدية لطائفة من الكتب أخرجتها المطبعة العربية في بضع السنوات الماضية . وهو نقد كان الحق والإنصاف دائماً أكبر دوافعه . وكانت الغيرة على التحقيق العلمي والنشر الدقيق أول بواعثه . وقد أطلت النقد في تحقيق المخطوطات المنشورة وتبعت من المآخذ ما قد يظنه القارئ العادي عملاً لا غناء فيه . ولسكني أرجو أن يجد الأديب المتمكن في هذا العمل حرصاً على التراث العربي أن يخرج على غير ما أراد له أصحابه المؤلفون الذين قرحوا جفونهم وسهدوا عيونهم في إخراجه . فلا محل بعد هذا لأن يخرج الشعر مكسوراً ، أو النص محرفاً ، أو اللفظ مشوهاً ، ثم يزعم بعد ذلك أننا نحى تراثاً ، أو ننشر ميراثاً .

ويخطئ الذين يهونون من قدر التصحيح العلمي واللغوي والتاريخي والشعري في المخطوطات المنشورة أو الكتب التي تزدهم بالنصوص ؛ فإن الاستهانة في هذا السبيل ليست من مصلحة الكتاب العربي ، الذي نرجو له أن يبلغ من الدقة والتحقيق ما بلغه الكتاب غير العربي . ولا أعاد الله أيام الناشرين الأولين الذين كانوا يتجرون بالتراث العربي فأخرجوه على وجه سقيم ، لا ينفع علماً ولا يفيد فهماً .

على أن الروح التي نقدت بها هذه الكتب في هذا الكتاب ، هي
الروح التي أكبرت بها هؤلاء الأساتذة الأجلاء على معاناة التأليف ومعاناة
النشر ، فإن فضلهم وصبرهم وعلمهم أجل من أن تنقص منه هذه النقداً
أو تؤثر فيه هذه الصفحات .

وما دام القصد جميلاً ، والغرض نبيلًا ، فإنني سعيد بأن أهدي هذا
الكتاب إلى حضرات الأساتذة أصحاب الكتب المنقودة فهو منهم وإليهم .
وبالله التوفيق .

محمد عبد الغنى حسن

القاهرة { ربيع الأول سنة ١٣٦٩
يناير سنة ١٩٥٠

تاريخ النقائض في الشعر العربي (*)

قد يكون الأستاذ أحمد الشايب على كثير من الحق حين يقول إن
خول الأمويين امتازوا في تمثيل فن النقائض تمثيلاً واضحاً . ولكنه ليس
على الحق حينما يقول إن الناس خيل إليهم أن الأمويين هم مبتدعو هذا
الفن وهم أربابه الأولون .

فإن الناس لم يخيل إليهم ذلك ولم يقولوه ، ولكن الناس يعلمون حق
العلم أن الشعر الجاهلي كان فيه مفاخرة ومنافرة وهجاء ، وأن هذه كلها معرض
فسيح لكي ينقض القائل على القائل ما قال . والناس يعلمون فوق ذلك أن
نقائض العصر الأموي هي مظهر كامل للنقائض ، وأنها لم تكن إلا الغاية
التي بلغها هجاء الجاهلية يوم أن كان الهجاء يبدأ بين الزجل والرجل أو بين القبيلة
والقبيلة ، فيرده الرادوينكره المنكر على أبسط صورة من صور المناقضة .
فالأستاذ الشايب حين يلبس ثوب الدفاع عن قضية النقائض في العصر
الجاهلي إنما يدافع عن قضية رابحة لا تحتاج إلى دفاع ، لأنه لا محل فيها
للخصام والنزاع .

أما تتبع نقائض العصر الأموي وردها إلى مكانها الأول في الجاهلية
ودراسة خصائصها فيما بين ذلك فعمل نرحب به من المؤلف الفاضل
لجده من ناحية ، وللمقدرة الأستاذ على معالجته من ناحية أخرى .
ولو وقف البحث عند نقائض الأمويين لكان الأمر ، فمناقضات جرير
والفرزدق والأخطل — وهم خول الأمويين — مجموعة في كتابين أو
ثلاثة . فليس عسيراً أن يستدل عليها ويرجع إليها . . ولكن مناقضات

العصر الجاهلي مبعثرة في كثير من كتب التاريخ والأدب ، وليس سهلاً أن تقع عليها العيون أو تدركها في مظانها الظنون . ومن هنا كان كتاب الأستاذ الشايب عملاً بدا فيه من الجهد المبذول والسعي الموصول ما تشكر معه النتيجة وتحمد فيه الخاتمة .

وقد لون العصر الأموي الشعر العربي بألوان قوية في السياسة ، والمناقضة ، والغزل ، حتى أصبح بهن متميزاً . وهي لوحة لم تجتمع لعصر من عصور هذه الأمة . فكانت تلك الألوان خليقة بالدرس جديرة بالبحث . ولقد لفقت هذه اللوحة الأستاذ الشايب فألقى بين عينيه العزم على دراستها . وأخرج في الشعر السياسي كتابه وهو قيم في موضوعه ، ثم أخرج اليوم كتابه في النقائض ، وترك الغزل الأموي لأحد طلابه في الجامعة يدرسه تحت إشرافه .

ولا أدري بالطبع لماذا أثر الأستاذ الشايب النقائض على الغزل ، وهو بالطبع حر فيما يختار من فنون الشعر ، ولكنني لو كنته — أو كنت منه — مارضيت أن أعنى النفس بشعر فيه من سلاطة اللسان وصناعة الهجاء ما لا تود العين أن تقع عليه ولا تحب الأذن أن تسمعه . ولكن ليس ذنب الناقد حين يفتش عن العيوب ويبحث عن الذنوب بأكبر من ذنب « الفنان » حين ينقل صورة من الحياة بخيرها وشرها . فلا يقول الناس له : لماذا نقلت الشر ؟ فلا عتب إذن على دراسة النقائض ، لأنها تصور فناً وتوضح لوناً . وتدرس عداوات قامت على أسباب بين التفاهة والجد . وتدرس غارات وأياماً في الجاهلية ، وعوامل وبواعث في عصر بني أمية .

والمؤلف نفسه يعترف بأن نقائض العصر الأموي انحطت إلى درجة الإسفاف الخلقى . وما كان أشق المهمة عليه وهو يستشهد بالآيات من الشعر فينقط مواطن الفحش فيبدو الشعر شيئاً عجيباً : لاهو بالكامل فيظهر على عيبه ، ولا هو بالمحذوف كله فيراح النظر والسمع والقلب من ريبه .

ولكن الأستاذ لم يعمل لنا إخفاش النقائض في عصر بني أمية ، وهو عصر تأدب الناس فيه بأدب الإسلام ، ولم يعمل لنا رعاية شعراء الجاهلية للحرمان وبعدهم عن ذكر العورات ، وهو عصر لم يظله دستور القرآن ولا مبادئ الإيمان^(١) .

ودراسة النقائض منذ نشأتها في الجاهلية إلى اكتمالها في عصر بني أمية ليست عملاً سهلاً أو مطلباً هيناً . فإن متابعة النصوص الجاهلية المبعثرة ودراستها واستخراج الخصائص منها ، وتتبع الأيام بين عدنان وقحطان من جهة ، وفي كل من البيتين الكبيرين من جهة أخرى ، ودراسة الأنساب العربية وصلتها بالعصبيات القبلية ، ودراسة الحياة الاجتماعية ، كل أولئك يحتاج إلى معاناة ومراجعة ومعاودة ، وتيقظ للأحداث وتنبيه لليزات ، وملازمة للفكرة حتى تبقى سلسلة البحث موصولة غير مقطوعة ، وتلك صفات يشهد الكتاب على أن مؤلفه لا يحتاج إلى صفة الواصف ومعرفة العارف .

ولقد أنصف الأستاذ الشايب النصفه كلها حين جعل فترة المخضرمين عصرًا مستقلاً من عصور النقائض . والحق أنها كانت — كما قال في صفحة ١١٦ — امتداداً للنقائض الجاهلية من حيث أصولها الفنية . ولكنه لم يغفل مع ذلك ملاحظة ما أصابها من التغيير من حيث الموضوع والمعاني

الإسلامية الجديدة ، والأساليب التي لاحظت هو اضطرابها ، والغاية التي كانت في سبيل الإسلام . ولقد وفي الأستاذ تلك الفترة من تاريخ العرب ، فتتبع النقائص الإسلامية الأولى منذ نشأتها في ظل الغزوات . وهنا عرض بعض مآله عبد الله بن الزبير وما ناقضه به حسان بن ثابت . والحق أن حسان كان واقفاً بالمرصاد لكل شاعر من شعراء الشرك ، فقد ناقض كعب ابن الأشرف اليهودي ، وناقض أبا سفيان ، وناقض ابن أبي وهب الخزومي ، وغيرهم . على أن حسان لم يكن مناقضاً في كثرة شعره ، فقد كان بادئاً في بعض المواقف وشعراء الشرك هم الذين يناقضونه .

أما إشارة المؤلف الفاضل إلى أساليب المناقضة في القرآن ، فهي على إيجازها توجيه لمن يريدون التوسع في بحث هذا الموضوع ، وما كنت أرجو أن يسمى أسلوب الجدل في القرآن «مناقضة» حتى لا يظن ظان — ساء نية أم صح — أن نقائص العصر الإسلامي والأموي هي أثر من آثار الجدل في القرآن^(١) .

بقي أن أقول : إن كتاب «تاريخ النقائص في الشعر العربي» لم يكشف أن يكون بحثاً في النقائص ونشأتها ، ولكنه جمع إلى ذلك ديواناً حافلاً من أشعار المناقضات في العصور الثلاثة التي تناولها الأستاذ المؤلف . وإذا كان حظ الشعراء سيئاً حين تظلم الأيام أقدارهم وتضعهم في غير مواضعهم فليس حتماً أن تظلم أشعارهم كذلك ؛ فتروى محرقة أو مشوهة أو مبتورة أو مكسورة . كأنهم الكاتب حين يكتب أن ينقل الشعر حيثما اتفق . . . وأنا لا أعرف عن الأستاذ الشايب أنه يعنى بتضخيم الكتاب بالشعر أكثر مما يعنى بتصحيحه وتنقيحه .

ولقد مضى الزمن الذى كان فيه نشر الكتب فى أيدي الجاهلين الطامعين فى الربح من أخف الطرق مؤونة . ولا أدري والله أألوم الأستاذ الشايب أم ألوم الناشر حين ازدحم هذا الكتاب الجليل بأخطاء ما كان ينبغي لها أن تكون .

وإذا جاز ذلك فى قصة أو مقال عابر أو فى لغو الكلام الذى نقرؤه هذه الأيام ، فهل يجوز فى كتاب جامعى وبحث رفيع أدبى سيظل بثثه وشعره مرجعاً للأديب يستشهد منه بالبيت والآيات ، ويرجع إليه عند اختلاف الروايات ؟ ، فى صفحة ٢٥ هذا البيت :

يسأله الصبر من غسان إذ حضروا

كيف قراك الغلبة الجش

والشطر الثانى ناقص وتكلمته « والحزن كيف قراك الغلبة الجش » .

والصبر والحزن : قبيلتان . وفى ص ٤٢ هذا البيت لامرئ القيس :

يحملنا والأسل النواهلا مستشفرات بالخصى جوافلا

وصوابه « يحملننا » بنونين نون الإناث وضمير « نا » . ونون الإناث تعود على الخيل . الضوامر فى البيت قبله . وفى ص ٦٣ من شعر امرئ القيس :

فأيقظننا يأكلن فينا عفرا نطعمها قدأ ومحروث الخال

وصوابه « قايظننا » أى أقمن وقت القيظ . وفى ص ٦٩ من شعر حسان :

أو تدع فى الأوس دعوة هرباً

وصوابه « أو ندع » من الفعل دعا وهو مجزوم هنا بحذف حرف العلة .

وبعد ذلك بثلاثة أبيات :

نقتلهم والسيوف تأخذهم أخذاً عنيفاً وأنتم كشف

وضبط الفعل «نقتلهم» بالتشديد وإن أفاد المبالغة يكسر البيت ،
لأن القصيدة من بحر المنسرح ووزنه : « مستفعلن مستفعلن ،
والصواب «نقتلهم» بغير تشديد . وفي ص ١٠٦ :

ساق الرفيديات من جَوشٍ ومن عظم

وماش من رهط ربي وحجار

وصوابه « ساق الرفيدات » لا الرفيديات لئلا ينكسر البيت من جهة ،
ويغير اسم القبيلة من جهة أخرى . وقد ورد اللفظ صحيحاً في الهامش .
وفي ص ١٣ من شعر يزيد بن الطثيرة :

على هدايا البدن إن ألقها وإن لم يكن إلا فديك يسوقها

وفي الشطر الأول نقص وكاله : « على هدايا البدن إن لم ألقها »

وبعد ذلك هذا البيت :

يحصنها مني فديك سفاهة

وقد ذهبت فيها الكياسُ وحقها

و « الكياس » خطأ ، وصوابه « الكباس » بضم الكاف وبالباء التحتية
الموحدة . وبعده هذا البيت :

تذيقونها شيئاً من النار كلها رأت من بني كعب غلاماً يرقها

وكلمة « يرقها » من أخطاء الطبع ، وصوابها « يروقها » أى يعجبها .

وفي ص ٢٠ من شعر أميمة صاحبة عبد الله بن الدمينية :

فلو أن قولاً يكلم الجسم قد بدا بجمس من قول الوشاة كلوم

وصواب الشطر الثانى « بجمسى من قول الوشاة كلوم » وهو من أخطاء الطبع .

وفي ص ١٤٧ من أرجوزة لكعب بن مالك :

قد علمت خبير أني كعب مفرج الغمسي جرى صلب
إذا شبت الحرب تلتها الحرب معي حسام كالعقيق عضب
وصواب البيت الثاني « إن شبت الحرب تلتها الحرب » فإن البيت
مكسور مع إذا الشرطية . وفي ص ١٥٠ من شعر عباس بن مرداس :

إني والسواج يوم جمع وما يتلو الرسول من الكتاب
وصوابه : « وإني والسواج يوم جمع ،

ولن أمضي في سبيل الحصر ، فهي طريق قد تطول جد الطول بناقد
الكتاب العربي في جملة . وسيصبر الشعر العربي قليلاً كما صبر كثير آ . حتى
يتيح له الله من يقيم وزنه رواية وضبطاً وتصحيحاً وتقديراً . ولعل الجامعة
فاعلة ذلك إن شاء الله فيما يخرج أساتذتها من كتب .

الفن ومذاهبه في النثر العربي (*)

قصة النثر العربي وتطوره هي قصة ميراث قديم أسلمه القدماء إلى المحدثين ، فتقلب عليه في خلال العصور أمور ما يتقلب على كل ميراث أسلمه صاحبه . ولم يكن جائزاً في العقل أن يبقى هذا الميراث على حاله ، وقد ألقى به في وسط تيارات من ثقافات جديدة وبيئات جديدة .

ولم يقصد مؤلف الكتاب أن يتناول النثر العربي من حيث موضوعاته التي يعالجها من خطب وأمثال ورسائل وتاريخ وفلسفة وقصص وتأليف ، ولكنه تناوله من حيث هو فن وصناعة ، وتتبعه منذ كان في البداية معبراً عن رغبات أهلها وحاجاتهم وضرورات حياتهم ، إلى أن خرج من الصحراء ليستقبل حياة جديدة ، بدأت تتحضر نوعاً من الحضارة ، ثم أخذت تتعرض لألوان من الترف ، ثم أخذت تتعقد شيئاً فشيئاً . فلم يقف النثر العربي جامداً إزاء هذه التغيرات والانتقالات ، ولكنه استجاب لها وطاوعها وتلون بألوانها التي لم يكن له مفر من أن يصطبغ بها . ولقد قامت صناعة النثر العربي في خلال خمسة عشر قرناً من تاريخ هذه الأمة العربية على ثلاثة مذاهب من الفن لم يجد المؤلف لها رابعا . . وهي مذاهب وضع المؤلف لها أسماءها وحدد لها حدودها وساق الأمثال عليها ، حتى ليقنعك معه آخر الأمر بما ذهب إليه من هذه المذاهب ، ثم لا تجد نفسك مستطيعاً أن تخالف عن أصول مذاهبه ، لأن الطريقة التي انتهجها هي خير ما يسلكه الباحث حين يبحث ، ومؤرخ الأدب حين يؤرخ . والمذاهب التي وضعها المؤلف للنثر العربي هي الصناعة ، والتصنيع ،

والتصنع . وهى أسماء قد تبدو فيها الغرابة أول الأمر ، لأن فيها غرابة الجديد ، ولأن اتحادها فى أصل الاشتقاق واختلاف كل منها فى مسماه قد يضيف إلى هذه الغرابة شيئاً ، ولكنها تسمية على كل حال فيها كثير من التوفيق ومن التأنيق الذى يبدو فى أسلوب المؤلف ، وفيها فوق ذلك كثير من الجهد الذى بذله بين أسفار من الأدب والتاريخ واللغة والتراجم . ومذاهب النثر التى فسر بها المؤلف صناعته هى مذاهب الشعر التى فسر بها فى كتابه الأول : « الفن ومذاهبه فى الشعر العربى » فقد قام النثر العربى أول الأمر على صورة فنية لا تأنق فيها ولا تعقيد ، حتى انتهت إلى عبد الحميد الكاتب فى العصر الأموى وإلى ابن المقفع وسهل بن هرون والجاحظ وأضرابهم فى العصر العباسى ، فضلت على صورتها الفنية الأولى بعيدة من التأنيق ، وإن كانت شاركت فى حضارة جديدة واتصلت بثقافات جديدة ، وهذه الصورة النثرية الفنية غير المتأنقة وغير المعقدة هى مذهب الصنعة الذى امتد من العصر الجاهلى إلى أواخر القرن الثالث . وفى مطلع القرن الرابع الهجرى مهدت الحضارة العباسية لمذهب التصنيع . وهو مذهب يقوم على السجع والترصيع بطرائف البديع . ويرى المؤلف أن التصنيع فى حياة العباسيين الاجتماعية قد تسرب إلى الحياة الأدبية ، لأن الأدب تعبير عن العصر الذى يعيش فيه . ومن أنصار هذا المذهب ابن العميد والصاحب بن عباد وأبو إسحاق الصائى والخوارزمى وبديع الزمان الهمداني . والأخيران مهذا بمغالاتهما لمذهب التصنيع الذى بدا واضحاً عند قابوس بن وشمكير ، وتمت صورته عند أبى العلام المعرى . وهى صورة تقوم على التعقيد الشديد الذى أدى إلى الإبهام والغموض فى التعبير .

وذهب المؤلف يتعقب، النثر العربي في الأندلس ومصر، ويتتبع نشأته وتطوره ومناهجه وبعض أساتذته، فوجد أن هذه الأوطان الجديدة لم تستحدث شيئاً جديداً، وأن الفن النثرى أو النثر الفنى بها كان على صورته فى أصول المذاهب الثلاثة، وأن هذا التقليد لم يمنع من ظهور أدب قومى فى هذين الإقليمين، ولكنه كان أدباً محدوداً بإطار المذاهب الشرقية الموضوعة.

هذا عرض سريع لفكرة « الفن ومذاهبه فى النثر العربى ». وهو عرض لا يغنى عن قراءة الكتاب شيئاً، لأن الفكرة المركزية لا تهمنا بقدر ما تهمنا طريقة عرضها وسبيل معالجتها. وهى سبيل مهدها المؤلف واذل شعابها حتى استوت مسالكها، فأصبح القارئ يمشى من كتابه فى جدد يأمن معه العثار.

ومنهج التعليل شائع فى الكتاب، وهو تعليل لا يبنيه المؤلف دائماً على القطع واليقين، حتى لا تكون أحكامه « عرفية » فى الأدب، وما أثقل الأحكام العرفية فى كل ألوان الحياة. ولكنه يبنيه على الاحتمال حين لا يكون الدليل بين يديه قاطعاً.

فتراه يعلل لشدة التعقيد عند أبى العلاء المعرى باحتمالات، أحدها فراغه الطويل الذى قضاه بعيداً عن الناس، وربما كان لضيقه بالحياة وتبرمه بها أثر فى هذا التعقيد، وربما كان فقد بصره جعله يطلب التفوق على معاصريه عن طريق تعقيد فنه تعقيداً لم يكن يستطيعه إلا صانع ماهر^(١) وهذا التحليل والتعليل عند المؤلف يسوقنا إلى الحديث عن قدرته على

الموازنة الصحيحة بين عصر وعصر ، وكاتب وكاتب ، وبين بيئة وبيئة . وهي قدرة لا تتاح لكل ناقد لأنها تستلزم من الإحاطة بالتاريخ والتقاسيم الأرضية والظروف المحلية وإدراك الخصائص والفوارق قدرا كبيرا . وهو قدر هياه المؤلف اطلاع كثير على التاريخ الأدبي والسياسي للأمة العربية .

ومن هذه الموازنات الصحيحة موازنته بين عصر ملوك الطوائف في الأندلس والعصر العباسي في القرن الرابع الهجري حين انقسمت الدولة العباسية إلى دويلات صغيرة ، فتعددت مراكز النشاط الأدبي تبعاً لذلك ، وهو تعدد مكن لنهضة أدبية رائعة ، فقد كانت المنافسة بين الأمراء باعثاً على تشجيعهم للأدباء والكتّاب^(١) .

أما قضية النثر الجاهلي فقد تلقاها المؤلف بشيء من الاحتراس ، لأنها كتبت في عصر متأخر كثيراً عن العصر الجاهلي ، والمعقول أن يكون الرواة جمعوا بعض قطع من الخطب الجاهلية ، وخاصة تلك التي اعتمدت على السجع ، ثم زاد فيها العباسيون فيما بعد ، وخاصة (صاحب الأمل) فإنه لا يصح الاستدلال بشيء مما رواه في كتابه عن العصر الجاهلي وما كان فيه من نثر وخطابة^(٢) . وهذا كلام شبيه بكلام الدكتور طه حسين بك : « وكل ما يمكننا أن نستخلص من هذا النثر الذي يضاف إلى الجاهليين إنما هو شيء واحد ، وهو أن من الممكن أن يكون هذا النثر قد حاول قليلاً أو كثيراً تقليد ما كان للعرب في جاهليتهم من نثر ، لحفظ لنا صورة ما من هذا النثر الجاهلي دون أن أن يحفظ لنا نصاً من نصوصه »^(٣) .

وفي الكتاب محاسن كثيرة فوق ما ذكرت ، وقد يطول بنا السبيل إلى

(١) الكتاب المنقود ص ١٦٦ (٢) الكتاب المنقود ص ١٢

(٣) في الأدب الجاهلي . لطف حسين . ص ٣٧٢

بيان مواضعها في موطن يقتضى الحكم على الكتاب إما للمؤلف وإما عليه .
على أن في الكتاب فوق ذلك بعض مآخذ تشفع لها حسنات غزار ، وهى
مآخذ سأقسمها إلى أقسام ، تنظيمها لمنهج النقد وهى (١) مآخذ ومراجعات
عامة (٢) مآخذ فى اللغة والضبط والرواية (٣) مآخذ من حيث
أسلوب الكتاب .

١ — المآخذ العامة

فى صفحات ٨١ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ٨٩ — يذكر المؤلف أن الذوق المترف
والتصنيع فى الحياة الاجتماعية العباسية سرى إلى حياتهم الأدبية ، كأنه يريد
أن يقول إن التصنيع فى الكتابة الفنية هو أثر التصنيع فى الحياة ، وساق
أمثلة من ترف النقص من عهد الرشيد إلى عهد الواثق ؛ ولكنه لم يعمل
لنا لماذا لم يكن سهل بن هرون والجاحظ من أنصار مذهب التصنيع فى
الكتابة مع أنهما عاشا فى عصر من الترف زمن الرشيد والمأمون ، حتى
لقد طال العمر بالجاحظ إلى ما بعد خلافة الواثق بربع قرن تقريباً ؟

ص ٩٣ : يذكر المؤلف « أن ابن العميد » كان عارفا بعلم الحيل
« الميكانيكا » ولهذا كان يهتم على كتابته بحيل كثيرة ، ولهذا كان يشفع فنه
بكل ما يمكنه من حيل . وما دخل علم الحيل والميكانيكا بالاحتيال على
التطريز فى الكتابة ! ولو أن ابن العميد كان مهندساً أو من أصحاب الرياضة
والطرز فى البناء والعمارة لجاز أن نقول إن كتابته تأثرت بهذا ؛ ولكنه لم
يعد أن يكون مشغولاً بالتصوير بارعاً فيه كما تحدث عنه مسكويه ، ولعل
لهذه النزعة التصويرية أثر آ فى فنه التصويرى فى الكتابة كما ذكر المؤلف
بحق فى موطن آخر .

ص ٩٤ : يقول المؤلف عن ابن العميد إنه « دائماً يتخذ لفظاً مرصعاً بالسجع » ولفظة « دائماً » هنا لا محل لها من الحق ولا وجه لها من الواقع ، فإن من يتتبع نثر ابن العميد لا يجده دائماً مرصعاً بالسجع . والحق أنه كان من أقل كتّاب عصره التزاماً بالسجع ، وأقربهم إلى المطبوع ^(١) .

وقد بلغ من قلة التزام ابن العميد للسجع أن قال ابن خفاجة : « من كتاب المحدثين من كان يستعمل السجع ولا يكاد يخل به » وهو أبو إسحق إبراهيم بن هلال الصابي وأبو الفرج المبروف بالبيضاء ، ومنهم من كان يتركه ويتجنبه وهو أبو الفضل محمد بن الحسين العميد ، وطريقة غير هؤلاء استعماله مرة ورفضه أخرى بحسب ما يوجد من السهولة والتيسير والإكراه والتكلف ^(٢) . فقد عده ابن خفاجة فيمن تركوه وتجنبوه ، ولم يضعه مع طائفة المراوحين بين الإهمال والاستعمال .

ص ١٦٢ : ذكر المؤلف سبباً لبطء ظهور الفلسفة في الأندلس « أن أهلها نفروا منها لما فيها من زندقة ، وأن ملوكهم كثيراً ما أمروا بإحراق كتب الفلسفة إذا وجدوها » . ولا يمكن أن يكون هذا وحده سبباً لبطء ظهور الفلسفة في الأندلس وتأخرها عندهم إلى أواخر القرن الخامس الهجري ، بل لابد هناك من علل أخرى قد يكون منها بعد الأندلس عن جداول التفكير اليوناني والفارسي التي انصبّت إلى المشرق ، وقد يكون منها

(١) الوسيط للأستاذين الاسكندري وعناني ص ٢١٠ .

(٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع للأستاذ متر ج ١ ص ٣٩٨ نقلاً عن ابن خفاجة في مقدمة كتاب الخطب لابن نباتة ص ١٦ — هكذا ذكره متر في كتابه ، وصحة الاسم : الحفاجي . واسمه الكامل أبو محمد عبد الله بن سنان الحفاجي والنص مأخوذ عن كتاب « سر الفصاحة » للحفاجي المطبوع بالزحمانية سنة ١٩٣٢ ، ص ١٦٧ . أما كتاب « خطب ابن نباتة » فقد طبع في مطبعة بيروت سنة ١٣١١ هـ .

بعد الأندلس عن المذاهب العلوية التي ساعدت على ظهور الفلسفة في وقت مناسب بالشرق . فالأستاذ العقاد يقرر « أن انتشار المباحث الفلسفية لا يستغرب على الخصوص في عصر ابن سينا وفيما وراء النهر وخراسان ، لأن الدعوة العلوية كانت على أقواها في تلك الأطراف النائية » ^(١) . وقد يكون من العلل أن الأندلسيين أرادوا أن ينافسوا دولة العرب الفارسية في بغداد ، وكان في نفوسهم حفيظة من الأجانب الذين أحلوا الروح الفارسي محل الروح العربي في كل مظهر من مظاهر الحياة العقلية والاجتماعية ، لهذا أراد حكام الأندلس من العرب وخاصة بنى أمية أن يكون ملكهم هناك عربياً خالصاً ، وأن تكون ثقافتهم عربية إسلامية ^(٢) ، فلا شأن لها بشقافة الفرس ولا تراث اليونان .

ص ١٨٧ : ذكر المؤلف « أن ما بقى من نثر ابن الصيرفي السكاكيب الفاطمي لا يصوره تصويراً واضحاً » ، وكان يستطيع الحكم على نثره بما روى له في صبح الأعشى جزء ٨ ص ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ومن رسالة طويلة له ، وهي نسخة السجل الذي كتبه لما توفي المستعلي بالله الفاطمي وتولى الخلافة ابنه الأمر بأحكام الله . وقد نشرت هذه الرسالة في كتاب « الإشارة إلى من نال الوزارة » ^(٣) نقلاً عن « حسن المحاضرة » للسيوطي .

على أن قصر الرسائل لم يمنع المؤلف من الحكم على طريقة أصحابها الفنية ، فقد حكم على طريقة عبد الحميد السكاكيب من رسالة قصيرة له ص ٤٢

(١) ابن سينا للأستاذ عباس محمود العقاد ص ٧ ، ٨ ، ٩ (سلسلة اقرأ رقم ٤٦)

(٢) من محاضرات الأدب العربي في الأندلس الدكتور أحمد ضيف . مطبعة العلوم ص ٥٤ .

(٣) طبع المعهد العلمي الفرنسي بتحقيق الأستاذ عبد الله مخلص ص ١٣ .

كما حكم على طريقة ابن الشخباء من بقية من بقايا رسائله ص ١٨٩ .

ص ١٨٠ : ذكر المؤلف « أننا لانجد لمصر على عهد الإخشيديين كاتبا مشهورا يمكن أن نقرنه إلى إسحق بن نصير » ؛ وكأنه بهذا أغفل من قائمة الكتاب المصريين إبراهيم بن عبد الله النجيري ، الذى كان رأس الكتاب فى عهد الإخشيد ، وقد قيل فيه إنه كان عالماً بوجوه الكتابة ^(١) . وذكر السيوطى ^(٢) نقلا عن ياقوت أن أبا الحسين المهلبى وحنادة اللغوى وجماعة بمصر أخذوا عنه ^(٣) . وإذا كان النجيري بصرياً بأصله فإنه لا يقل مصرية عن إسحق بن نصير الذى قدم إلى مصر من بغداد للعمل فى ديوان الرسائل .

ص ٨٦ : لاحظ المؤلف « أن أهم الكتاب الذين نموا السجع فى القرنين الثانى والثالث كانوا من الأجانب — أى من غير العرب — وعلى رأسهم . . . أسرة بنى ثوابة المسيحية » . وقد حاولت أن أورد أسرة بنى ثوابة إلى سنجها الأجنبى غير العربى فما هدتنى مصادرى التى تحت يدي . ولعل شبهة المؤلف أنها مسيحية ، وهنا يحق لنا أن نسأله : متى كانت المسيحية مانعة من العربية ؟

٢ — مأخذ اللغة والضبط والرواية

فى صفحة ١٨٧ : يقول المؤلف نقلا عن ياقوت : « إن لابن الصير فى رسائل تقع فى أربع مجلدات » ، والذى ذكره ياقوت أن رسائله تزيد على أربع مجلدات ^(٤) .

(١) الغرب فى حلى المغرب ج ٤ ص ١٨ . (٢) بغية الوعاة ص ١٨١ .

(٣) معجم الأدباء طبعة الدكتور فريد رفاعى ج ١ ص ١٩٨ .

(٤) معجم الأدباء ج ١٥ ص ٨١ .

ن ص ١٨٤ : ذكر المؤلف أن الوزير يعقوب بن كلس الفاطمي خلف بعد موته من المصوغات ما قيمته خمسمائة ألف دينار . والصحيح أن ذلك قيمة ما خلفه من البر وهو الثياب أو السلاح ^(١) .

ص ١٦٨ : حاول المؤلف أن يشرح رسالة ابن زيدون الجدية ، وأن يرد الأمثال فيها إلى أصولها من الأمثال العربية القديمة والشعر الجارى مجرى المثل ، ولسكنه رد بعض الأمثال وترك بعضها ، ولو أكمل عمله لكان أتم للقصد وأوفى بالغرض .

وقد ذكر في قول ابن زيدون : « والحين قد يسبق جهد الحريص ، أنه مثل قديم . ولم يرد هذا » في مجمع الأمثال للبيداني ، والذي ورد فيه « الحرص قائد الحرمان » ^(٢) « والحريص محروم » ^(٣) . أما ما أورده ابن زيدون فهو نصف بيت للشاعر عدي بن زيد العبادي الجاهلي ، والبيت هو :

قد يدرك المبطل من حظه والحين قد يسبق جهد الحريص ^(٤)

ولم ينسب المؤلف الشعر الذي أورده ابن زيدون في الرسالة الجدية إلى أصحابه ، مع حرصه على التعليق على الرسالة في هامش كتابه . وقد يكون من المفيد هنا أن نذكر ما فاتته . فالييت الآتى :

كل المصائب قد تمر على الفتى وتهون غير شماتة الحساد

(١) الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٣٢ .

(٢) مجمع الأمثال ج ١ ص ٢٢٣ .

(٣) مجمع الأمثال ج ١ ص ٢٤٠ .

(٤) المواهب الفتحية للشبغ حمزة فتح الله ج ٢ ص ١٨٤ .

هو من أبيات قالها عبد الله بن محمد بن أبي عيينة يعاتب ذا اليمينين .
والبيت الثاني وهو :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقس أحياناً على من يرحم

من قصيدة لأبي تمام يمدح بها مالك بن طوق ^(١)

ص ١٦٩ : روى المؤلف العبارة التالية من رسالة ابن زيدون هكذا :
« وما أرانى إلا أمرت بالسجود لآدم فأبيت واستكبرت » وفي العبارة
نقص . وصحتها « وما أرانى إلا لو أمرت . . . » بوضع لو بعد إلا ، لأن
غرض ابن زيدون أن يعلق الجواب في آخر العبارات على شروط تعدد
من الكبائر .

ص ١٠١ : روى المؤلف عن الشعالي طرفاً من رسالة أبي العباس الضبي
هكذا : « قد أتاني كتاب شيخ الدولتين ، فكان في الحسن روضة حزن ،
بل جنة عدن . . . والصواب حزن وعدن بالسكون . أما روضة الحزن فهي
الروضة في الأرض المرتفعة وهي أحسن من رياض الخفوض وهي الأرض
المطمئنة . وقد وردت روضة الحزن في معلقة الأعشى في قوله :

ماروضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل

يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعيمم النبت مكتهل

يوما بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ ذننا الأصل ^(٢)

وفي القرآن الكريم « جنات عدن » لا جنات عدن

ص ١٠٦ : نقل المؤلف عن اليتيمة في ترجمة بديع الزمان قوله :
« وأدر له خلاف الرزق » والصواب أخلاف الرزق . وفي الأساس مادة

(١) ديوان أبي تمام — المطبعة الأدبية بيروت ص ٢٤٣ .

(٢) شرح القصائد العشر للتبريزي — المطبعة السلفية ص ٢٧٦ .

« خلف » ، ودرت لفلان أخلاف الدنيا ، ، وهي في الطبعة المصرية من اليتيمة « أحلاف » ، إلا أن الهمزة خفيفة المداد إلى درجة لا تبين .

ص ١٥٢ : من قول العباد الأصهباني في الحصكفي الكاتب : « له المذهب المذهب ، والقول المذهب ، والفهم ، الشهم ، والفكر ، البكر » . وهاتان الفاصلتان بين لفظي الفهم والشهم . والفكر والبكر لا محل لهما . وصواب الترقيم هكذا : « والفهم الشهم ، والفكر البكر » لأن الشهم نعت للفهم ، والبكر نعت للفكر ، ولا يفصل بين النعت والمنعوت بفاصلة ، إلا إذا أراد المؤلف أن يبين عن موطن السجعة .

ص ٦٨ : يقول المؤلف « لينخيل إليه كأن » والصواب لينخيل إليه أن بغير كاف . وفي ص ١٩ « يمكن للعقل أن يتصور » ، والصواب يمكن العقل بغير لام . وفي ص ٥٢ « في سبيل إفساح الملة العربية » والصواب فسح ، لأن الفعل فسح ثلاثي متعدي بنفسه ، فلا معنى لتعديته بالهمزة . قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم)^(١) وفي ص ٣٧ « فيختارونه من القاموس اللغوى » والصواب المعجم اللغوى ، لأن القاموس علم على كتاب بعينه في اللغة .

٣ — مأخذ الأسلوب

لقد ارتفع المؤلف بأسلوبه في الكتاب إلى مرتبة تذكر القارئ بمذهب الصنعة السليمة الذي هو أنقى المذاهب الفنية الثلاثة التي كانت موضوع الكتاب ، وليس غريباً من الدكتور شوقي ضيف ، وهو يدرس مذاهب الفن في النثر العربي ويتعمق في أصولها ، أن يتحرى لنفسه في الكتابة

أصفاها طريقة ، وأطبعها مذهباً ، وأبعدها من التكلف . إلا أنه يتكلف
 الأسماء أحياناً كما يُبدل على قارئه بثروة لفظية . اسمعه وهو يستعمل لمعنى
 واحد هذه التعابير : الجمال الصوتى ، الترادف الصوتى ، التبادل الصوتى ،
 الموازنات الصوتية ، المعادلات الصوتية ، التوقيع الصوتى ، الإيقاع الصوتى
 التوازن الصوتى ، النقطيع الصوتى ، التلوين الصوتى ، التحاسين الصوتية ،
 وقد كثرت هذه التعابير فى عدد محدود من الصفحات .

أما التكرار فغالب على أسلوب المكاتب إلى حد يسىء معه القارئ
 الظن فى تقدير المؤلف لفهم قرائه . . . ! وقد عمل هو للتكرار عند الجاحظ
 بأنه كان يملئ على شخص أو أشخاص لمرضه ، فكيف يعمل للتكرار عند
 نفسه وقد أضفى الله عليه العافية ؟ !

في الأدب المصرى^(١)

هذا الكتاب ليس بحثاً في الأدب المصرى ، ولا دراسة لهذا الأدب فى مختلف عصوره . ولكنه فكرة يدعو المؤلف إليها ويؤمن بها الإيمان كله ، ويدافع عنها فى حرارة وتحمس بالغين . وبجانب الفكرة منهج دراسى وضعه المؤلف للراغبين فى دراسة الأدب المصرى ، وخطة التزامها المؤلف فى دعوته إلى اعتناق فكرته والتزام منهجه .

والفكرة جديدة من حيث الإعلان عنها والدعوة لها والمجاهرة بها فى كتاب يطبع وينشر وينتظر من المقاومة ما يصادف الدعوات الجديدة والأفكار الناشئة . ولكنها قديمة من حيث خطورها على البال وحدوثها فى الذهن .

والفكرة التى يدور حولها الكتاب هى « أقليمية الأدب » . والاستاذ « أمين » يناصر هذه الفكرة ويرى أنها أقوم السبل لخلق أدب إقليمى متميز موسوم بسمه الاستقلال ومطبوع بطابع البيئة المحلية ، بدلا من هذا (الأدب العربى) المشترك الذى لا يميز إقليما من إقليم ولا بيئة من بيئة .

وظاهر الدعوة أن المؤلف يرى تقسيم البلاد العربية إلى دويلات وممالك سياسية ، وأن هذه الدويلات تجمعها وحدة اللغة العربية ، ولكن تفرق بينها عوامل شتى من البيئة المحلية . فليس من الحق — فى نظره — أن تغفل هذه العوامل البيئية ثم نحاول أن تجمع هذه الآداب العربية المختلفة البيئات فى إطار واحد هو « الأدب العربى » . والرأى عنده أن تظهر شخصيات البلاد العربية الآن فى آداب مستقلة بكل واحدة منها . فالأدب المصرى

والأدب الشامي والأدب العراقي والأدب الحجازي يجب أن يستقل كل واحد منها بالدراسة الخاصة والمميزات الخاصة والإقليمية الخاصة، ولا بأس بعد ذلك أن تندرج تحت الاسم العام . الأدب العربي .

ولا شك أن هذه الدعوة تلقى اعتراضاً من كثير ممن يؤمنون بالوحدة العربية ويدعون لها ، ومن يرون أن الإسلام واللغة العربية هما الرابطة التي يجب ألا تداينها رابطة أخرى من وطن أو جنس أو إقليم ولقد لقيت هذه الدعوة بالفعل اعتراضاً سمعه المؤلف فيما يدور من نقاش حول دعوته ؛ ولهذا هياً قلته لدفع الاعتراض في كتابه . كما دفع كل ما يمكن أن يطرأ من اعتراض أو يقوم من إنكار دعوته . وتلك براعة من الأستاذ أمين الخولي فهو لم يصدع بأمر دعوته إلا بعد أن ناقش وجادل وحادث، وعرف مواطن الاعتراض عليه . فقام يدعو وفي يمينه دعوته وفي شماله براهينه وحجته ، فقطع بذلك أوجه الاعتراض على المعترضين

والدعوة إلى فكرة الإقليمية في الأدب دعوة شائكة ليس من اليسر تناوؤها من غير إثارة جدال عنيف ، وليس من السهولة المجاهرة بها من غير تعرض لسنخ الساخطين الذين يرون في العروبة والإسلام أصلاً كبيراً تجتمع حوله الأصول الصغرى مع الدينونة لذلك الأصل والفناء فيه .

ولكن المؤلف كان بارعاً في دعوته ، فهو يغضبك إذ ادعا ويعجبك إذا استدل ، ويرضيك إذا نافش وخاصة حين يرد على من يخشون من دعوة الإقليمية أن تكتسح الدعوة العربية الكبرى . فهو هنا يفر من المناقشة بحجة أن البحث العلمي غير العواطف والميول، وأنه من الخير لدعاة الوحدة العربية أن يقوا روح الإقليمية في نفوس الشعوب العربية حتى تكون

وحدثهم المرجوة مبنية على بنيان راسخ وأساس متين .
ولقد يعترض على المؤلف أن إنماء فكرة الإقليمية في الأدب فيه
توهين للفكرة العربية العامة ، وفيه قطع للصلات بين البلاد العربية التي
يؤلف بينها هذا اللسان العربي وهذا الأدب العربي ، ولكن المؤلف أخذ
لذلك حيطته ، فهو يرى إنماء الإقليمية مع الاحتفاظ في الوقت نفسه بالصلات
الوثيقة بين البلاد العربية ، وخاصة بينها وبين الجزيرة العربية التي يجب أن
تكون موضوعاً مشتركاً للدرس من كل البلاد العربية في منازلها وأوطانها
السياسية المختلفة .

وهذا الاقتراح الأخير يبدو غير عملي ، والسبيل إليه متقطعة والأسباب
إليه غير مادية ؛ لأن المنهج الذي أعده المؤلف لدرس الجزيرة العربية منهج
تنوء به العصبية أولو القوة وهو يحتاج إلى مال وجهد لا تسعفه ولا تعين
عليه طبيعة الجزيرة العربية .

لا شك أن التعاون الأدبي بين الوحدات القوية الشخصية المستقلة
الكيان الواضحة المتميزة التاريخ هو التعاون المثمر المجدى . فإذا ما ظهرت
الإقليمية في مصر قوية واضحة الشعور بنفسها ، وظهرت الإقليمية في العراق
قوية واضحة كذلك ، وظهرت في غيرهما من البلاد العربية قوية واضحة ،
ظهرت البلاد العربية في مجموعها قوية واضحة الشخصية ، لأنها تتكون من
أفراد أقوياء الشخصية . وهذا هو دليل من أدلة الرأي عند المؤلف دعا
إليه وكرره في أكثر من صفحة .

فظهر الإقليمية في مصر لا يقطع الصلة بينها وبين العراق مثلاً ولسكنه
— على الضد من ذلك عند المؤلف — يحوج أهل البلدين إلى التعاون

والكشف عن صلات قديمة توثقت بين البلدين الكريمين حتى ولو كان ذلك قبل الإسلام .

ويظهر لنا أن المؤلف الفاضل ممن يدينون برأى غوستاف لوبون في التكرار وترديد الفكرة مرات ومرات حتى تستقر في الأذهان وتجد إلى القلوب سبيلاً . والمؤلف هنا بنفسى من طراز لبق ، فهو يدعو ويكرر الدعوة ، ويناقش ويكرر المناقشة ، ويرد ويكرر الرد حتى ليخيل إليك أن كل صفحة لاحقة من كتابه هي ترديد لصفحة سابقة . ولعله غالى فيه .

وجميل جداً أن يدع المؤلف تقديم كتابه إلى واحد من تلاميذه المعروفين بالنشاط الموفور والدأب في سبيل العلم والدرس ، هو الأستاذ عبد الحميد يونس أحد أعضاء لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية .



وفي الكتاب بعض هفوات كقوله في صفحة ٢٩ (وما محاولة العناية بالإقليمية اليوم إلا لونا) . والصحيح لون بالرفع ، وهفوات أخرى من عجلة الطبع وسرعة التهيئة للنشر لا تخفى على القارئ الكريم .

الدراسة الأدبية (١)

كان اسم هذا الكتاب في الأصل «النقد والدراسة الأدبية» . خذف المؤلف كلمة النقد من عنوان الكتاب على اعتبار أن النقد جزء من الدراسة الأدبية .

وخيراً فعل المؤلف حين اتخذ العنوان الجديد لكتابه . فإن الأدب نقد وتاريخ أدبي ، ولا يكون الأديب أديباً — في نظر الحق — حتى يستكمل عدته من النقد الذى يتذوق الكلام ، ومن تاريخ الأدب الذى يدرس العصور والأشخاص والآثار الأدبية على ضوء ما يحدث بين بعضها بعضاً من تفاعل . فليس كتاب الأستاذ زئيف نقداً كله ، وليس تاريخ أدب كله ، ولكنه جمع بين الاثنين وتأليف بين الشقيقتين ، وما النقد إلا أخ للتاريخ الأدبي ، ولن يكون الأديب مستوفياً الأداة ما لم يجمع بين الأخوين في نسب تربطه لحة الأدب .

ولكن ميزان الأخوة اضطرب في يد المؤلف . . . فاستوفى حين اكتتال على النقد ، وأخسر حين كال تاريخ الأدب . . . بهذا كان حظ الدراسة النقدية في الكتاب أوفى وأوفر من حظ أختها الأدبية . . . حتى كاد الكتاب كله يكون نقداً .

أفما كان من العدل في القسم ، وتسمية الأشياء بمسمياتها الحقيقية أن يرجع المؤلف إلى العنوان القديم لكتابه ، فهو أدل على موضوعه وأتم على مادته .

ومنهج المؤلف في قسم النقد منهج سليم مستقيم ، وفيه من حسن التقسيم

وسلامة التنظيم وتسلسل المنطق ما تتأكده جادة البحث وعراقة الدرس .
أما قسم التاريخ الأدبي فكلام مبعر لا تؤلف بيده غاية ولا ينتظمه هدف
ولكنه نقلة من هنا ونقطة من هناك . ففيه سيرة لطرفة بن العبد شاعراً
باكره الموت في ريعانه . وفيه كلمة عن طريقة أبي تمام في اصطناع البديع
واستخدام المحسنات . وفيه موازنة بين قصيدتي المتنبي والبحتري في وصف
الأسد . وفيه لوحة عن أبي فراس في سجنه والحمامة النائحة . . . وفيه كلمات
آخر لا نسب يؤلف بينهما ولا تنحدر من غمام واحد . . .

وعجيب أن تظهر شخصية المؤلف في قسم النقد ، وأن تمحى في قسم
التاريخ الأدبي . ففي هذا القسم الأخير نرى المؤلف يستعين بنماذج كثيرة
طويلة يجعلها تطبيقاً على أحكام أدبية بحمالة . وهذه النماذج في ذاتها دراسات
في تاريخ الأدب ، ولكنها ليست من قلم المؤلف ولا هي مما عاناه فكره
وكد فيه عقله . وإنما هي لطائفة من الأدباء استلذ المؤلف مواعدهم ، واستطاب
ألوان طعامهم . . . وأثر السلامة في النقل على المجاهدة بالعقل . . . فنقل
اثنى عشرة صفحة من كتاب (الرؤوس) لما روى عبود ، ونقل مثلها في
العدد من كتاب (أدباء العرب) لبطرس البستاني . ونقل ست صفحات
من كتاب (الإمتاع والمؤانسة) لأبي حيان التوحيدي . ونقل خمس صفحات
من كتاب (محاولات في فهم الأدب) للطفي حيدر . ونقل أربع صفات أو
تزيد من كتاب (الفصول الأربعة) لعمر فاخوري . . . فماذا بقي بعد ذلك
من السكتاب للمؤلف نفسه !

ولو أن المؤلف سمي كتابه (الدراسات الأدبية ونماذج لها من دراسات
المؤلفين) لقلنا : ذلك مذهبه ، وتلك في الدراسة طريقته ، ولا تمنسنا له

العذر في منهج أخذ به نفسه في عنوان كتابه . ولكنه لم يسم كتابه هذا الاسم ، ولم يأخذ نفسه في مقدمة كتابه بهذا المنهج الغريب . ومن هنا حق علينا أن نلومه وأن نسرف في لومه ، فقد خرج شطر من كتابه جمعا أكثر مما خرج تأليفاً .

ومعقول أن يوثق المؤلف أحكامه بآراء العلماء وأن يدعم قضاياه بأقوال الأدباء في الجملة أو الجملتين ، والمقطع أو المقطعين . . ولكنه حين ينقل لنا فصولا برمتها من كتب الآخرين فإنه لم يصنع أكثر من أن يكون وسيطاً موصلاً ، لا أديباً متأسلاً . .

على أن ذلك لا يطعن في منزلة المؤلف ولا في مزية المؤلف . فقسم النقد في الكتاب حافل بموضوعات تنشهاها النفس وتجد فيها لذة ومتاعاً . ومبعث اللذة في هذه الموضوعات هو طرافتها وتنوعها من ناحية ، وحسن الذوق في عرضها من ناحية أخرى . وناهيك من كتاب يتناول الموضوعات الآتية : الألفاظ ، جوها ، موافقتها للمصر ، الاختيار بين الألفاظ المتشابهة معنى ، جودة التزويج بين الألفاظ ، الزخرف ، الغنى في اللفظ ، طرق الأداء ، المعاني وموافقتها للمقام ، وضوحها ، تسلسلها ، المعاني بين الابتذال والتقليد والابتكار ، الشعر والنثر وأنواعهما . ويدخل تحت كل موضوع من هؤلاء دراسات آخر . فيدخل في طرق الأداء التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية والمبالغة والطباق . ويدخل في الشعر الموشح والزجل والأراجيز والملاحم والشعر الغنائي والمسرحي .

ونحن هنا في مصر ندخل دراسة الشعر وأنواعه وأبوابه ومعانيه وأخيلته وألفاظه في قسم التاريخ الأدبي ، ولكن المؤلف أدخلها في قسم

النقد . ولا يعنيننا أن يكون للناس فيما يعشقون من التقسيم مذاهب ،
ولكن الذى يعنيننا أن تأخذ الأوضاع صحتها ، وأن تسلك الأمور فى سمطها
وتدخل فى بابها . فالموازات الشعرية أو النثرية هى بالنقد أشبه وإليه أقرب
وقد أدخلها ابن الأثير فى كتابه (المثل السائر) وهو من كتب النقد لا من
تاريخ الأدب . والموازنة بين قصيدتى المتنبي والبحتري فى وصف الأسد
سلكها ابن الأثير فى كتابه مسلك النقد ، ولكن المؤلف ساقها من كتاب
لطفى حيدر فى قسم التاريخ الأدبى ، وهى ليست منه فى شيء . وقد يقال إن
فى هذا التقسيم الجديد شيئاً من التجديد الذى يصطنعه من لا يرون الأوائل
شيئاً . . . ولكن ما بالنا حين ننكر القدماء فى بعض الأمر نتكى عليهم فى
كثير من الأمور ؟ والاهتمام هنا واضح لا غموض فيه . فالمؤلف لم يجعل
الموازات من باب النقد إنكاراً لمذهب تقرر ومخالفة عن محاكاة القدماء ،
ولكنه فى الوقت نفسه يصطنع أمثلة القدماء حين يتمثل للقاعدة بالبيت
من الشعر أو الكلمة من النثر . فألفاظ (الجرشى) بمعنى النفس ،
(والتكأكؤ) بمعنى التجمع (والافر نقاع) بمعنى التفرق ، التى ساقها المؤلف
هى بعينها التى وردت فى كتب القدماء من علماء البلاغة .

والبيت المشهور .

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

هو بعينه المثال الذى أوردته العلماء منذ بضع مئات من الأعوام .

وتشبيهه « أبى النجم » الشمس بالمرآة فى كف الأشبل هو بعينه مثال القدماء
فى حسن التشبيه .

ولو أن الاستشهاد جرى في الكتاب كله على هذا النحو لكان ترديداً
لكلام ملته الآذان وأخلقه الزمان . ولكن المؤلف أحسن وألطف حين
ساق أمثلة من نثر الشيخ إبراهيم اليازجي ومن شعر شوقي ومن كلام جبران
خليل جبران ومن لطائف إيليا أبي ماضي ومن طرائف إسماعيل باشا صبرى
ومن آثار غيرهم من الأدباء .

والاستشهاد يحسن حين يؤيد القضية ويدعم الفكرة ، على شرط أن
يكون من بليغ المقال . كما صنع المؤلف حين استشهد للتوكيد اللفظي بقول
ابن الرومي :

ضلة ضلة لمن وعظته غير الشيب وهو غير منيب
وحين استشهد للطباق بقول أبي تمام :

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها تنال إلا على جسر من التعب
ولكنه لم يوفق حين استشهد بشعر شاعر لم يذكر اسمه . وقد كان أمامه
من شعر الفحول ما يتمثل به للربط بين الجمل ببل ولا .
والبيت المستشهد به هو :

فاز بالغايات طالها لا كسول عاش منتظرا

وهو من ضعيف الكلام . وفيه كلمة (كسول) على أنها صفة للمذكر
وهي صفة للأنثى . فيقال رجل كسل وكسلان ، وامرأة كسلة وكسلانة
وكسول ، ومكسال .

والتمثيل في النقد الأدبي لا يكتفى فيه بالمثال الواحد أو المثالين . فما بالك
بالمؤلف حين يغفل المثال إغفالا ويهمله إهمالا في موطن يتلطف فيه القارئ
إلى المثال ويتطلع إلى السؤال ؟ فقد ذكر الأستاذ رثيف خورى أن أبانواس

من أتيح لهم الابتكار في موضوع الخمر ، ولسكنه لم يسق مثالا واحداً قد كان يكلفه بعض العناء في البحث ولسكنه يريح قارئه ويظمئته إلى أحكامه الأدبية ، ولم يسق من ابتكارات خليل مطران إلا قوله في تمثال رمسيس المنحوت من المرمر الأحمر حين كان يقبله المصريون :
 فبجملت تحت تاج الملك مدميها وقبيلت دمهيا في المرمر القاني
 وما أكثر ابتكارات شاعر الأقطار العربية لمن يتصفح (ديوان الخليل) .

* * *

والمؤلف شاعر حتى في منشور عبارته . ويبدو ذلك في أسلوب الكتاب كله . كما يبدو خاصة في القطعة الأدبية الرائعة التي يخاطب بها شقائق النعمان (١) وفي القصيدة الفاتنة (٢) التي عربها المؤلف في شعر تنقل فيه من وزن إلى وزن . وله فوق طبيعة الشعر البادية على وجه تعبيره معرفة بالعروض والقوافي ، وعلى ذكر الشعر والشعراء نقول : إن باب الشعر الذي عاجله المؤلف قد وفق فيه إلى حد بعيد . فقد ذكر من مسائل الوزن والقافية والموشحات والزجل والأرجوزة وأنواع الشعر ما لا بد من معرفته للأديب . ولسكنه ذكر « الدوبيت » في الأشكال الشعرية القديمة ، والواقع أنه مما استحدث في الأدب العربي من أثر اختلاط العرب بالفرس . كما عاد هو نفسه فقرر ذلك في هامش صفحة ٩٤ .

أما الوشاح صاحب الموشحة التي مطلعها :

ما للهولة

من سكره لا يفيق

فهو أبو بكر بن زهر^(١) لا ابن زهير كما ورد في ص ٨٨ . وقد ورد هذا الاسم محرفاً كما أورده المؤلف في مقدمة ابن خلدون ص ٥٨٥ من الطبعة الثالثة في المطبعة الأدبية ببيروت سنة ١٩٠٠ . والتصويب الذي ذكرته عن كتاب « نفح الطيب » للقرى جزء ٤ — صفحة ١٩٧ من طبعة المطبعة الأزهرية المصرية ، وعن كتاب « أزهار الرياض في أخبار عياض » طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ج ٢ صفحة ٢١٠ .

والأستاذ رثيف ، يتمنى على الشاعر العربي الحديث (لو أقام هيكل قصة ماحمية من أجزاء القصص العربية السكثيرة التي تصلح لهذا الغرض ، كقصة عنتره وغيرها ، وحشد لها أبطالاً يمثلون ما شاء من أخلاق وقيم ، وافترض لهذه الأخلاق والقيم آلهة ميثولوجية تتقمصها وتدخل في سير وفائع القصة) .

وعجب جداً أن تفرض آلهة ميثولوجية انقضى زمانها من بعيد للمحمة عربية . وإذا كانت الملحمة اليونانية قد أنزلت الآلهة من سماواتهم وأشركتهم مع البشر وأشركت البشر معهم في إدارة المعارك وتدير المعاش وتخطيط المسالك ، فذلك كان اعتقاد عصرهم وإيمان زمانهم . أما اليوم فما حاجتنا إلى إحياء آلهة أمانتهم ثلاثة الأديان ؟؟ على أن فسكرة الآلهة عند اليونان غيرها عند عرب الجاهلية في أيام عنتره وغيره من الأبطال . فقد كان آلهة اليونان يطيرون في الجو ويغوصون في البحر ويضربون في الأودية . أما أوثان العرب فكانت قارة قاعدة تفد إليها الركبان ، ويقدم لها في مكانها القربان ...



(١) انظر كتاب « أزهار الرياض في أخبار عياض » من مطبوعات بيت المغرب ج ٢ ص ٢١٠

أما لغة المؤلف فسليلة رفيعة ، يتخير السكلم الفصاح ويؤثرها على دارج السكلام ، حتى لقد كان ذلك طابع كتابه فى جملة . وأسلوبه يحمل معانيه فى رصانة لا تبهرجها ألفاظ . ولكن اللفظ والمعنى عنده على قدر . فما كان كتابه إنشاء أجوف ولا أفكارا جافة ، ولكنه فكرة وإنشاء ، ومعان وأداء . ومن هنا كان كتاب « الدراسة الأدبية » جملة من البحث العميق ، وقطعة من الأدب الرقيق .

وأشهد ما عثرت فى الكتاب على لفظة عامية ، إلا « لفظة » « أسياى » ويقصد المؤلف « سادة » جمع سيد . فهو يقول فى صفحة ٦٤ . « وكان أبو تمام من أسياى هذا الفن » ويقول فى صفحة ٩١ : « أسياى النظم » . وقد خطأها المرحوم اليازجى . فالأسياى جمع سيد بوزن عيد وهو الذئب ، أما السيد من السيادة فيجمع على سادة ^(١) .

أما رسم الحروف أو « الأملاء » فقد أهمله المؤلف من حسابه ، حتى شاعت فى الكتاب أغلاط الرسم شيوعا ما كان له أن يكون فى كتاب أدبى ومن أخطاء الرسم فى هذا الكتاب « طال ظمأك ياوارد السراب » ص ٦٠ وصواب رسمها « ظمؤك » . و « تفاجئنا حين نقرأها » ص ٧٣ وصوابها « نقرأها » وقد وقع مثله فى ص ١٧٩ سطر ١٨ . وفى ص ٢٠٥ « وعن ظمأها » وصوابها « ظمئها » . وفى ص ٢٠٦ « إنشاء الله » وهى من أقبح أخطاء الرسم الفاشية بين العوام ، وصوابها (إن شاء الله) بفصل حرف الشرط (إن) عن فعل الشرط (شاء) . ولا أدرى أعلى المؤلف يقع وزر ذلك أم على الأستاذ عمر فاخورى الذى نقل الفصل الأخير كله عن أحد كتبه . على أن ذلك ليس بمانع أن يحتل كتاب (الدراسة الأدبية) مكانه الكريم فى المكتبة العربية الحديثة .

مرحلة واجواء^(١)

نحن في هذه الحياة على سفر ، نطوى العمر أو يطوينا العمر في مراحل ، وتنزلنا الأيام كل حين في منازل . والشاعر لا يقف أمام هذه الرحلات صامتاً ، ولكنه يسجلها في شعر موزون أو في شعر منشور ، لأنه يجد في ذلك التسجيل عزاء نفسه حين يتلفت إلى ماضيه القريب أو البعيد ، فيرى أمسا لا يعود وماضياً لا يرجع .

ومؤلف هذا الكتاب له كغيره من الوامقين ذكريات من الحب تعج بها ليالى سهد وساعات وجد وهو محب تأكل الغيرة قابه ، فكل جارحة فيه تنطق بالغيرة المتأججة في صدره . ولقد نطق شعره بذلك حيث يقول
غيران كل جوارحى غيرى رسمت شفاهى بسمة حيرى
غيران تلتهم الظنون دواخلى فتبينها عيني لها جهرا ...
والمرأة عند الأستاذ توفيق هى كل شئ في الحياة . وأنغام قيثارتها لا تطرب إلا على حبها حاضرة ، وبكائها هاجرة . فهى النور في عينه ، والخيال في فكره ، والحقيقة في وجوده ، والملموس في شعوره . وهو يفديها بالفؤاد إذا سخطت ، والوجود كله إذا غضبت :

فداك الفؤاد فداك المنى فداك الوجود أيا غاضبة
وجهرى وما قد أسر وأخفى ونشوة ذى القبلة التائبة
ولقد تظلم الدنيا أمام صاحبنا المؤلف فلا تجلوها إلا ابتسامة من ثغرى
من يحب فيناجيا قائلاً :

(١) للأستاذ توفيق اليازجى . من منشورات دار المكشوف . بيروت

ابسمى فالظلام يطفو على عيـنى وفي خافق ظلـال المنون
 ابسمى عل غيباً في حياتى ينبجلى عن غموضه الممكنون
 ولكن الوشاة يرصفون بباطلهم ويريبون بأقوالهم ، ويظنون فى هواه
 الظنون ، فلا يسكت عنهم ولـكنه يرميهم « بمآثم الظنون » . فلا يكاد يخلص
 من عرا كهم حتى يرى الدهر له متربصاً فينفث هذه الآهة المتحسرة :
 أبـنى على أنقاض أيا مى ودهرى رابض لى
 وفى قيشارة المؤلف استواء فى اللحن وانسجام فى النغم ؛ إلا أن التوقيع
 قد يخطئه أحياناً فينكسر البيت فى قصيدته كما ينكسر الوتر فى قيشارته حين
 تتحطم . . اسمعه وهو يقول :

فداك العيون وقد ملها السهد سقا مما يعانيه يا عاتبه
 ولفظه « مما » زائدة فى الوزن . والوزن يستقيم بحذفها فيصبح البيت :
 فداك العيون وقد ملها السهد سقا يعانيه يا عاتبه
 وهناك قصيدة « ما لها » صفحة ٤٤ ، فقد اختلط فيها الوزن على بحرین هما
 مجزوء الرجز ومجزوء الرمل المحذوف الذى تصير فيه (فاعلاتن) إلى (فاعلن) .
 والفرق بعيد فى الوزن بين هذه الشطرات « فى خدرها محتجبة » « أيامه
 ملتبه » « أحلامه منتهبه » وهى من مجزوء الرجز . وبين « فى الهوى ما أغربه »
 « أى شئ عذبه » ، وهى من مجزوء الرمل .

ولقد ولد الشاعر أوزاناً جديدة من تفعيلات الشعر المعروفة ، فصنع
 قصيدة « شعراء » من شطرين : الأول من بحر الخفيف ووزنه « فاعلاتن
 مستفعلن فاعلاتن » والثانى وزنه « فاعلن فاعلن » . فجاءت قصيدة غريبة على
 الأذن ! وقد يكون ذلك مقبولا لولا اضطراب الوزن المولد فى يديه فجاء
 البيت الآتى على هذه الصورة :

أى فجر علا شفتيك عزائى فـجـرك البـائـم
وهو وزن محتفل لم أهتد إلى أصله بعد قوله فى القصيدة نفسها :
حلم تائه يضل طريق عن عيوى خفى
« فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن فاعلن فاعلن »

والمؤلف ممن يجدون النساء فى اللغة أمراً هيناً ومركباً سهلاً ، وتلك
سبيل تجرى الضعاف على التطلع إلى مواطن الفحول . . . والذنب فى
ذلك ذنب الذين جرؤوهم . ولعل الأستاذ ميخائيل نعيمة ملوم على ذلك
أشد اللوم حين نشر ذلك فى « غرباله » . ولكن مقدمة الأستاذ العقاد
(للغربال) شفت نفوسنا مما تجد . . .

وأى تساهل أكثر من أن يقول الشاعر :

سكرة فى خفوق قلبى غشتها والصواب غشتها
أو أن يقول :

« وطغت مادة الوجود عليه » بفتح الدال من كلمة مادة والصواب
تشديدها .

أو أن يقول :

« هاله الأمس وهذا الغد الدامى الجرح على مدنف » . بإثبات الضمة
على لفظة الدامى ، وهى ثقيلة !

ولا يعتذر المؤلف بأن الضرورة ألجأته والأوزان أحوجته ؛ فإنه فى
شعره لم يبال بوزن ، وفى بنائه لم يبال ببلغة ولا نحو . فعذرنا نحن إليه ، حين
نطالبه بما يشق عليه .

في عالم التزبيذ والفكر

في عالم التربية والفكر

آراء وأحاديث^(١)

في التربية والتعليم

مؤلف هذا الكتاب ليس غريباً عن رجال التفكير والثقافة في الشرق العربي عامة ، أو في مصر خاصة ، وهو نفسه لا يعد نفسه غريباً على مصر إذا عالج مسألة من مسائل الفكر أو تناول قضية من قضايا التعليم فيها . فإن نظراته الصائبة في التربية والتعليم لا تضيق في حدود وطن واحد ، ولا تتضاءل في مساحة بقعة واحدة ، ولسكنها تمتد إلى ما وراء التخوم السياسية فتتسع لسوريا والعراق ومصر وغيرها من البلاد العربية .

وبهذا الاعتبار يمكن أن يفسر اهتمامه البالغ بأمور التربية والتعليم في مصر ، ويدفع هو عن نفسه ما قد يرمى به من الكلام في أمور لا تتصل بوطنه ، فيقول في عزة عربية نسجلها له مع الفخر : (وأرجو ألا يعتبرني أحد متطفلاً على مصر بهذه الملاحظات ، فإنني عربي صميم ، أدين بدين العروبة بكل جوانحي ، وأهتم بمصر بقدر ما أهتم بسورية والعراق) وهذا دفاع بليغ يقطع الطريق على أمثال من يقولون :

إنما نسكر من أموالنا فسلوا الشرطي ما هذا الغضب !
لأن غضبة الأستاذ الجليل ساطع الحصرى ليست غضبة « الشرطي »
ولسكنها غضبة المضرى التي يجب أن يحسب لها حساب ...

ولهذا لا ننظر أحداً من الناس في مصر أو في غير مصر يضيق صدره بآراء ساطع الحصرى في التربية والتعليم ، لأنه مخلص في إبدائها ، ولأنه

عربي قبل أن يكون مصرياً . والعروبة تقتضيه حقوقاً كثيرة ، وخاصة في هذه الأوقات التي نسمع فيها كثيراً عن الوحدة والاتحاد والتعاون واليقظة العربية والوعي القومي ، ولأنه هو نفسه قد أبان في كتابه نوازع اهتمامه بمصر (لأنها أصبحت القدوة المؤثرة على العالم العربي بأكمله)

لا نظن أن أحداً من المفكرين والمثقفين والمربين في مصر يغضب لأن مفكر أعراقياً وسورياً نشر كتاباً نفيساً في التربية وفيه مقالات حول نظام التعليم في مصر . لأننا نرى الخبراء يستقدمون إلى بلادنا ، وتغدق عليهم الأموال ، وتفتح لهم الأبواب . ولكن ساطع الحصري زار مدارس مصر — قادماً لا مستقدياً — في سنتي ١٩٢١ ، ١٩٢٦ ، وكشفت له الزيارة عن أمور رأى من الإخلاص للوطن العربي الأول أن لا يكتمها ، ورأى من الخير أن ينشرها .

ونحن نرى أن بعض « الزوار » قد ينشرون كلاماً له خيء أو يذيعون آراء لها خواف . ولكن الأستاذ ساطع واضح المقصد بين الغاية حسن النية . ونرجو أن تكون تلك حاله التي ينطق بها لسان المقال .

ليس هذا الكتاب كتاباً « فنياً » في أصول التدريس وطرق التعليم ، وليس كتاباً « مدرسياً » في « الدرس » وأجزائه ، « والمقدمة » وشروطها . « وملخص السبورة » « ووسائل الإيضاح » وما إليها من الموضوعات الجافة التي يحفظها (المعلم الجديد) ويضحك منها المعلم المتمرس أو يبتسم لها . ولو كان كتابه كذلك ما استحق أن نطيل الوقوف عنده ، وأن نعرضه على القراء عرضاً يحملهم على الاطلاع عليه والظفر به ، لأن فيه نظرات في التربية والتعليم جمعها المؤلف من هنا ومن هناك . ولا شك أن هذه

النظرات وليدة تجارب بلاها المؤلف بنفسه ، وهداه إليها اطلاع وسيع ، وبحث عميق ، ومتابعة لكل جديد من رأى فى آفاق التربية والتعليم .
والقسم الأول من السكتاب فيه مشاهدات وملاحظات فى فن التربية والتعليم . وهذا القسم يجمع إلى صحة الفكرة التربوية طرافة الأسلوب وحسن العرض ، والخلوص من المثل أو المشاهدة إلى القاعدة التى يقررها . ولهذا لا تحس وأنت تقرؤه الجفاف الذى يصادفه من يقرأ كتب التربية البحث . و « الطفل المعاكس » « وإثبات الذات » « والتربية بالثقة » « والحرية » وغيرها لها نصيب فى هذا القسم من السكتاب .

أما القسم الثانى فهو محاضرات ومقالات فى التربية والتعليم ألقى بعضها فى نادى التضامن وبعضها فى نادى المعلمين ببغداد . ويمتاز هذا القسم من سابقه بالدراسة الفنية وعرض النظريات التربوية عرض المربى الفنى لا عرض المشاهد المتنقل كما فى القسم الأول .

وفى هذا القسم فصل ممتع عن التربية الاجتماعية . وقد نجح المؤلف فى محاولة رد تربيتنا الاجتماعية أو بالأجدر مشاكلنا الاجتماعية فى الشرق العربى إلى تغليب الأثرة Egoisme على الإيثار Altruisme . وإلى أننا لم نتعود التفكير فى غيرنا اجتماعياً كما أننا لم نتعود العمل مع غيرنا عملاً معشرياً Collectif .

وهذا كله كلام جميل ، وفيه كثير من الحق وكثير من الصدق ، فإن ذلك كله ينقصنا . ولكن ينقصنا شىء آخر لم يشر إليه الأستاذ ساطع ، ولكن أوضحه البروفسور كامبسا نيك الأستاذ بجامعة ليفربول فى كتابه

الفيلس : Education in its Relation to the Common Purposes of Humanity . المطبوع فى إنجلترا سنة ١٩٢٥ .

يقول هذا الأستاذ الإنجليزي في كتابه ص ٣٣ (إذا شاء المواطن أن يتمتع بميزات ، فواجب عليه أن يقبل تلك المزايا بشروط . فما هي الشروط التي يمكن أن يتمتع بها الرجل بمزايا الجماعة ؟ إنها شروط يمكن التعبير عنها في سهولة ويسر في جملة واحدة : يجب أن يتعلم الرجل أن يفعل ما يطلب منه ، يجب أن يطيع قواعد الجماعة إذا أراد أن يحتفظ بعضويته فيها)

وهذا التوضيح يفسر لنا كثيراً مما يحدث في مجتمعاتنا ومجامعنا الشرقية . فكثيرون منا لا يفعلون ما تطلبه قواعد الجماعة ومواضعاتها منهم ، كالذين أشار إليهم الأستاذ ساطع في مقصورات أحد المسارح ببغداد حين علا صوتهم وضوضاؤهم ، فلما نههم إلى خطئهم أجابه أحدهم : إننا أحرار لا حق لأحد أن يتدخل في أمرنا .

لقد رد الأستاذ الحصري هذا السلوك الشائن إلى أننا لم نتعود العمل مع غيرنا عملاً « معشرياً » وذلك صحيح . وصحيح كذلك أن نرده إلى طبيعة العصيان والتمرد على قواعد الجماعة كما فسرهُ الأستاذ كامبانيك .

أما الفصل الذي كتبه الأستاذ الحصري عن « تيارات التربية والتعليم » فهو فصل معنى به مسهور عليه . وهو يشهد باطلاع المؤلف على اتجاهات التربية الحديثة ومراميها ، والعوامل التي أثرت فيها ، والمراحل التي مرت بها . وهنا تظهر طريقة المؤلف في حسن العرض العلمي غرضاً متسلسلاً يدل على الفكر المتسق . ولقد أشار في خلال هذا الفصل إلى وجوب تقوية علاقة الطلاب « بالطبيعة » التي طغت عليها حياة « المدن » . إلا أننا نأخذ على الأستاذ ساطع إيجاز الإشارة إلى هذا الموضوع الهام ، وكان المقام يتطلب منه إطالة واهتماماً أكثر . وللبروفيسور كامبانيك في كتابه المشار إليه سابقاً

فصل رائع عنوانه « العودة إلى الطبيعة » كما أن الأستاذ « نيومان » عالج هذا الموضوع معالجة علمية في كتابه القيم « فكرة لجامعة ، Idea of a University » ص ١٣٣ ، ١٤٣ .

ومن عبارات كامبانياك الرائعة في ذلك الفصل قوله في صفحة ٩٥ (يمكننا أن نلجأ إلى عالم الطبيعة مرات ومرات ، لأننا نشنا وتطهيرنا وتقويتنا) وقوله : (أن مشروعاً تربوياً يوجه عقولنا وحواسنا إلى قوى الطبيعة ومختلف مجالها ، هو مشروع حكيم الخطة)

أما الفصل الذي عنوانه « تعليم التاريخ » فلنا عليه استدراك ، فالأستاذ ساطع يحتم أن نعيد النظر في تاريخنا العربي بنزعة تربوية قومية ، وينادى بأن دروس التاريخ يجب أن ترمي إلى « التربية القومية » قبل كل شيء . وتلك دعوة طيبة تقابل من الأستاذ الحصري بالقبول الحسن من كل البلاد العربية التي تنشئ الوحدة في عالم اتحدت فيه أمم مختلفة النزعات واللغات ، فكيف بأمم وحدت بينها اللغة والجنس والعادات ؟ إلا أن الهدف من تعليم التاريخ ليس تنمية القومية (قبل كل شيء) . فمن الغبن أن نغمط الأهداف الأخرى ونبخسها قدرها . فقد ينفعنا تعليم التاريخ على وجه صحيح في إدراك صورة واضحة لمعنى « الخير » للجماعة وأعضائها ، وقد ينفعنا تعليم التاريخ العربي على وجه صحيح في إيقاظنا من سبات عميق طال عليه الأمد . . وقد ينفعنا تعليم التاريخ العربي على وجه صحيح في تجريد الدين من كل ما علق به من أوشاب القرون وغبار السنين .

وقد ينفعنا التاريخ في العمل على تحسين حالتنا الصحية التي أصبحت مرضاً عضالاً ودام قتالاً . فلو اعتنى في مدارسنا بتدريس تاريخ الأوبئة والحميات

والأمراض ، ولو اعتنى بدراسة تاريخ ما اتخذ من وسائل لمقاومة المرض وتحسين الصحة وإنشاء البلديات وكشف الجراثيم ، لاجتمع لأبنائنا ثقافة صحية تقوم إلى تربيتهم القومية .

وقد كان ذلك من أغراض تعليم التاريخ في إنجلترا بناء على الرسالة التي نشرتها الحكومة البريطانية سنة ١٩٣٤ (مطبعة الحكومة الإنجليزية لندن — ص ٦٤) .

أما الفصل الممتع الذي كتبه الأستاذ ساطع حول تعليم اللاتينية واليونانية فهو يستحق عليه التهنئة . فقد عرض القضية عرضاً لا يدع فيها مقالاً لقائل . وهو هنا يتكلم دائماً والدليل بين يديه والحجة بيمينه ، فيحملك على الاقتناع بكلامه . وقد أثار في نفسى شهوة إلى قراءة « المحقق البرلماني الفرنسي » الذي يذكره أستاذنا وصديقنا محمد توحيد السليحدار .

بقي أن في الكتاب نسباً يستعملها الأستاذ ساطع (كالفردانية) (والأنوية) نسبة إلى أنا . (والقبدرسية) نسبة إلى (قبل مدرسى) وهى طريقة فى هذا الكتاب ، وأطرف منها المصادر التى يستعملها . وهى صحيحة ولكنها لا تستعمل عندنا فى مصر « كالتديد » « والترفع » « والاقتياس » بدلا من المد والترقية والقياس التى نستعملها هنا .

وبعد فإن كتاب الأديب المربي الأستاذ ساطع الحصرى يعد محاولة ناجحة فى عرض الاتجاهات التربوية عرضاً يرتاح إليه الأديب ، قبل أن يرتاح إليه المربي . وهو من هذه الناحية كان خليقاً بأن يقرأه الأدباء والمفكرون والمثقفون قبل أن يقرأه المربون والمعلمون .

وكفاه قيمة أنه — فيما نعلم — أول كتاب عربى غير مصرى يتناول مسائل التربية والتعليم فى مصر بصراحة وإخلاص يستحقان الشكر والإعجاب .

كتاب الوعي القومي^(١)

البلاد العربية الآن في سبيلها إلى التنبه والوعي الذي يسبق النهضة ويدها على المهيع الواضح ، يأخذ بيدها إلى الطريق الواجب أن يسلك . فإن المسالك متشعبة دائماً في إبان هذه الأوقات ، ولا بد من أدلاء ماهرين من رجال الفكر الناضج والثقافة الصحيحة يقفون بجانب رجال السياسة والحكم في البلاد العربية الصاحبة من سماتها الطويل ، ليوصلوا البلاد وجهة صحيحة خشية أن تطغى عليها تيارات مختلفة فتصرفها عن سواء القصد واعتدال الجادة .

هؤلاء الأحرار (الوعاة) من رجال الفكر هم الذين نحتاج إليهم اليوم فيما نحن بسبيله من يقظة قومية . وإذا كان عددهم قليلاً لا يتناسب مع خطورة القضية التي تواجهها البلاد العربية ، فقد ظهرت من قلائلهم (آثار واعية) تبشر بأن الوطن العربي بدأت فيه طلائع التفكير المنظم والدرس المتسق ، وتبشر كذلك بأن ضالة العدد ليست بمائعة من جودة النوع . وتبشر كذلك بأن البلاد العربية ظهر فيها قوم لا يؤمنون بقيمة الأمشاج المختلطة من الأدب والشعر إيمانهم بالقيم العالية للعلم الصحيح الذي يعبر عنه الغربيون بكلمة Science ، لا العلم الذي كان يجعل من الفقيه عالماً ومن النحوي عالماً ومن العروضي عالماً .

ولقد ظهر في المكتبة العربية ثلاثة كتب قيمة تتصل بموضوع الثقافة والثرية القومية وما إليها : الأول كتاب « مستقبل الثقافة في مصر »

(١) تأليف الدكتور قسطنطين زريق بيروت .

للدكتور طه حسين . والثاني كتاب « آراء وأحاديث في التربية والتعليم » ،
 الأستاذ ساطع الحصري مستشار المعارف في الجارة العربية الشقيقة سورية ،
 والثالث كتاب « الوعي القومي » للدكتور قسطنطين زريق أستاذ التاريخ
 بالجامعة الأمريكية ببيروت .

أما الكتاب الأول فهو موعى يختص بموضوع الثقافة في مصر ، ولقد
 لقي في حينه ما يستحقه من النقد ويمكن الله لمؤلفه من الأمر ما يعينه على
 تحقيق برامجه الطويلة .

أما الكتاب الثانى فيتناول مسائل في التربية والتعليم والقومية ، وكان
 من حظى أن أقدمه لقراء « الرسالة » من عهد قريب . أما الكتاب
 الثالث - الوعي القومي - فكان من حظله أن يقدمه إلى قراء الرسالة
 تقديماً موجزاً بليغاً أستاذنا وصديقنا توحيد بك السليح دار ، وكان له الفضل
 في إذاعة بعض نسخ منه بين أصدقائه الذين يحبهم ويحبونه ، ويجب أن
 يناقشهم كثيراً في مسائل تتعلق باليقظة القومية والنهضة الحقيقية لبلادنا .
 وليست (الرسالة) ببأخلة على مثل هذا الكتاب أن يطول الكلام
 فيه ، فإننا نعرف من أهداف صاحبها النبيلة ، واضطلاع به بحمل رسالة
 الفكر الصحيح في الوطن العربي ما يطمعنا في إطالة الكلام ، فإن قيمة مثل
 هذا الكتاب « التوجيهي » لا تعرف ما دام مطموراً في رفوف المكتبات
 أو منحصى في زوايا الخزانة ؛ وإنما تظهر ويعرف قدره متى ما نبه إليه
 منبهه أو ذكر به مؤذ كر . والذكرى تنفع المؤمنين .

* * *

يشترط الدكتور زريق لاستكمال النهضة القومية العربية ثلاث خطى

رئيسية : الأولى ؛ بناء الأساس الفكرى الذى تقوم عليه النهضة بدراسة
الغايات والوسائل دراسة بعيدة عن الارتجال .
والثانية : تحويل هذه الدراسة المنظمة إلى عقيدة قومية تتجه بالأفراد
إلى الأهداف الصحيحة .

والثالثة : تنظيم الأمة العربية وضبط نوازعها وإخضاع إرادتها لإرادة
وحيدة منبعثة من عقيدة واحدة ، وتعنى هذه الخطوة العمل المنظم الصادر
عن فكر منظم يدرّب عليه الرجال والنساء على السواء .

والدكتور زريق حين يدعونا إلى البحث فى غايات نهضتنا لا يحرم
علينا دراسة نهضات الأمم الأخرى ودرس غاياتها ، فإن مثل هذه
الدراسات تكون كالقنيس على شرط أن نكيفها لحياتنا الخاصة .

والعربى الواعى قومياً هو الذى يعرف من أى منابع يفيض هذا
الوعى ، وإلى أى الأهداف يتجه . أما التشديق بألفاظ اللغة والجنس وجلال
التاريخ القديم من غير فهم حقيقى لمعانها فذلك نوع من الشعور الذى لم
يرتفع إلى قمة الفكر ، ولم يكتسب مع الفكر نعمة الحياة .

والعربى الواعى يحس إحساس فهم وإدراك بعوامل الضعف فى الشخصية
العربية الحاضرة ويواجه مشكلاتها مواجهة واقعية صريحة لا عوج فيها
ولا التواء .

ولما كان الغرب بوصفه الحاضر عاملاً فعالاً مع شخصيتنا العربية
الحاضرة ، ولا مناص لنا من تفاعل هذين العاملين ، فقد وجب علينا أن
نفهم الغرب حق فهمه وندرك كنهه حتى نحسن مواجهته ونأخذ له أهفته
ويكون اتصالنا به على ضوء وبصر وعلم لا عن صدف طارئة . ومن الخطر

أن تأخذ البلاد العربية روعة وتعروها هزة بمظاهر الغرب الخلافة حتى ولو كان ذلك في سرعة السيارات وعجيب صنع الأدوات .. فإن وراء ذلك نظاماً اقتصادياً لا شك سيبقى في جوهره النظام السائد في المستقبل . والدكتور زريق يدعونا إلى إدراك هذا النظام الذي يمتاز بالتنظيم الدقيق الذي يؤلف بين أجزائه ، وأخذنا من محاسنه وتجنبنا عيوبه التي كانت تحت اختبار الغربيين .

والحق أن الدكتور زريق متأثر بهذا «التنظيم» حتى في طريقة تأليفه .. فكتبه - كما يقول أحد المعجبين به - لا يعدو أن يكون مسائل متفرقة يعرفها الرجل الواعي منا، وتخطر على باله حين يغشى مجتمعا أو يركب سيارة أو يقرأ كتاباً أو يشاهد أحوالاً .. ولكن الدكتور زريق جمع هذه المسائل « ونظمها » تنظيمًا جعل منها وحدة متماسكة الأطراف ، وأخرج منها كتاباً لا تحس فيه تفككاً أو تصميذاً لفكرة أو اجتلاباً لمعنى ولكنك تراه مترابطاً محكمًا متسلسلاً .

وليس مثل هذا التنظيم في الدرس سهل المأثاة على كل من حاوله . فكثيرون منا تضطرب الأفكار في خواطرهم وتزدحم على نفوسهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يؤلفوا بينها ويصنفوها في كتاب يفضى كل سطر منه إلى تاليه ، ويؤدى كل فصل منه إلى تابعه ، كما في كتاب «الوعي القومي» .

ولم يجعل المؤلف مهمة الإيقاظ للوعي القومي حسباً على رجال السياسة وأصحاب الحكم . بل كل فرد من أفراد الأمة يستطيع أن يساهم في الإيقاظ مهما كان عمله ، ومهما كان مركزه ، وذلك جميل من المؤلف ، فإذا كان الأفراد جميعاً يحملون ألم سوء الأحوال ، ويشترون في احتمال المصائر

مهما كانت نتائجها فلم لا ينالون شرف المشاركة في التنبيه على ما يعود عليهم
بالفوائد وأجزل العوائد؟

فاشترك أفراد الأمة في الإيقاظ جائز بل واجب على شرط أن تنعدم
الآثرة كما يردد الأستاذ ساطع الحصري ، وينعدم التمرد والعصيان على رأى
البروفسور كامبانياك .

والدكتور زريق على أستاذيته الجليلة في جامعة بيروت هو معلم من
الطراز الأول ، فهو لا يحاول في كتابه أن يكون مبدع ألفاظ أو منشىء
عبارات أو مخاطب عواطف ... ولكنه رجل اختمرت عنده فكرة نبيلة
فقام يدعو إليها في عبارة تتفق مع جلال فكرته . فلا ترى عنده مبالغة
أو سرفاً في القول أو حشداً للألفاظ ، ولكنه مع ذلك قد عرض الفكرة
عرضاً بليغاً ، لا يتزيد في لفظة ولا يهول في عبارة ، ولكنه يلتقي الكلام على
ضوء من صدق الأحكام . وبعد النظر واتساع الثقافة وإدراك لحقائق التاريخ
مع وزن لقيم الألفاظ التي يستعملها وقدر حقيق لها .

إلا أن أغلاطاً قليلة وقعت في الكتاب نرجو من الكاتب الفاضل أن
يتدارك أمثالها في المرجو المنتظر من تأليفه . ومن هذه الأخطاء : ص ١١
« يبقى الأستاذ وأمثاله محقون » والصواب محقين ، والواو التي بعد
النفي والاستثناء في قوله « وما من أحد يلبس الحياة العربية الحاضرة إلا
ويشعر ، لا لزوم لها والفصيح تركها ، وقد كرر هذا الخطأ في ص ٤٨
و ص ٧٩ ، والفعل عاقه يتعدى بغير همزة فلا يقال أعاقه ويعيقه ص ٤٩ .
والآية التي أوردتها المؤلف في آخر مقدمة الطبعة الثانية ص ١٦ محرفة
وصحتها : « فإن الذكرى تنفع المؤمنين » والمؤلف لم يشير إلى أنها آية ، إلا أن
وضعها على تلك الصورة قاطع على أنها اقتباس من القرآن الكريم .
وعلى الأستاذ سلام الله ورحمته

التعليم في رأى القابسى

من علماء القرن الرابع

هذا الكتاب هو رسالة قدمها الأستاذ أحمد فؤاد الأهوانى لينال^(١) درجة الدكتوراه من جامعة فؤاد الأول . وقد ظفر بالدرجة العلمية ، ولم يبق إلا أن يظفر كتابه بما يستحق من النقد بعد أن أصبح من حق القراء أن يقرءوه وأن يقولوا فيه كلاماً هو - على كل حال - دليل الحفاوة به وحسن القبول له .

وهذا الكتاب ينقسم قسمين : نص كتاب القابسى - من علماء القرن الرابع - فى تفصيل أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين ويقع فى ٧٧ صفحة من الكتاب . والقسم الآخر مناقشة لآراء القابسى وعرض لها وموازنة بينها وبين الحديث من آراء التربية والتعليم . ويقع هذا القسم فى ٢٤٠ صفحة من الكتاب .

وقد أحسن الدكتور الأهوانى فى نشر كتاب القابسى نفسه . فقد كان مخطوطاً فى المكتبة الأهلية بباريس . ويظهر أنه ليس منه نسخة أخرى فى مكتبات العالم المعروفة . فجهد أن تكون منه فى دار الكتب المصرية نسخة شمسية . وأفلح جهده . ولكنه لم يكتف بذلك . بل أخذ القابسى وقرأه طويلاً وتابعه فى كل رأى يعرضه أو حكم يسوقه ورأى أن يقدم القابسى إلى قراء العربية فى حدود نصوصه ونص عبارته ، وأن يقدمه إليهم فى الوقت نفسه مشروحاً ومعرضاً عرضاً علمياً ومناقشاً فيما تعرض له من الآراء والأحكام .

نخرج بذلك العمل كتاب ضخيم يحمل كتابين ، ومجهود يتوزع بمجهودين .
والحق أن نشر النص لم يحرج الدكتور إلى كبير من التعب أو العسر .
فإن النموذج الخطي الذي نشره من هذا المخطوط يبدو جميل الخط واضح
القراءة . فلم تكن هناك إلا صعوبات التحريف في النسخ . وهى صعوبات
دليل الدكتور بعضها وترك بعضها ، راضياً من ذلك الترك بأن يكتب في
الهامش هذه العبارة « كذا في الأصل » .

وهذا الرضى من الناشر لا يعفيه من أن يتعرض قليلاً للوم اللاتمين ،
فالدكتور محقق قبل أن يكون طابعاً أو ناشراً . ولو أنه أتعب نفسه قليلاً
في الوقوف عند بعض الكلم المحرف لاستطاع أن يصل إلى شيء قريب من
الأصل وليس الأصل كله . وقد فعل ذلك في بعض الكلمات فكان موثقاً
في تصحيحه .

أما البحث الذى وقفه الدكتور على كتاب القابسى فذلك عمل اقتضاه
تعباً وعسراً . وإن القارىء ليرى آثار الجهد فى كل صفحة من صفحات
البحث . وما من المبالغة أن نقول فى كل عبارة .

والحق أن فى صديقنا الأهوانى صبراً على البحث ودأباً على التنقيب
حتى لأعرف أنه ينفق الساعات فى البحث عن كلمة .

ورب قائل يقول إن رسالة القابسى الصغيرة الحجم ما كانت تستحق
هذا العناية الضخم من الدكتور الأهوانى ، وما كانت تستحق هذه المئات
من الصفحات . . ! وقد يكون فى ذلك بعض الحق ! فإن فى هذا البحث
الطويل مواطن معادة مكررة . ولم تكن هناك حاجة ملحة إلى التكرار

الذى يشعر به قارئ الكتاب حتى ليبين ذلك فى الصفحة الواحدة وبين بضعة من السطور .

فى ص ٦٣ « وهم — الجرمان — أيضاً فقراء لأنهم كانوا يعيشون عيشة البداوة لذلك قبلوا مع السرور هذا المذهب الجديد — المسيحية — الذى يمجّد الفقر والبساطة » وبعد سطرين اثنين فى الصفحة نفسها « كيف وجدت المسيحية أَرْضاً خصبة بين الشعوب الجرمانية ؟ السر فى هذا يرجع إلى أن مبادئ المسيحية حققت آمالهم ووجدوا فيها الراحة الخلقية التى لم يعثروا عليها فى مكان آخر . »

وفى ص ٦٥ « ذلك أن الطالب فى الأزمنة القديمة كان يتلقى العلم على مدرسين مختلفين لا رابطة بينهم ، فهو يذهب إلى معلم اللغة . . . وإلى عازف القيثارة . . . وإلى معلم الخطابة . » وبعد بضعة أسطر — وبالضبط بعد خمسة أسطر — يقول :

« وكان التلميذ فى اليونان والرومان يتلقى علومه على مدرسين متباينين لا تجمعهم صلة . . فواحد يعلمه القراءة وآخر يقوم لسانه وثالث يلقنه الموسيقى . »

أليس فى هذا تكرار وإطالة للكلام . ثم ما الفرق بين « الأزمنة القديمة » وأزمنة اليونان والرومان ؟ « أليست كلها من القديم . أم أن القدم هنا درجات بعضها خلف بعض ؟؟ »

ومن أمثلة الإطالة فى الكتاب التعرض لنظام التعليم عند اليونان والرومان بكلام طويل ، مع أن خلاصته فى صفحتى ٦٦ ، ٦٧ كانت تغنى الغناء كله .

والتعميم في الأحكام في مقام يقتضى الدقة العلمية التاريخية غير جائز إلا من العابرين في علومهم غير الراسخين ، وما أظن الدكتور الأهواى من هؤلاء ، فهو دقيق وهو أمين على الحقائق العلمية .

فكيف يجوز له أن يقول في تعميم غريب « وبقيت جزيرة العرب يعبد أهلها الأوثان ويسجدون للأصنام » - ص ٦٩ - مع أن المسيحية واليهودية كانتا في نجران واليمن ويثرب ، كما كانت المسيحية وحدها في مملكة الحيرة والغساسنة ؟

وفي الكتاب فصل عن « الكتاتيب في الإسلام » . وهو فصل يبدو فيه أثر تحصيل كبير إلا أنه كان ينقصه ما نشر في ص ٥١ حول انتشار الكتاتيب بعد الصدر الأول من الإسلام . فإن هذا الكلام كله كان موضعه في ص ٥٧ أوجب من موضعه في ص ٥١ . حتى يخرج الفصل كله مستويأ قائماً بذاته بدلاً من هذا التفتكك .

والمؤلف يطيل في بعض المواطن من غير حاجة إلى تطويل . ويوجز في مواطن أخرى حيث تدعو الحاجة إلى البسط والإسهاب لا إلى الشح والإيجاز . ففي ص ٣٨ أراد أن يثبت - في كلام طويل - أن انقباسي من علماء القرن الرابع لا الخامس « لأن معظم حياته وفتوة شبابه وبأس رجولته واكتمال علمه وعمله وقع في ذلك القرن » طبعاً أيها الصديق ! ومن أمثلة الإيجاز العجيب ما وقع في ص ٧٦ . فقد أراد أن يرد السر في انتهاء تعليم الصبيان إلى أهل السنة « إلى أسباب كثيرة » ثم اكتفى من هذه الأسباب الكثيرة بسببين اثنين ! فما هذا الإسراف في الوعد يا أخي والبخل بالموعد ؟؟

وفي بعض أحكامك يا أخى تناقض لا أدرى بهم أعلله . فقد ذكرت في ص ٧٦ « أن كثير آ من المفكرين في الإسلام ترفعوا عن تعليم الصبيان .. وقد صرح بذلك أصحاب رسائل إخوان الصفا ، وفي ص ٢٠٥ عدت تقول « ولعلمهم — إخوان الصفا — تركوا الصبيان وشأنهم يتعلمون في السكتاتيب لأن تعليمهم يتم بالتحفيظ لا بالتفهيم » . فلم يكن ذلك ترفعاً كما قلت في ص ٧٦ ؟ !

بقيت بعد ذلك أخطاء مطبعية لو صححتها لأنصفت إلى كتابك . ولكنها ليست كثيرة منها ص ١٤ : الفهرسة . وهى الفهرس أو الفهرست بالتاء المفتوحة ، ص ٨٧ سطر ٢٠ : يعلنهن والصحيح يعلنونهن ، ص ١٦ : عمّر والصحيح عُمّر بالبناء للجهول ، ص ٢٠٨ : ابن مسكوية بالتاء . وهى بالهاء ، ص ٣٢١ : تاريخ التمدن الإسلامى أربعة أجزاء — والصحيح أنها خمسة .

وعلى الرغم مما بدا فى كتابك أو بدا لى فيه فهو عمل طيب وجهد كثير . وما أكثر إنصافك وأنت تناقش « كارادى ثو » و خليل طوطح والكتور إبراهيم سلامة والقابسى نفسه ، فأرى الحق بجانبك فى كثير من المواضع ، وأرى فيك من النصرة لقومك ما تشكرك عليه العروبة أطيب الشكر وما يثنى عليك العلم به أحسن الثناء .

السلام الاجتماعي^(١)

السلام الاجتماعي عنوان جميل جذاب ، وأجل منه أن يكون عنواناً لكتاب في هذه الأيام التي صحا الناس فيها على أزيز الطواغر وفعل القنابر فإذا هم أمام عالم يصطرع بالأهواء بعد أن اندكت فيه قواعد السلام حيناً من الزمن .

ومن منا لا يحب السلام ويكلف به كلفاً شديداً ، ويتمنى لو أشاعه الله في كل بقعة من الأرض حتى يعم الدين - جميعاً ؟ ألم يكن السلام فكرة الأنبياء حين قاموا بدعوتهم ؟ أليس السلام اسماً من أسماء الله تعالى حين قال في كتابه العزيز « هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام » .

ولقد سمعنا في هذه الأيام كلمة «العدالة الاجتماعية» فإذا هي جميلة جذابة ، وإذا المصلحون يديرونها على ألسنتهم كلها عن لهم حديث في الإصلاح ، وإذا الاجتماعيون يصبونها في آذان الناس صبا ، فيطرب هؤلاء لها ، ويجدون فيها من حلاوة الوعود ما يبشر بعالم يتحقق فيه العدل ويوفي الناس أجورهم بالقسط ، وإذا بكتاب يخرج فيها بعنوان «العدالة الاجتماعية» للأستاذ صالح مخايل .

ولكن الأستاذ عبد المجيد نافع يتخير في محاولته لتحقيق العدل الاجتماعي عنوان : «السلام الاجتماعي» كأنه يوحى إلى أن هذه الحروب التي نكتوى بنارها إنما ترجع إلى أن ميزان السلام الاجتماعي قد اضطرب ، وأن شيئاً حاسماً لا بد أن يفعل ، وأن موقفاً لا بد أن يتخذ لإشاعة السلام ، فإن

العالم كله كوحدة متماسكة يتأثر بالقلقل المحلية في كل بقعة من بقاع الأرض .
والمؤلف يمسك في يده مصباحاً أحمر لينبه الناس إلى أخطار اجتماعية
ليس هناك بد من التنبيه إليها . ولكنني أؤكد للقارئ أن نسخة الكتاب
التي تفضل المؤلف بإهدائها إلى كانت خضراء الغلاف ! فلم تكن حمراء كلون
مصباحه الذي أشعله في أول فصول الكتاب !

وقد يظن من يقرأ الكتاب فيمضي سريعاً في قراءته أن المؤلف
متطرف الميول ، فهو ساخط على الرأسمالية شديد العداوة لها والحملة عليها ،
ولكنه يدعو — إقراراً للسلام المنشود — أن تضمن الدولة لكل فرد
من الأفراد المنضوين تحت لوائها حداً أدنى للمعيشة «ص ٢١» . وهي دعوة
تدعو إلى حسن الظن بصاحبها ، فإن المساواة المطلقة بين الناس مستحيلة في
هذا العالم لأن الناس يختلفون ملكات ومواهب ، ويفتقرون قوة وضعفاً ،
وهو يرى لهذا أن التضامن الاجتماعي يقضى بأن تقدم الجماعة غذاء لكل
جائع ، وكساء لكل عار ، ومسكناً لكل شريد ، وعملاً لكل متعطل ، وعلماً
لكل جاهل ، وهو من أجل هذا يدعو إلى مكافحة الفقر ويروى في أرقام
متوسط دخل الفرد في مصر ، ويرد ذلك إلى عدم التناسب بين ازدياد
السكان وضعف الثروة القومية . ويرى أن الاختلال في التوازن بين الموارد
البشرية والموارد الطبيعية هو مبعث الفاقة التي يعانيها سواد المصريين «ص ٥٤» .
ويخشى المؤلف أن يهتم بإرسال الدعوى من غير دليل ، فيعقد فصلاً
عنوانه «بلاغة الأرقام» يستهدفه إلى تقرير للمستتر كليلاند الباحث الاجتماعي
المعروف بالجامعة الأمريكية ، والمسيو مينوميت المدير السابق للبنك
العقاري المصري .

ولم يقف المؤلف من هذه القضية المؤلمة والحقيقة الموجهة موقف المتألم المتحسر فحسب ، يصورها في بلاغة ويصفها في حسرة ، ولو قد فعل لما عدا أن يكون واحداً من المتكأ كئين على رجل داهمه الترام فاندس بين الفضوليين المتفرجين ليرجع وهو يطم شفتيه بكلمة «مسكين» !!

لم يفعل المؤلف ذلك ، ولم يندس بين المتوجعين نانحاً ولا مولولاً فحسب ، ولكنه اقترح من السبل ما يراه خليفاً برفع مستوى المعيشة في مصر . فاقترح مضاعفة الموارد القومية لأن مصر ما زالت بلداً بكرالم تستغل موارده بعد ص ٧١ . ويرى أن مصر لو استغلت مواردها القومية على وجه أكمل وبصورة تتمشى مع العصر الحاضر لا تسع ما ضاق من أرضها لثلاثة أضعاف سكانها الحاليين ، وهو غير يائس من بلوغ هذه الغاية ولا قاطع الأمل من الوصول إليها . ولهذا كانت دعوته القوية ، وكان كتابه الذي يعد صرخة عنيفة في أذن الجيل الحاضر . فإن ثروة مصر المخبوءة وحيويتها الكامنة في أبنائها كفيلتان بأن تبلغ مصر المبلغ الذي يوده كل مخلص لها وكل مشفق عليها . ولهذا لا يجوز لنا أن نعد المؤلف من المتشائمين .

ويرى المؤلف في سبيل ذلك أن الزراعة المصرية وخاصة بالحالة البدائية التي هي عليها اليوم وتجاهلها عن الأساليب العلمية المصرية قد أصارت المصريين إلى حالة من البؤس والجهل لا تفترق عما كان مشاهداً في عصور الظلمات ص ٧٤ . وهي كلمة حق تؤيدها تلك الكلمة التي كتبها الأستاذ محمود توفيق الحفناوى باشا في عدد من مجلة «الكتاب» . فإن هذا العالم الزراعى الجليل يقرر أن صورة الزراعة في مديرية قنا اليوم هي صورة لمصر منذ خمسين قرناً ! كأن الزمن لم يتقدم بنا خطوة واحدة في مجاله الفسيح

وَيقرر أيضاً أن الفلاح هناك يتبع نفس الطرق التي كان يتبعها أجداده
 زمن الفراعنة ويستخدم نفس الآلات التي كانت تستعمل قبل عصر
 بناء الأهرام .

فالاستاذ عبد المجيد نافع على كثير من الحق حين يهاجم هذه النظم
 الزراعية العتيقة وحين يرى أن بقاءها إلى اليوم هو عامل من عوامل الفقر
 والجهل في مصر .

ويرى المؤلف - غير ذلك - أن تحرم ملكية الأرض الزراعية على
 الأجانب ، ولا يجد في ذلك العمل نقضاً لمعاهدة مونترو ، فإن مثل هذا
 التشريع العصري تأخذ به كثير من الأمم في العصر الحديث . ويرى كذلك
 أن تفك الرهون لاستئقاذ الثروة العقارية ، وأن واجب الدولة أن تتدبر
 بالشجاعة فتدبر - بوسائلها الخاصة - المال اللازم لتحل محل الدائنين
 المرتهنين ص ٧٩ . ولم يترك المؤلف مسألة تدبير المال بدون حل كمن يلقى
 الرجل مكشوفاً في اليم ويقول له . إياك أن تبطل بالماء . . . ولكنه يرى
 في الالتجاء إلى الاحتياطي وفي حفظ المصروفات العامة وفي فرض ضريبة
 جديدة وفي عقد قرض وطني لهذا الغرض - يرى في ذلك سبيلاً إلى
 تخليص الثروة العقارية من يد الأجانب .

وليس ذلك هو كل ما في قارورة الدواء عند الأستاذ نافع لمعالجة
 الفقر في مصر ؛ فهو يدعو إلى إلغاء الوقف لأنه نظام « أثبتت التجارب
 ونادت الوقائع بأنه مبعث الفساد وسبب التأخر والانحطاط ،
 ص ٨٢ . ويدعو إلى إصلاح الأرض الغامرة أو الأرض البور اعتماداً على
 الهندسة المائية الحديثة التي تمكننا من ضبط مياه النيل والانتفاع بها كاملة

حتى لا يضيع كثير منها في البحر هدرأ كل عام ، ويرى أن تبيع الحكومة أرضها إلى صغار الملاك فإن ذلك خير من بيعها لكبارهم أو من بقائها في يد الأداة الحكومية تستغلها استغلالاً بطيئاً .

ولا أدري كيف أوفق بين موقفين متعارضين للأستاذ نافع في إمكانية مصر الزراعية والصناعية ؛ فهو طوراً مؤمن بأنها قطر زراعى فيدعو في حماسة إلى إصلاحها عن هذا السبيل ويقرر أنها قطر زراعى أولاً وقبل كل شيء ، ويرى لذلك أن يكون التعليم الزراعى في جميع مراحل التعليم ، لا أن يحرم منه الطالب في مراحل الأولى والثانوية ، حتى إذا حصل على الشهادة التوجيهية قذفنا به إلى كلية الزراعة وهو لا يدري شيئاً من الزراعة . وهو طوراً يرى أن تحول مصر إلى قطر صناعى ، ويعالج ذلك في فصل كامل من فصول الكتاب . ونظرية التحويل الصناعى هذه لا تتفق مع دعوته وإيمانه بإمكانيات مصر الزراعية .

وقد نفيت التشاؤم عن المؤلف في موقف قبل هذا ، ولكنى لا أحب أن أرميه بالإسراف في التفاؤل إلى حد يجعل للكلام قيمة فوق الأعمال . فإنه لا يشك في أن الصناعة المصرية بفضل الجهد والإتقان سوف تصمد لتيار التنافس المتدفق من الخارج ص ٨٩ . وهو تفاؤل أرجو الله مخلصاً أن يتم وأن نرى آثاره في جيلنا .

على أن هذه الصناعات الخفيفة شيء ، والصناعة الثقيلة Industrie Lourde شيء آخر . ولعل المؤلف يقصد هذه الصناعات الخفيفة التى شجعت الحرب الثانية على قيامها والتي يخشى عليها من المزاحمة الأجنبية حين يعود الاتصال والاستيراد إلى ما كان عليه قبل الحرب .

والاستاذ نافع من أنصار العلم الصحيح ، ومن المؤمنين بقوته في سيادة الأمم وحكم الشعوب . وكثيرا ما سمعته يشفق على مناظر الجهل التي تقضى بها العيون في شوارع مصر ، ولا أشك في أن هذا القذى في عينيه هو مواجه في قلبه . وهو مؤمن بأن الغرب لم يصرع الشرق إلا بعلمه ، ولهذا يعد من العدل الاجتماعي أن لاتأخذ الدولة على عاتقها القيام بنفقات التعليم العالي للشبان الفقراء ، والدولة في مصر — على ما أظن — فاعلة هذا . ولكن المؤلف يرى الإكثار من النسبة .

والحق أن كتاب «السلام الاجتماعي» فيه كثير من الأمور التي يجب أن يفتن أولو الأمر لها ، وأن يعدوا لها ما استطاعوا من قوة ؛ ولا شك أن نشر العلم الصحيح هو أقوى العوامل لقوة الشخصية المعنوية للأمة .

خيّل إلى وأنا أقرأ كتاب عبد المجيد نافع أننى أستمع إليه واقفاً على أعواد منبر ، فإن الأسلوب الخطابي الثائر المثير لم يبرحه لحظة واحدة في كتاب يحتاج إلى الهدوء في المعالجة أكثر مما يحتاج إلى العنف فيها . حتى كاد الكتاب يخرج بذلك عن البحث الهادى إلى خطبة ساحرة بليغة فيها كثير من التكرار وفيها كثير من المبالغة وفيها كثير من الحملات العنيفة على رجال بيتنا ، لا نزال نحبهم ولا نزال نستبقى الأمل الكبير في إصلاحاتهم . فقد حمل على طائفة من رجال المال والأعمال في مصر وصرح بأسمائهم . وكأنه — سبحانه الله — يرميهم بحسناتهم في الاقتصاد وجمع المال ومنافستهم لرجال المال الأجانب في ميدان كان إلى الأمس القريب وقفوا عليهم .

وليس ذنبنا أن يتقدم أصحاب هذه الأسماء التي ذكرها إلى ميدان تفرد الأجانب فيه ، وكيف يعتذر معتذر عن نشاط جماعة من المصريين إذا كان

جماعة من إخوانهم يقولون فيهم كلاماً قد يحمل على محل ما نهى عنه الحديث الشريف في قوله : « لا تنفسوا على إخوانكم ما آتاكم الله من فضله » . وما كذب الشاعر حين قال :

إذا مفاخرى اللائى أدل بها كانت ذنوباً فقل لى كيف أعذر
وما ذنب الأساتذة والفنانين والكتّاب والمحامين والأطباء حين تدفع المواهب بعضهم إلى القمة وتهوى ببعضهم إلى الحضيض ! أليس الصالح أجدر بالبقاء والفساد أحق بالفناء أو الانزواء ... ؟
ولست بحاجة إلى سوق الشواهد على كثرة التكرار في هذا الكتاب ، ولعله مقصود لتوكيد المسائل في نفوس القراء .

ومهما يكن من شيء فإن هذا الكتاب دعوة جريئة قوية للسلام الاجتماعى أرجو أن يكتب الله لها الكثير من التحقيق ، والعظيم من الخير والتوفيق .

الفكر العربي (١١)

بين ماضيه وحاضره

مؤلف هذا الكتاب ليس غريباً عن الفكر العربي بل هو مشترك في بناء هذا الفكر بمجالاته « الحديث » التي تصدر في حلب فتقدم إلى المكتبة العربية مدداً صالحاً من ثقافة طيبة يشترك في إعدادها للقراء طائفة من أعلام الأدب والبيان والفكر في مختلف الأقطار العربية .

يبحث هذا الكتاب في تفرق مسائل تتصل بالفكر العربي أوثق اتصال ولم يثر الأستاذ الفاضل تلك المسائل إلا ليصل منها إلى طريقة يحى بها العربي تراثه الضخم القديم . وليس هذا التراث القديم موضعاً للإنكار فالمؤلف يسوق من أقوال علماء الغربيين ما يقوم شاهداً على كينونة الفكر العربي ويستشهد في أول صفحة من الكتاب بما ذكره ويلز في هذا الصدد وفي ثانی فصول الكتاب يعرض المؤلف لما اتهم به ابن خلدون العرب من التوحش والانتهاز والعبث ومنافاة طبائعهم للعمران ، فيرد على المؤرخ الكبير اتهامه ببراهين فيها كثير من العقل وكثير من العاطفة ، ثم يخشى أن تجنح به عاطفته فيستشهد بكلام جميل للشاعر الأسباني (فيلاسباسا) وهو كلام فيه كثير من الشعر والخيال ، وفيه قليل جداً من مادة التاريخ . ثم يعود المؤلف فيؤيد حججه بما كتبه الدكتور عبد الوهاب عزام رداً على ما نقله المستشرق الروسي بارتولد في كتابه (تاريخ الحضارة الإسلامية) . وبما كتبه الدكتور طه حسين نقضاً لمزاعم ابن خلدون .

والأستاذ الكيالي يرى لإحياء الثقافة العربية أن يحضر العمل في ثلاثة

أمور : البحث عن نفائس المخطوطات التي أضعافها أهلها أو دفنوها في غيايات الخزانات ، ودراستها وتنظيمها ونشر أكثرها ضرورة لنهضتنا الحالية ، وإعادة طبع ما طبع من نفائس كتبنا على طريقة المستشرقين لا على طريقة جهلة الوراقين

وذلك كلام جميل ، وعمل في مقدور ورثة الفكر العربي أن يعملوه متى صحت العزائم وصدقت النيات ، واستحووا أن يقال فيهم : تراث ضيعه ذووه وفي الكتاب فصل عن « البلديات » أو المجالس البلدية عند العرب ، وهو فصل طريف عن وظيفة « الحسبة » التي يشبه عملها من نواح كثيرة عمل المجالس البلدية في زماننا هذا ، وهذا الفصل هو عرض جميل لكتاب « معالم القربة في أحكام الحسبة » الذي ألفه ابن الأخوة القرشي ، ونشره المستشرق الإنكليزي روبن ليوى في أصله العربي وترجمته الإنكليزية .

ولم يفت الأستاذ السكيالي أن يتحدث في كتابه عن مصر والوحدة العربية ، ويستشهد بكلام لعبد الرحمن الرافعي بك في كتابه تاريخ الحركة القومية ج ٣ عن مشروع محمد علي باشا كان يتناول إنشاء دولة عربية مستقلة في مصر تضم إليها البلاد العربية في أفريقيا وآسيا ، ويستشهد بكلام آخر ، وفي هذا الفصل توضيح لفكرة الفرعونية التي يتخوف السوريون والعراقيون من خطرهما كلها تحدث المصريون عن تاريخهم القديم ، وفيه توضيح للفكرة العربية يطمنن إليه المصري كل الاطمئنان .

في هذا الكتاب إيمان قوى يطفر من بين السطور طفرا ، إيمان بالماضي المجيد ، وإيمان بالحاضر العتيد ، وإيمان بالغد الوليد ، وفي المؤلف تفاؤل فسيح في المستقبل ، لم يبنه على تسكهن ولا تخرص ولكن بناء على قياس على الماضي ونظر في قراءة تاريخ العرب ، وهي على كل حال دراسة « مؤمن ، والمؤمن لا تكذب فراسته .

والكفاية فكونه غلب على كل واحد منهم فصادق من الجمعية كقولنا ولو علمنا
صاحبت من القراء كل واحد من هذه الكتب فوجدنا فيها ما لا يوافقها

بعضها على بعض آخره وأما التمسك فيها فيفسدنا قبيحة ان صححة أ
لنجن أن له كذا في الحكم لم يستقر له عدالة ان كان في العلم بالاساتيع هذا العلم
أنه لا يوجد من أن في ذلك في العلم بالعدول في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد
العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد
الصانع القاصي المصروف. في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد

تدل أن العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد

مع الفلاسفة

الاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد
في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد
وغيره من العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد
الاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد
أما في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد
فلسفة أخرى. كما ذهب إليه، وراون، في تاريخ الفلاسفة، أن العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد

في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد

الاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد

الاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد

الاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد

الاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد

الاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد في العلم بالاعتقاد

التصوف وفريد الدين العطار^(١)

أخرجت الجمعية الفلسفية المصرية هذا العام فيما أخرجت ثلاثة كتب تتصل بالتصوف الإسلامى . أفكان ذلك منها قصداً أم عفواً ؟ وهل أزيجتها تلك الحرب التى نفقنا الغبار اليوم عن معاركها فأرادت أن توجه الناس إلى الحياة الروحية ولذا نذها بدلا من تلك المادية المدمرة التى عانت منها الإنسانية ما عانت وخاصة فى هذا الزمن الأخير .

الحق أن الجمعية الفلسفية المصرية مشكورة على هذه الناحية التى أرادت أن تجلوها من تاريخ الروحية الإسلامية . والحق أن الدكتور الثلاثة : عبد الوهاب عزام ومحمد مصطفى حلمى وأبو العلا عفيفى قد أحسنوا الإحسان كله فى انعقاد العزم على غرض واحد وإن كان الموضوع غير واحد . فالدكتور حلمى كتب عن الحياة الروحية فى الإسلام ، والدكتور عفيفى عن الملامتية والصوفية وأهل الفتوة ، والدكتور عزام عن التصوف وفريد الدين العطار .

وعجيب جداً أن تخرج هذه الكتب الثلاث على الولاء — واحد فى أثر صاحبه — من غير أن يقطع هذا النظم المتناسق كتاب فى الاجتماع أو آخر فى علم النفس أو ثالث فى الاقتصاد مثلاً . كأن النية انعقدت فيما بينهم على أن يسبحوا بقرائهم ثلاثة أشهر متوالية فى عالم الروح والصفاء . وما أظن أن هناك ائتماراً بين هؤلاء الأساتذة ولا انعقاد نية . . .

(١) تأليف الدكتور عبد الوهاب عزام بك — دار إحياء الكتب العربية القاهرة .

ولكنها فكرة غلبت على كل واحد منهم فصادت من الجمعية قبولاً ، ولعلها صادفت من القراء مثل مصادفت من الجمعية نفسها . فأمتحنوا بساعات من الصفو في أفياء التصوف والروح ...

ولعل كتاب الدكتور حلى أعم الثلاثة من ناحية الموضوع . أما كتابا أبي العلا وعزام ففي ناحية خاصة من التصوف . فالأول منهما في الملامية وأهل الفتوة ، وهما فرقان من المتصوفة . والثاني في فريد الدين العطار الشاعر الفارسي المتصوف .

وكان طبيعياً من الدكتور عزام وهو يكتب عن العطار أن يعرض للتصوف الإسلامي ونشأته وتطوره . وقد أوجز العرض إلا أنه أحسن فيه الإحسان كله . فقد لخص أقوال الباحثين في نشأة التصوف الإسلامي وهل هو رد فعل لفرض العقائد الإسلامية على الأمم الآرية تحاضراً من عقيدة التوحيد المطلق ، ومن التكاليف المحدودة المحكمة التي كلف بها الإسلام ، أم هو مأخوذ من الناحية الفلسفية عن الأفلاطونية الحديثة أكثر من أية فلسفة أخرى ، كما يذهب إليه « براون » في تاريخ الفرس الأدبي « ونيكلسون » في مقدمة القصائد المختارة من ديوان « شمس تبریزی » ، أم هو ناشئ في الجاعة الإسلامية مستقلاً عن الفرس والهند واليونان ؟ .

والدكتور عزام يرى أن التصوف الإسلامي وجد مبادئه في الكتاب والسنة ، ولكن لا يشكر أنه أخذ في سيره أقوالاً وأفعالا من النصرانية أو البوذية أو الأفلاطونية الحديثة . وذلك مذهب الذين يردون التصوف الإسلامي إلى غير واحد من المصادر السابقة . وهو مذهب معتدل فيما يرى وطريق وسط بين الطرق المختلفة التي ذهب إليها الباحثون .

ولا يضير التصوف الإسلامى أن يرجع إلى غير الكتاب والسنة وإلى غير الحياة الإسلامية نفسها . وليس يضيره أن يكون أخذ من الهند والفرس واليونان فوق ماأخذه من الجماعة الإسلامية الناشئة فى ظل الدين الجديد .

ولأنشك أن الدكتور عزام ارتضخ هذا المذهب القوام بعد إيمان به وبعد اقتناع بوجاهته . ولا يطعن ذلك فى عربية الدكتور ولا فى إسلاميته . فما كان من المعقول أن تقف الحياة الإسلامية جامدة أمام تيارات مختلفة من غير أن تفيد منها شيئاً . وماقيمة الغلو عند الدكتور حلى حين يذهب إلى أن ذلك المصدر إسلامى بحت ، بل يغلو أكثر من ذلك فيرده إلى حياة النبي العربى قبل أن ينزل عليه الوحي ؟

لقد تحدث محمد عليه السلام فى غار حراء قبل أن يكون نبياً . ولكن تلك المجاهدة والعزلة والرياضة الروحية التى أخذ بها النبي نفسه قبل بعثته لم تعد أن تكون نوعاً من مجاهدات الروح التى ظهرت فى الجزيرة العربية قبل ميلاد النبي بآلاف السنين . وما كان رسول الله بدعا من الرسل الذين قبله ، ولا كان تحمسه فى الجاهلية حدثاً جديداً حتى يقول الدكتور حلى إنه البذرة التى نبت منها زهد الزهاد وتصوف الصوفيين .

والدكتور عزام لا يجزم فى هذا الشأن بالرأى يسوقه على طريقة لا تقبل معارضة . ولكن يسوقه على سبيل الرجحان كما فعل « نيكلسون » من قبله . فتسليم إبراهيم بن أدهم ، وحبر رابعة العدوية ، ومعرفة ذى النون والجنيد ، وفناء أبى يزيد والحلاج ، ونظرية الإنسان الكامل التى بدأ بها الحلاج وشرحها ابن عربى ثم عبد الكريم الجليل ، وفلسفة السهروردى فى حكمة الإشراق

وهيا كل النور ، كل هذه توحى باتصال بين الصوفية والنسك في الأمم الأخرى وفلسفة الأفلاطونية الحديثة . وذلك كلام مابعد ، كلام في مثل هذا المقام ، وخاصة « أن النشأ به لا يثبت الاتصال ولكن يؤذن به . لاسيما في الأمور التي ليست نتيجة الفكر البشري الطبيعي والوجدان الإنساني العام ، وهما متشابهان في الأمم ، ولكنها نظرات فلسفية خاصة لا يجتمع عليها الباحثون اتفاقاً كفيض العالم عن الله وتسلسله في الأفلاطونية الحديثة والصوفية .

في الكتاب فصل عن صلة التصوف بالأدب ، وهو لا يعدو بضع صفحات . وحيد الو أطل الدكتور عزام الكلام فيه ، ولو أن ذلك يخرج الكتاب عن موضوعه ، فالكتاب في فريد الدين العطار لا في الصلة بين الأدب والتصوف ، فذلك موضوع من حقه أن يصنع فيه كتاب وأن يكون صانعه الدكتور عزام نفسه ، فعرفته بالتركية والفارسية تجعله أولى الناس بالحديث فيه .

وقد استشهد الدكتور بكلام منشور لطائفة من رجال التصوف منهم النفري صاحب «المواقف» والمحاسبي صاحب «التوهم» . وليأذن لنا الدكتور أن نقول إن كتاب التوهم ليس في التصوف المحض ككتاب «اللمع» للسراج مثلاً . ولكنه كتاب جمع فيه مؤلفه بين طريقتي التزغيب والتزهيبي على نحو ما جاء في القرآن ، فهو يصف الجنة ونعيمها والنار وأهوالها وصفاً يعد أول شيء من نوعه في التأليف العربي . ولست أنكر مقام المحاسبي في التصوف ولا إشارة المستشرق ماسينيون إليه في كتابه «أصول المصطلحات الصوفية الإسلامية» ، ولا تحليل الدكتور مر جريت سميث لآثاره في التصوف ، ولا رجوع الغزالي إليه وهو يكتب

عن التصوف في «الإحياء». ولكن كتاب التوهم يظل مع ذلك كله بعيداً عن التصوف بالمعنى الاصطلاحي المعروف. وما أصدق الدكتور آربري وهو يعد كتاب التوهم من كتب «الوعظ»، في مقدمته الإنجليزية لكتاب التوهم المطبوع لأول مرة في مصر سنة ١٩٣٧.

أما الفصل في تاريخ العطار وسيرته ورحلاته وعيشته وطلبه العلم ومناقشة الروايات المختلفة في تاريخ وفاته فهو فصل فيه من تحقيق الدكتور عزام كثير. والحق أنه أول من عرف القارئ العربي بهذا الشاعر الصوفي الخراساني، وأول من وضع فيه كتاباً عربياً. وتلك يد للدكتور لاننساها ولا نبخسها قدرها، فهو بذلك يصل بين حلقات التفكير الإسلامي التي قطعها لغات غير العربية. وفي تاريخ الإسلام رجال كالعطار باعد بيننا وبينهم جهلنا باللغات الشرقية التي كتبوا بها وألفوا فيها.

وقف الدكتور عند وفاة العطار وقفة غير قصيرة يناقش الأقوال المختلفة في وفاته. وقد حمدنا له هذا الموقف قصد التحقيق والتثبت، فذلك هدف يسعى إليه أهل التحقيق من رجال العلم. غير أن الدكتور أثبت وفيات بعض الرجال على غير ما جاء في الكتب المحققة والأقوال الراجحة. فقد ذكر في صفحة ٢٧ أن الشبلي البغدادى توفي سنة ٣١٢ هـ وفيات الأعيان طبع بولاق «أن وفاته كانت سنة ٢٣٤ و قيل سنة ٣٣٥. والاول أصح». ومهما يكن من القولين فالسنتان بعيدتان عن سنة ٣١٢ التي ذكرها المؤلف الفاضل وقد ذكر الدكتور أن السكرخي مات سنة ٢٠١ هـ. والأقوال مختلفة في وفاة هذا الزاهد العظيم. وقد ذكر ابن خلكان أنه مات في سنة ٢٠٠ هـ. وقيل سنة ٢٠١ هـ. وقيل سنة ٢٠٤ هـ. فاختر الدكتور عزام الرواية

الوسطى وحدها ولم يشير إلى بقية الروايات حتى يطمئن قلب قارئه ! ولعل
حضرته يرد بأن المقام لم يكن لتحقيق وفاة السكرخي ، ولكن كنا نؤثر
أن يشير إلى ذلك في هامش الكتاب إشارة عابرة . وذكر أن السهروردي
قتل سنة ٥٨٥ هـ وفي ابن خلكان أنه قتل سنة ٥٨٧ وقيل سنة ٥٨٨ هـ .

وذكر في صفحة ٢٣ أن الحسن البصري توفي سنة ١١٩ هـ . وقد ذكر
ابن خلكان وعنه أخذ صاحب «الأعلام» أنه مات سنة ١١٠ هـ (١) .

وذكر الدكتور اسم «فرفيروس» مؤرخ أفلوطين على هذه الصورة التي
رسمته عليها ، فهل هو غير «فرفوريس» الذي رسمه مؤرخو العرب على
الصورة الأخيرة ، وخاصة القفطي في تاريخه وابن أبي أصيبعة في «عيون
أنبائه» ؟ .

ومن هو «وينسك» الذي ذكره الدكتور في صفحة ١١ ؟ هل هو
المستشرق الهولندي الذي مات من عهد قريب والذي جرينا على أن نرسم
اسمه «فنسك» ؟ . وإذا كان ذلك فلم لانجری في رسم الأعلام الغربية -
وخاصة الحديثة - على طريقة واحدة .

ويدخل في هذا الكلام تسمية محي الدين بن عربي مرة بهذه الصورة
ومرة بان العربي بزيادة «ال» ، فخذ لو جرى حضرته في الرسم على نهج واحد
ثم هل رابعة القيسية التي أشار إليها الدكتور في ص ٢٣ هي غير رابعة
العدوية التي ذكرها ابن خلكان في ص ٢٢٧ ج ١ من وفياته ، والتي نعرفها
جميعاً بهذا الاسم ، والتي كتب عنها مصطفى باشا عبد الرزاق مقالاً في
الجزء الأول من السنة الأولى من مجلة «المعرفة» ؟ . صحيح أن ماسينيون قال

عنها إنها من عتيك «على وزن أمير - لامن عُتيك - كما ذكر ماسينيون» .
وعتيك هذه من قبيلة قيس . ولكن الدكتور عزام ينفرد في تسميتها
بالقيسية ، وصحيح أن ابن خلكان ذكرها باسم رابعة العدوية البصرية .
ولكنه لم يذكر هذه النسبة القيسية .

ثم إن ذكرها مرة بالقيسية ص ٢٣ ومرة بالعدوية البصرية ص ٢٦ مما
يوقع القارىء في كثير من الحيرة والاضطراب ، وكنا نود لو جرى الدكتور
على تسمية صحيحة واحدة .

الحق أن الذى أوقع الدكتور عزام في هذا الاضطراب هو أستاذنا
الشيخ مصطفى باشا عبد الرازق . فقد قال في مقاله القديم بمجلة المعرفة ^(١)
(ويقول عنها - أى رابعة العدوية - الأستاذ ماسينيون - وعن
رابعة القيسية .. الخ) .

ويخيل إلى بعد تعب في الرجوع إلى المصادر ، وبعد قراءة لكتاب
ماسينيون بالفرنسية أنه ليست هناك رابعة قيسية وأخرى عدوية ، ولكن
هناك رباح القيسى مواطن رابعة العدوية ، وقد ذكره ماسينيون في صفحة
١٩٥ في معرض الحديث عن التصوف البصرى ^(٢) .



يقول الدكتور عزام في صفحة ٢٨ إن طيفور بن عيسى البسطامى
تنسب إليه الكلمة المعروفة : ما فى الجبة لإلا الله . وما سمعت - على قدر على -
أن البسطامى قالها ، ولكن ابن خلكان يقول : «إن الذى قالها وأنكرت

(١) السنة الأولى ج ١ عدد مايو سنة ١٩٢١ ص ١٥ .

(٢) Essai sur les origines du Lexique Technique de La Mystique Musul-
mane par Louis Massignon - Paris 1922.

عليه هو الحسين بن منصور الحلاج^(١). ولم يذكر صاحب وفيات الأعيان مسألة الجبة في ترجمته للبسطامي ولكنه ذكرها في ترجمة الحلاج منسوبة إلى الحلاج نفسه .

وإني أعرف الدكتور عزام شاعراً وبصيراً بالشعر وأوزانه فكيف فاته الكسر في عجز البيت الرابع من أبيات جلال الدين الرومي المترجمة^(٢) ونص البيت كما أورده الدكتور :

ليس لى إلا سمو نحوه كل شيء هالك إلا وجهه
فالبيت من بحر الرمل ووزنه «فاعلاتن فاعلاتن فاعلن» . والشطر الثانى غير مستقيم مع هذا الوزن .

وهناك فى صفحة أخرى^(٣) كسر آخر ، ولعله من أخطاء الطبع . فقد ورد البيت الآتى على الصورة التالية :

قال ما تبتيغيه يبدو محالا قلت إن المحال مأمولى
ولعل الصواب :

قال ما تبتيغيه يبدو محالا قلت إن المحال من مأمولى
وبذلك يستقيم الشطر ويصح الشعر .

* * *

وكم كان جميلاً من الدكتور أن يدفع عن العطار ما قد يرمى به من التكرار والإطالة فى مواطن كثيرة من كتبه . واعتذر عن ذلك بأن فيض التصوف والشعر يخرج من المعنى الواحد مئات من الصور . ولعل

(١) وفيات الأعيان طبعة بولاق ج ١ ص ١٨٤ .

(٢) صفحة ٨٧ من الكتاب .

(٣) صفحة ٩٨ من الكتاب .

الدكتور بهذا الدفاع الطريف يمهّد لنفسه العذر في تكراره في الكتاب في مواطن كثيرة . فقد أورد البيهقي التالين لابن الفارض في ص ١٢ :

وَألسنة الأكوَان إن كنت واعياً شهود بتوحيدي بحال فصيحة
وإن عبدوا غيري وإن كان قصدهم سواي وإن لم يظهروا قصد نبي

وأوردهما في ص ١٧ لمثل ما أوردهما من أجله في ص ١٢ . كما كرر قولاً واحداً للجنيدي في صفحتي ٣٩ و ٣١ ، وكرر مخالطة الروح للمادة في صفحتي ٨٤ و ٨٧ ، ولو أنه قال في الصفحة الثانية ، إن النفس الإنسانية التي هبطت من عالم الروح وخالطت المادة فقدت صفاءها ، لانتفى التكرار بين الصفحتين



وأخشى أن يكون الدكتور عزام نسي في المقطع الثاني من الفصل الثاني الغرض من كتاب يترجم فيه للعطار ويشرح تصوفه ، فقد أطال في اقتباس أقوال من الزهاد الأولين إطالة لم يكن ذلك محلها من كتاب في تصوف العطار . ولقد كان في سوق مشايخ أو ثلاثة أو أربعة غناء للاستشهاد على تمهيد هؤلاء الزهاد النساك للحياة الصوفية الآتية بعدهم في أواخر القرن الثاني والقرن الثالث كله .

ولقد أحسن الدكتور عزام في إيراد النصـوص المختلفة للزهاد والمتصوفة على أصح وجوها ، فقد رجع إلى « البيان والتبيين » للجاحظ حينما روى عن النساك ، ورجع إلى كتاب « التوهم » للحاسبي حينما استشهد على أدب التصوف .

وفي كتاب التوهم الذي نشره الدكتور آربري وقدم له أحمد بك أمين

وطبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر بعض التحريف الذى فات مصححه
ولكنه لم يفت قارئاً كالدكتور عزام ، فى « التوهم » هذه العبارة « فتوهم
نفسك بعريك ومذلتك . . . فى زحمة الخلائق عراة حفاة صموت
أجمعون » (١) فجعلها الدكتور عزام « عراة حفاة صموتا أجمعين » . وهو
على حق فيما فعل . فما كان لهذه الأوصاف أن تقع فى تلك الجملة إلا
أحوالاً منصوبة .

وفى « التوهم » « فلا تسمع إلا همس أقدامهم والصوت لمدة المنادى » (٢)
فجعلها عزام (فلا تسمع إلا همس أقدامهم وصوت المنادى) وقد أنصف
بحذف هذه « المدة » التى لم نفهم بها الكلام على وجهه .

وهذا التدقيق والتحقيق وحسن البصر فى النصوص يدعو أن نسأل
الدكتور عن تساهله أحياناً فى إيراد القول الواحد على وجهين قد لا يتأثر
بهما المعنى ولكن تتأثر بهما إرادة التحقيق . فقد روى فى صفحة ٢٩ عن
الجنيد أنه قال : « ليس الاعتبار بالحزقة إنما الاعتبار بالحرقة » ، وفى ٣٠
أى بعد صفحة واحدة فقط ذكر أن الجنيد قال : « إنما الاعتبار بالحرقة
وليس الاعتبار بالحزقة » . ومؤدى الروايتين وملفوظهما يكاد يكون
واحداً . لولا الفرق بين إيراد النفي أولاً والحصر بإنما ثانياً ، وما يتبع
ذلك من فرق دقيق فى المعنى من حيث علم المعانى .

والدكتور عزام فيه حسن فهم للنصوص كما أسلفت لأنه يقرأ بعينه
وعقله . وفى أقوال الصوفيين ما يحتاج إلى كثير من العقل لإدراك المراد

(١) التوهم المحاسبي . صفحة .

(٢) التوهم المحاسبي . صفحة ٥ .

منه . وقد يفوت القارىء المراد فيحمد الله على أنه ظفر بعقله . . وقد قرأت في صفحة ٩٥ قول القشيري « فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب والأحوال تأتي من غير الوجود ، والمقامات تحصل ببذل المجهود ، . فلم أفهم قوله « والأحوال تأتي من غير الوجود » . ألا يكون في كلمة غير ، تحريف من الناسخ أو تطبيع من الطابع ؟

وعلى الرغم من غموض المتصوفة في أقوالهم وآرائهم — وخاصة في الله والوجود والعدم — نرى الدكتور عزام قد عرض بعض هذه المسائل عرضاً شفى النفس من كثير مما بها . . . وكلامه في صفحتي ٣٢ و ٣٣ هو برهان هذا الكلام . وكذلك كان الدكتور في حديثه عن تصوف العطار وطريق المعرفة عنده ، والله والعالم والإنسان ، والقضاء والقدر ، وما أبرعه وهو يحاول التوفيق بين أقوال العطار المتباينة في المسألة الأخيرة ، أو يحاول على الأقل تفسير ما يبدو من التناقض بينها .

لقد فتح الدكتور عزام كثيراً من مغالق العطار ، وأبان فلسفة الصوفية على خير ما يتبين عليه كلام . وما كان من قصدي أن أخلع عليه الثناء المحض ، وأنا لا أعرف أنه يحب الثناء على حال يخرج النقد عن وجهه ، أو يكره النقد على حال تخرج العالم عن قصده . والعذر عما أطلت فيه من أمور ارتأيت فيها الرأي وله هو رأيه . وما عرفت منه الغضب أو البرم بما يغضب منه المؤلفون حين يستهدفون . ولكن عزاماً ليس مؤلفاً فحسب ، ولكنه عالم جملة الله بالتواضع .

ونحن في نشدان الحق دائماً على طرفي الخطأ والصواب ، وأرجو مخلصاً أن يكون أخى وأستاذي « عزام » ، ثاني الطرفين . . .

شخصيات ومذاهب فلسفية(*)

من طبيعة الأدب شعره ونثره أنه سهل الدخول إلى النفس في يسر ولين ، لا عنف ولا مشقة . وأن النفس تقبل عليه بدافع منها .

أما الفلسفة فلا يقبل عليها من الناس إلا من رزق الصبر عليها والانس بها . وقلما كانت الفلسفة أنيسة إلى النفوس لأنها كالسباع من الحيوان لا يقدم عليها إلا من رزق القدرة على ترويضها وتأليفها .

والفلاسفة والمشتغلون بالفلسفة مسئولون عن هذا النفور الذي يعانیه الجمهور من القراء . ولا أدري ماذا كانت حججهم في الاتهام وعذرهم في التعمية . وهل فعلوا ذلك عن قصد حتى تبقى للفلسفة رهبة الغموض وهيبة الخفاء ؛ وحتى يكون لهم وحدهم مفتاح الأسرار والاستئثار بالاستتار ، أم جاءهم ذلك الغموض من طبيعة الفلسفة نفسها لأنها تبحث وراء «المجهول» «وما بعد الطبيعة» وما إليها مما أبدى الكلام فيه وأعيد ، ولا يزال المجهول مجهولاً؟ .
والحق أن كثيراً من موضوعات الفلسفة — وخاصة عند المسلمين —

لا يفيد القارئ أكثر مما يتعب ذهنه ويحير عقله ، كالكلام في النفس ووحدتها ، والكلام في الكون وهل هو حادث أم قديم ، والكلام في البعث وهل هو لأجسام الدنيا بأعيانها أم بأمثالها .

وقد ظل الفلاسفة يبحثون في هذا وأشباهه فما أراحونا ولا أراحوا أنفسهم ، ولا أراحوا الستار عما تتحرق نفوسنا إلى معرفته وتطلع إلى كشفه . حتى لقد مات الرازي وهو لا يدري إلى أين . . . وعبر عن ذلك بقوله في بيتين يعبران عن سؤال كل نفس من عهد آدم إلى أن يشاء الله وهما:

لعمري ما أدري وقد آذن البلى بعاجل ترحال إلى أين ترحالى
وأين محل الروح بعد خروجها من الهيكل المنحل والجسد البالى
ولقد أراح « ابن ساعدة » نفسه حينما قال قبل الإسلام :

لما رأيت موارد الموت ليس لها مصادر

ورأيت قومي نحوها يمضى الأصاغر والأكابر

أيقنت أنى لا محالة حيث صار القوم صائر ..

ولقد ألهم الله الجمعية الفلسفية المصرية صواباً فى القول حين قالت
فى تصدير أول كتاب من كتبها « وإذا أراد الله بالفلسفة خيراً ألهم أهلها
أن يسلكوا سبيلاً أخرى ، فيعنعوا بالشئون الإنسانية ، وبالأمر الذى يتجه
إليها التفكير فى كل زمان ومكان ، ويعالجوا بحوثهم فى أسلوب سائغ جذاب
يفتح باب الفلسفة على مصراعيه لجمهور المثقفين » .

أما العناية بالشئون الإنسانية فنجد أن الدكتور على عبد الواحد وفى
قد هدف إليها فى رسالته الجليلة « الأسرة والمجتمع » التى تعد بحق تحفة فى
المكتبة العربية . ونجد أن أساتذة آخرين سيكتبون فى سلسلة هذه الجمعية
عن الحياة الأخلاقية ، والتشريع والإصلاح الاجتماعى . وأمثال هذه
الموضوعات التى تتناول الواقع والحياة ، ولا تطير وراء الغيبيات والمجاولات ..
ولكن الدكتور عثمان أمين ترك العناية بالشئون الإنسانية من
أخلاق وسياسة واجتماع وراح إلى الفلسفة يلتمس عندها سد النقص فى
القوة الإصلاحية والروحية . لأنه يرى أن (كل إصلاح تم فى الماضى أو
سيتم فى المستقبل إنما هو أثر من آثار الفلاسفة وأحرار المفكرين)
وما كان الأنبياء يا صديقى فلاسفة ولا أحرار تفكير وليكنك لانتكسر
الإصلاح الذى تم على أيديهم :

على أن اكتفاءك بالكلام في الشخصيات الفلسفية وتركك التأليف في
الشئون الإنسانية - كما صنع الدكتور على عبد الواحد - يعد ركونا إلى
أهون الحلين وأخف العيبن . . .

إلا أنني لا أكتمك أنني وجدت في كتابك لونا من المتعة واللذة عرفته
في كتابك عن « محمد عبده » . ووجدت في أسلوبك الواضح السائع .
أخذاً بما عاهدت أنت ورئيس الجمعية في تصدير كما لأول كتاب .

وما أنا بقائل هنا لك جديداً ، فقد كنت أقرؤك في مجلة « المقتطف »
من سنوات فأجد فيك من الوضوح ما صارحتك به من حين إلى حين .
وهأنذا اليوم أقرؤك فأجدك سائغ الأسلوب في سقراط ، وفي الثلاثة
الفلاسفة المسلمين الذين شئت أن تكتب عنهم ، وفي ديكارت وهيوم من الغربيين .
ولا أدري يا أخي السر في اختيارك هؤلاء الثلاثة من المسلمين بأعيانهم
مع كثرة ما كتب عنهم ونشر فيهم . فهلا كتبت عن ابن زهر والرازي وابن
بطلان أو غيرهم مما لا يعرف الناس عنهم إلا قليلا . ولم تختار طريقاً معبداً
وأنا ماعرفتك ألا مجتاز الصخور والوعور ؟؟

ولا يزال (ميزانك) يا أخي في تقديم الكتاب وحفظ النسب بين
فصوله فيه كثير من السخاء في موضع ، والشرح في موضع فإن الفصل الذي
كتبته عن آثار الفلسفة الإسلامية في الفلسفة المسيحية واليهودية لا يشفى
غليلا . فقد أوجزت فيه إلى حد لا تغفره لك عريبتك وإسلامك ، ولا يغفره
لك الإنصاف العلمي التاريخي ، على الرغم من إعلانك أنك لا تتنحل الأسباب
للأشادة بفضل المسلمين على غير حق . فقد كتبته في صفحتين ونصف
صفحة على حين خصصت « ديكارت » بأربعين صفحة من الكتاب .

وما كنت يا أخي منصفاً للعرب حين قلت في هذا الفصل « ولعل أسبينوزا

عرف شيئاً من نظريات العرب عن طريق موسى بن ميمون، وإيراد الخبر على هذا الأسلوب يورده موارد الشك على حين أن Will Durant يورده مورد اليقين في كتابه 'The story of Philosophy' (١)

ولقد ذكرت يا أخي أن «هيوم» نشر كتابه «رسالة في الطبيعة البشرية» سنة ١٧٤٠. وليس الحق كله معك في هذا. . . فإن «الطبيعة البشرية» ظهرت في يناير سنة ١٧٣٩ في مجلدين؛ أما الذي نشر سنة ١٧٤٠ فهو المجلد الثالث وموضوعه مبادئ الأخلاق.

وذكرت أن «هيوم» بعد رحلته في فرنسا عاد إلى أدنبرة فقضى فيها آخر سني حياته. وهنا طفرة في التاريخ لأظها خفيت على علمك. فقد عاد من فرنسا إلى أدنبرة — كما تقول — ولكنه تركها إلى لندن موظفاً كبيراً في وزارة الخارجية فقضى فيها سنتين ثم استقر آخر الأمر في أدنبرة سنة ١٧٦٩ (٢)

أما السياسة عند ابن سينا وكتابه فيها فلم تتعرض لها ولاله !! وأنا أعرفك يا أخي بعيداً عن السياسة المصرية بطبيعة وظيفتك وطبيعة نفسك التي ترسل الابتسامة المرة لما نقع عليه من أمورنا. . . ولكن سياسة ابن سينا تستحق الإعجاب ولا تستحق مريراً لا بتسامات.

وبالرغم مما ذكرته لك فإن كتابك قد ترك في نفسي الأثر الطيب الذي تتركه عندي آثارك. وقد نزل من مكتبتى المنزلة التي أنت أعرف الناس بها. فأهنتك على كتابك وأهنتك على جهدك في الجمعية الفلسفية التي وقعت أعمالها من نفوسنا مواقع الماء من ذى الغلة الصادي

(١) ص ١٦٢.

(٢) دائرة المعارف البريطانية، مادة David Hume.

محمد عبد عبيده *

« محمد عبيده » يدخل في سلسلة « أعلام الإسلام » نصاً وروحاً . ولقد أحسنت اللجنة التعجيل بإخراجه في أول السلسلة ، كما أحسن الدكتور عثمان أمين في اختيار الشخصية التي يقدمها من أعلام الإسلام . ومن أولى المسلمين بأن يترجم له في الأعلام مثل الأستاذ الإمام ؟ لقد عينا على اللجنة إقرارها ترجمة « بشار » و « أبي نواس » واسكننا اليوم نذكرها بالثناء لهذا الانتقاء .

والدكتور عثمان أمين عالم بالشيخ محمد عبيده من طول ما قرأ له وقرأ عنه . حتى لقد شغل به نفسه في رسالته التي ظفر بها بأجازه « الدكتوراه » ، ولا يزال الشيخ شغلاً لصديقنا المؤلف في الصحف تارة وفي الندوات الأدبية تارات . حتى ليصح القول إن عثمان أمين ظل لروح الإمام لو كان للأرواح ظلال .

لعل هذا الكتاب موجز لرسالة المؤلف التي قدمها إلى الجامعة ، ولعله أوجز فيه — مراعاة لاعتبار الطبع والنشر — كل ما يمكن أن يعرف عن محمد عبيده .

وإيجاز الرسائل الجامعية عمل لا بأس به لمن يريدون أن يجعلوا العلم سهلاً تناوله قريباً مأخذه .

ولعل ذلك كان هدف المؤلف حين قصد إلى إخراج كتابه في هذه السلسلة المألوفة المنتشرة .

وليس كتاب « محمد عبده » عملاً أدبياً يضع صاحبه في مرتبة الأدباء .
وأظن المؤلف لم يقصد إلى هذا من وراء كتابه ولا عناء . ولكنه عمل
عالم مشغول بالفلسفة أراد أن يرسم للقراء صفحة واضحة من حياة رجل
اشتغل بالحياة الفكرية الفلسفية الإسلامية فكان عالماً من أعلامها .
ومن هنا أخطأ الذين لاموا عثمان أمين على طريقته في كتابه ، ووجه
الخطأ في قولهم أن « عثمان أمين » استعرض تاريخ رجل كما كان لا كما يريد
المؤلف أن يكون . فهو يعرض الحوادث ويسسوقها في تسلسل وحسن
ربط وصحة عبارة وسلامة أسلوب . وهذا قصارى المؤلف في تاريخ الرجال .
وما دام المؤلف قد بلغ بذلك العرض قصده من التعريف بحياة المترجم له
فلا يعنيننا بعد ذلك أن نبحث عن « مفاتيح الشخصية » التي يتحدث عنها
بعض النقاد في هذه الأيام !

وما حاجة المؤلف الواضح أن يصطنع « المفاتيح » ويتكلف البحث عنها
ويدعى لنفسه فضل العثور عليها ما دامت الشخصية التي يتحدث عنها سهلة
التناول واضحة للقارئ لا يجد فيها عناء ولا نصيباً ؟ ؟

الحق أن فكرة « مفاتيح الشخصية » هذه فكرة يلجأ إليها بعضهم حين
يريد التجنى على الكتاب لخدمة بعض الكتاب . وإلا فقد قرأنا « محمد عبده ،
لعثمان أمين ففهمنا حياة الشيخ من غير حاجة إلى « مفتاح » . وكان المؤلف
أفطن من أن يعنيننا « بالمفاتيح » التي يقولون عنها في هذه الأيام !!

ولقد قرأت في الفرنسية كتاب Napoléon Intime لمؤلفه Arthur Lèvy
وهو من الكتب التي قرظها François Coppée ، فلم أجد فيه « مفاتيح » بل
وجدت الكتاب كله مفتوحاً أمامي .. وقرأت في العربية كتاب « روزفلت ،

لفؤاد صروف وكتبت عنه في الرسالة الغراء فلم أجد الباب فيه إلى حياة روزفلت موصداً ! وكذلك كان شأنى حينما قرأت «محمد عبده» .

إلا أن عثمان أمين لم يشر إلى المراجع التى وردت فيها أقوال من استشهد بهم ، فقد ذكر أقوالاً لأحمد بك أمين وللرحوم الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى ولم يشر إلى مأخذها . وذكر كلاماً لجورجى زيدان ولم يشر إلى مصدره صفحة ٢٤ ، وروى للشيخ عبد الوهاب النجار كلاماً ولم يذكر مصدره صفحة ١٠٥ .

وذكر المراجع والمصادر والمآخذ فى خلال الاستشهاد يسهل على مريد البحث المطول أن يرجع إليه فى مصدره ، وخاصة أن الدكتور عثمان لم يثبت فى ذيل الكتاب مسرداً بأسماء مراجعه .

وقد جره ذلك الأغفال إلى إغفال أعداد الصحف والمجلات التى نشرت فيها مقالات للشيخ خصصها المؤلف بالذكر لأهميتها ، فذكر العناوين فقط ولم يذكر أعداد الصحف التى شوقنا إلى الاطلاع عليها وعنانا بالبحث عنها .

وفى الكتاب أعلام ذكرت الحروف الأولى منها ولم تذكر كاملة مثل «ع.ا. باشاء ناظر المعارف - ص ٤٢ ، و (ل. بيك . س) الأستاذ بالمدرسة الحربية - ص ٦٢ .

ووجه الحكمة فى إخفاء هذه الأعلام واضح فى عصر محمد عبده حتى لا يتعرض الكاتب لأذى حاكم أو سخط رئيس .. ولكنى لم أفهم وجه الحكمة فى أن يخفى علينا الدكتور عثمان أمين حقيقة هذه الأعلام بعد أن أصبحت فى ذمة التاريخ .

ولقد كان للشيخ محمد عبده رأى فى الإصلاح الوئيد الثابت عن طريق التربية والتعليم لا عن طريق الطفرة والتطرف السياسى ، فكان كلام الدكتور فى هذا منقطع الوشائج. ذكره موجزاً فى صفحة ٦٢ ، ثم عاد إليه مقتضباً فى صفحة ١٢٠ حين تكلم عن جهود الإمام فى الجمعية الخيرية الإسلامية . ولو عقد فصلاً مستقلاً فى طريقة الإصلاح عند الإمام لوجد الكلام واسعاً موصولاً كما صنع أحمد أمين بك فى الفصول الطيبة التى كتبها عن جمال الدين الأفغانى (راجع الثقافة - الأعداد من ٢٦٤ إلى ٢٦٩) .

عيب الكتب التى تخرج دورية من شهر إلى شهر ، أن كتابها يكتبون وهم مقيدون بقدر من الصفحات لا يتعدون حدوده ! ولا يرضى مصدرو هذه السلاسل أن يتسع الكتاب أو يضيق تبعاً لموضوعه . ومن هنا يقع الكاتب فى غل قد تأباه سليقته ولكن تحتمه عليه المناسبة « والظروف » . ومن هنا نجد كتب هذه السلاسل تنبسط هوادىها وتمكش أعجازها .. تنبسط حين يبتدىء الكاتب فى غير قيد ، وتمكش حين يحتم عليه تحديد الصفحات أن يقف فى غير موقف ! وأن يختم فى غير مختتم ! فترى آخر الكتاب ضيق الأنفاس على الضد من أوله .

وكذلك كان الحال فى « كتاب محمد عبده » ، فأن محمد عبده المقتى لم يعرض كما عرض محمد عبده الطالب بالجامع الأحمدي فى بضع الصفحات الأولى من الكتاب . ومحمد عبده المدافع عن الإسلام ص ١٢٦ لم يطل الكلام فيه كما طال مع الشيخ عليش صفحات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ .

إلا أن عثمان أمين يمتاز بالنصوع حتى على إيجازه ، والحق أننى أحبيته محدثاً فى ندوتنا الأدبية : ندوة الأحرار . وأحبيته باحثاً فى الفلسفة و كاتباً عن « محمد عبده » . وأحبيته فوق ذلك مثلاً رفيعاً لتواضع العلماء .

والطهري (١) الذي جمع في كتابه بين فريي القرآن والحديث والطهري
صاحب كتاب التلخيص في بيان المحل بسبب ظن في وقاها في ضيقه وتحقيقه
وطبعه لأول مرة في مصر الأستاذان علي أحمد الجاوي ومحمد أبو الفضل
إبراهيم من نخوة أئمة دار الفقه والعلوم اشتغالا بالتأليف والتحقيق

في هذا المجلد البسيط الذي في ثلاث مناسبات في ضيقه في ثلاث قوائم
ولا عفا عن كتاب التلخيص في بيان المحل بسبب ظن في وقاها في ضيقه وتحقيقه
ولا عفا عن كتاب التلخيص في بيان المحل بسبب ظن في وقاها في ضيقه وتحقيقه
ولا عفا عن كتاب التلخيص في بيان المحل بسبب ظن في وقاها في ضيقه وتحقيقه

مع بعض المخطوطات المنشورة

في هذا المجلد البسيط الذي في ثلاث مناسبات في ضيقه في ثلاث قوائم
ولا عفا عن كتاب التلخيص في بيان المحل بسبب ظن في وقاها في ضيقه وتحقيقه
ولا عفا عن كتاب التلخيص في بيان المحل بسبب ظن في وقاها في ضيقه وتحقيقه
ولا عفا عن كتاب التلخيص في بيان المحل بسبب ظن في وقاها في ضيقه وتحقيقه

سنة ١٩٢١

لما كان في سنة ١٩٢١م في شهر ربيع الأول من سنة ١٣٤١هـ في كتاب التلخيص في بيان المحل بسبب ظن في وقاها في ضيقه وتحقيقه
ولا عفا عن كتاب التلخيص في بيان المحل بسبب ظن في وقاها في ضيقه وتحقيقه
ولا عفا عن كتاب التلخيص في بيان المحل بسبب ظن في وقاها في ضيقه وتحقيقه
ولا عفا عن كتاب التلخيص في بيان المحل بسبب ظن في وقاها في ضيقه وتحقيقه

الفائق في غريب الحديث(*)

للعلامة الزمخشري

ليس الفائق كتاباً في الحديث ولكنه كتاب في غريب الحديث وشرحه والاستشهاد على الشرح بما ورد في الكلم الفصاح من كتاب الله وكلام العرب نظماً ونثراً . فهو أدخل في باب اللغة والأدب منه في باب الحديث ولقد أوجز ابن الأثير صاحب كتاب « النهاية » الحديث عن موضوع غريب ، الحديث في مقدمة كتابه ، أبان فيها عن بدء جمع الألفاظ من غريب الحديث على يد أبي عبيدة معمر بن المثنى ^(١) وتدرج ذلك على يد جماعة من العلماء منهم النضر بن شميل ^(٢) وأبو عبيد القاسم بن سلام ^(٣) وابن قتيبة الدينوري ^(٤) وأبراهيم بن إسحق الحربي ^(٥) ومحمد بن القاسم الأنباري ^(٦)

(*) ضبطه وحققه الأستاذان علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم — دار احياء الكتب العربية .

(١) من علماء القرن الثاني وأوائل الثالث ، وكان إماماً في اللغة والأدب ١١٠ — ٢٠٩ هـ .

(٢) أحد الأعلام بمعرفة العرب والرواية والحديث واللغة ، اتصل بالخليفة المأمون فأكرمه منه . سنة ١٢٢ — ٢٠٣ هـ .

(٣) من علماء الحديث والفقه والأدب جاء إلى مصر سنة ٢١٣ هـ فسمع الناس منه سنة ١٥٧ — ٢٢٤ هـ .

(٤) هو صاحب عيون الأخبار وأدب السكاتب والشعر والشعراء ٢١٣ — ٢٧١ هـ .

(٥) من حفاظ الحديث ١٩٧ — ٢٨٥ هـ .

(٦) كان من أعلم أهل زمانه أدباً ولغة وحفظاً ورواية ؛ وهو غير أبي البركات الأنباري صاحب « نزهة الألباء في طبقات الأدباء » . وترجمته في ابن خلدكان وبغية الوعاة للسيوطي وتذكره الحفاظ . وقيل إن كتابه في الحديث ٤٥ ألف ورقة . توفي سنة ٣٢٨ هـ .

والهروى^(١) الذى جمع فى كتابه بين غريبى القرآن والحديث والزخشرى صاحب كتاب الفائق ، الذى نحن بسبيله اليوم والذى تولى ضبطه وتحقيقه وطبعه لأول مرة فى مصر الأستاذان على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، من خيرة أبناء دار العلوم وأكثرهم اشتغالا بالتأليف والتحقيق وإخراج التراث العربى الدفين .

ومن كتاب الفائق نسخة مطبوعة فى حيدر آباد الدكن سنة ١٣٢٤ هـ . ولا نعلم أن الكتاب طبع غير هذه الطبعة الهندية التى خلت خلواً تاماً من الضبط ، مع أننا فى زمن تأخر بنا إلى حيث الحاجة ملحة إلى الضبط لبعده ما بيننا وبين العصور الفصاح .

أما النسخ المخطوطة من هذا الكتاب فقد جاء فى « تاريخ آداب اللغة العربية » للرحوم جرجى زيدان أن هناك نسخاً خطية فى أيا صوفيا وكبريلي وبنى جامع ومكتبة دمشق (ج ٣ - ص ٤٧ مطبعة الهلال سنة ١٩٣١) .

ولقد اطمأن المحققان إلى ما جاء فى كتاب المؤرخ جرجى زيدان ، وأعوزتهما نسخة خطية فى مصر ، لأن زيدان لم يذكر عنها شيئاً ، ولا أدرى إن كانا عنيا نفسيهما بالبحث عن نسخة فى مصر حتى تكون مرجعاً وموثقاً لها وهما يصححان الكتاب ويراجعانه على مطبوعة حيدر آباد . وما ضر لو أنهما صبرا حتى تتصل الأسباب بين الدول بعد انتهاء الحرب فيتاح لها الحصول على صور شمسية لمخطوطات الكتاب من دور الكتب الأجنبية التى ذكرها زيدان ، أو التى لم يذكرها ، ولكن عليها عند غيره ،

(١) أحمد بن محمد الهروى من أهل مراة فى خراسان توفى سنة ٤٦١ هـ .

فيكون التحقيق بذلك أتم والمقابلة أوفى ، على ما فيه من عظم المشقة وكثرة الصبر وطول الزمن الذي يجب أن لا يدخل في تقدير العلماء عند ما يحققون ليحملوا للخالفين أمانات السالفين .

على أن مصر لم تخل من نسخة خطية من كتاب (الفائق) كانت في عهد الشيخ محمد عبده . فقد حدثني المرحوم الشيخ محمود حسن زناق أنه عثر على نسخة منه في مكتبة « الأتراك » وأنه بدأ ينسخها في ذلك الحين وشجعه على ذلك الأستاذ الأمام ، فلما طبعت نسخة الهند ووصلت إلى مصر توقف الأستاذ زناق عن النسخ اكتفاء بالطبع .

فأين هذه النسخة الخطية ، وهل خرجت من مصر أو لا تزال مطوية فوق ثراها في عالم الإهمال والنسيان ؟ ولم لم يصل عليها إلى المرحوم جرجي زيدان ؟

على أن ذلك العتب منا على محقق الكتاب قد جاء بعد أوانه . فقد طبع الكتاب معتمداً على نسخة واحدة ، وجوزف بعمل كانت الأمانة أدعى إليه وألزم له . وهي مجازفة حملت الفاضلين عناء كان يهونه عليهما تعدد المخطوطات والمقابلة بينها . ولكن عناءهما الكثير يحملنا على إنصافهما وحسن تقديرهما ، كما يحملنا على التجاوز عن العتب إلى الإشادة بالفضل . وما كب الله على المناخر مثل رجل يعرف الفضل فيجهله أو النابه فيخمله . وأعوذ بالله أن يكون ذلك مني ، ونحن راصدون للكتب بالمرصاد فيحسب بعضهم أن عيوننا لا تقع إلا على المأخذ ، ولكننا جميعاً ننشد للكتاب العربي الكمال ، حتى لا يقل عن ضريبه من كتب الغرب ، وننشد في الكاتب العربي التمام ، حتى لا يقال فيه :

ولم أر في عيوب الناس عيباً كـنقص القادرين على التمام
ولا شك أن تحقيق كتاب مثل الفائق لعالم مثل الزمخشري يحتاج من
بذل الجهد وسعة الاطلاع وكثرة التردد على المصادر إلى ما يحمد معه السعي
ويثنى معه على المبذول . ولا شك أن المحققين الفاضلين بذلاً من الجهد
ما تشهد به الهوامش التي طرزا بها الكتاب حتى لا تكاد تخلو صفحة من
هامش ، ولا يكاد يخلو هامش من الرجوع إلى كتاب .

وذلك عمل لا يعرفه إلا من يكابده ويعانيه . أما الذين أطال الله ليلهم
وقصر أعمارهم في غير العلم والتنقيب عليه والتنقيب فيه فهم يحسبون ذلك
أمراً ميسوراً وطريقاً مهيئاً . ولكن شئ يقرح الجفون ويضني العيون .
ولم يقتصر عمل المحققين على الضيق اللغوي ، ولو كان ذلك هان الأمر
ولكنهما رجعا إلى الشعر يردانه إلى قائله ، ورجعا إلى أنصاف الأبيات
المروية بالأصل يكملانها . ووجدنا في معجم « لسان العرب » معتمداً يستندان
إليه ، وناهيك به من معتمد ... فما عرفت قدر هذا المعجم إلا حين ألفت
إلى الأقدار أن أقرأ « الفائق » للزمخشري ، وأن أنقده وأن تعرض أمانة
نقده على ، فأرضى أن أحملها ولا أشفق منها ... وما أنا إلا إنسان ...

ولقد وجدت في التحقيق أموراً هي أسهل على المتعقب القافي منها على
المنقود المقفوء ... فإن المحقق حين يبدأ العمل لا يعنيه إلا أن ينجزه ،
والناقد حين يبدأ العمل لا يهمه إلا أن ينقده ... ولهذا تقع عين الثاني على
ما لم تقع عليه عين الأول .

على أن النقد — بعد ذلك — لا ينقص من قدر المنقود ، ولا يبين
عن مزية في الناقد .

ولكنه عمل أرادته الطبيعة حين أرادت أن تحسن الحياة .
فلا بأس بعد ذلك من النقد ما دامت النية حسنة ، والأعمال بالنيات .

* * *

جاء في صفحة « ه » من قول علي بن حمزة يرثي الزمخشري :
وكم للأمام الفرد عندي من يد وهاتيك مما أطاب وأكثرا
وفي البيت نقص يكسر وزنه وكاله :

وكم للأمام الفرد عندي من يد وهاتيك مما قد أطاب وأكثرا
والتصويب عن « معجم البلدان » لياقوت مادة زمخشري ج ٤ ص ٤٠١ .

وفي صفحة « و » من جواب الزمخشري إلى أبي طاهر السلفي [ما ممثلي
مع أعلام العلماء إلا كمثل السها مع مصايح السماء ، والجهام الصفر والرهام
مع الغواصي الغامرة القيعان والآكام ، والسكيت المخلف عن خيل السباق
والبغات مع الطير العناق] . وضبط المحققان « العناق » بفتحيتين كسحبا
وكتباها بالنون كما صنع شارح « معجم الأدباء » طبعة الدكتور أحمد فريد
رفاعي . و « العناق » هنا لا تصح ، لأنها دابة كالفهد أو الكلب من جوارح
الصيد ، وأين البغات وهو طير من العناق وهو دابة ؟ والصواب مع الطير
« العتاق » بالتاء لا بالنون ، وبكسر العين .

و « العتاق » من الطير : الجوارح (راجع القاموس مادة عتق) . وبهذا
تكون المقابلة صحيحة بين البغات من الطير والعتاق منها . وقد وهم شارح
معجم الأدباء طبعة الدكتور رفاعي فضبطها العناق بالفتح وبالنون وفسرها
بالدابة . وتابعه المحققان .

وفي صفحة « ز » (وعزة النفس رائبها عن السفساف) وصوابه

الرب بها . من الفعل : « ربأ بنفسه من أن يفعل كذا » ومنه « ربأ بنفسك »
وقد وردت صحيحة في « معجم الأدباء » طبعة رفاعي وفي « وفيات الأعيان »
ج ٢ ص ١٠٨ ، وقد نقل عنهما محققا « الفائق » . فلماذا لم يؤدي الأمانة في
النقل ؛ وخاصة أن « الرب » أحسن من « الذب » ؟
ويخفف من شدة المؤاخذه لهما أنهما في عبارة أخرى نقلتا عن ابن
خلكان روايته (وأفضيت إليه نجمة سرى) فجعلها « بعينة سرى » ،
وذلك حسن .

وفي صفحة (ح) من شعر الزمخشري :
وإن مالكيًا قلت قالوا بأنني أبيع لهم أكل السكّاب وهم هم
بضمّتين على اليمين من الضميرين « هم » . والصواب أسكان الأولى وضم
الثانية ليستقيم الوزن .
وفي صفحة ٣١ قول رؤبة :

يا قائد الجيش وزيد المجلس أسنى فقد قلت رقاد الأوس
والبيت في ديوان رؤبة (مجموع أشعار العرب طبعة ليزج ج ٣ ص
٧٤) وصحته :

يا قائد الجيش وزين المجلس أسنى فقد قلت رقاد الأوس
والأوس بضم الهمزة وفتح الواو المشددة على وزن ركع : جمع آيس
على وزن فاعل من قولهم « آس يؤوس أوساً ، أى أعطى .
وفي صفحة ١٦ : (تقول العرب في الأمر المتفاقم : إحدى الأحد) .
والصواب إحدى الإحد (راجع القاموس مادة أحد) .
وفي صفحة ٢١ : (وعن أهل المدينة إنهم كانوا يرون هذا الرأي) .

والصواب أنهم بفتح همزة أن . وقد تكرر مثل هذا الخطأ كثير في الكتاب
وفي صفحة ٤٦ : (الآنك : الأسرب) . وفي الهامش : (ليس في الكلام
على فاعل غيره) .

وكلمة « أنك » على وزن « أفعل » ، لا على وزن « فاعل » ، وليس في
الكلام « أفعل » ، غيرها وغير « أشد » ، التي في قوله تعالى « فلما بلغ أشده » ،
(راجع القاموس مادة أنك) .

وفي صفحة ٨١ : (ساعدة بن جؤية) بالباء التحتية الموحدة ولعلها من
من أخطاء الطبع والصواب « جؤية » ، بالياء التحتية المشناة . وهو من شعراء
بنى هذيل . راجع ديوان « الهذليين » الذي أخرجه أخيراً دار
الكتاب المصرية ص ١٩٠ .

وفي صفحة ١٠٣ هذا الشطر لرؤبة :

سيداً كسيّد الردهة المبعوش

بتشديد الياء من كلمة « سيد » والصواب تسكينها ليستقيم وزن البيت من
الرجز مثل كلمة ميت فإنها تقرأ ميت بالتخفيف ، وهما لغتان معروفتان .
وفي صفحة ١٥٨ هذا الرجز :

كنا ذوى ثمة ورمه حتى إذا قام على أتمه

انتزعوه يافعاً من أمه وغلب الأخوال حق عمه

والشعر من بحر الرجز ؛ والشطر الأول منه مكسور على روايتهما ،
ولا يستقيم إلا بروايته على الوجه الآتي :

كنا ذوات ثمة ورمه . إلخ

ويؤيده أن المتكلم امرأة لا رجل

وفي ص ١٦٦ هذا البيت :

ووطئتنا وطأة على حنق وطأ المقيد ثابت الهرم
والشطر الأولى مكسور ، وصوابه :

« ووطئتنا طئة على حنق ، الخ . و « الطئة » بوزن عدة مصدر من الفعل
وطىء ، والبيت من البحر الكامل ووزنه متفاععلن ست مرات . وعروضه
هنا حذاء ، وضربه أحد مضممر . والحذف من علل الحذف في الشعر ، وهو
حذف الوند المجموع ، فتصير فيه متفاععلن إلى « متفا » بحذف العين واللام
والنون .

وفي ص ١٦٧ ورد اسم « مطعم بن عدى » بفتح العين من « مطعم » ،
والصواب كسر العين . وفي ص ١٧٥ (جذب الثمر بعد العتمة) ، وكتبا في الهامش
« في اللسان السمر » . ومعنى هذا أن رواية اللسان لم تعجبهما وهي
الصحيحة . وما جاء في متن « الفائق » في الطبعة الهندية خطأ مطبعي ما كان
لهما أن يجارياه . ففي « النهاية » لابن الأثير مادة « جذب » : « وفي حديث
عمر رضى الله عنه أنه جذب السمر بعد العشاء أى ذمه وعابه » وفي « مسند
أحمد » ج ١ ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ من حديث ابن مسعود « كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يجذب لنا السمر بعد العشاء » . وفي « النهاية » لابن الأثير ج ١
مادة « سمر » : « يقال سمر القوم يسمرون فهم سُمّار وسامر ؛ ومنه
حديث السمر بعد العشاء ؛ وهو حديث الليل » وفي « نيل الأوطار »
للشوكاني ج ١ ص ٤١٥ « عن أبي برزة الأسلمي أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان يستحب أن يؤخر العشاء التي تدعوها العتمة وكان يكره النوم قبلها
والحديث بعدها » . ومن هذا كله وجب أن تكون « السمر » بالسين بمعنى
حديث الليل ، لا بالشاء بمعنى الثمار .

وفي صفحة ٢١٦ هذا البيت :

حتى انتهينا ولنا غاية من بين جماع وغير جماع
وذكر المحققان رواية اللسان :

حتى انتهينا ولنا غاية من بين جمع وغير جماع
وهي أصح وأصوب ، الصحة الوزن ، ولم يشير إلى ذلك . وقد عاد
الزمخشري في ص ٦٦٦ فأعاد ذكر البيت مصححاً كما جاء في اللسان .
وفي ص ٢٤٩ (فلو كتبت إليه أذبح لأهل المدينة شاة) وصواب الفعل
أذبح هنا ان يكون على صيغة الأمر بهمزة الوصل لا القطع .

وفي صفحة ٢٦٦ هذا البيت :

عجرد كالذئب ذى الحصاص يوضع تحت القمر الوباص
وضبط كلمة « عجرد » ، على هذا الشكل بكسر الوزن ، والصواب « عجرد » ،
على وزن « عملّس » .

ويصح أن يبقى ضبطهما مع زيادة واو في أول البيت ليصبح :

وعجرد كالذئب ذى الحصاص يوضع تحت القمر الوباص
و « العجرد » الخفيف السريع والغليظ الشديد ، و « العجرد الجري » ،
(راجع القاموس مادة « عجرد ») .

وفي ص ٢٧٠ ورد اسم « أبيض بن حمال » ، على هذه الصورة ؛ وصوابه
« حمال » بفتح الحاء وتشديد الميم كما ضبط في كتب الرجال . مثل « التهذيب » ،
لابن حجر و « المشتبه » ، للذهبي

وفي ص ٢٧٧ [عن عبادة بن أحمر المازني] وهذا الاسم منقول عن

« غريب الحديث ، لابن قتيبة . والذي فيه — كما ذكر ابن حجر — عباد ابن أحر ، بدون الهاء . وهو خطأ من ابن قتيبة ، صوابه « عماره بن أحر » . وحقق ذلك ابن حجر في الإصابة (ج ٥ ص ١٢٩ — ١٣٠ و ج ٤ ص ٢٧٤) . ولكن ثبت في الموضع الأخير فيها « عماره » بدون الهاء وهو خطأ مطبعي .

وفي صفحة ٣١٠ هذا البيت للعجاج :

خيال تكسني وخيال تكسنا باتا يحوسان أناسا نوّما

وهذا كلام غير مفهوم ، وصوابه :

خيال تُكسني وخيال تُكسّنا لمخ

« وتكسني » ، « وتكسّم » ، عليان من أعلام النساء (راجع القاموس لمادتي

كسني وكسّم) . ولفظه « خيال ، مضافة إلى العلم ، فوجب حذف تنوينها .

وفي صفحة ٣٣١ هذا الشطر :

ما أنا بالجلد ولا الحازم

وصوابه « ما أنا بالجلد ولا بالحازم » ، لأن الأبيات التي بعده من بحر

الرجز ، ووزنه مستفعلن ست مرات . أما وضع البيت على تلك الصورة

فينقله إلى البحر السريع ووزنه مستفعلن مستفعلن فاعلن . وشتان بين

الوزنين والبحرين !

وفي ص ٣٢٧ : (وهي سميتنا اليوم) والصواب « سميتنا » ، والسمة بوزن

ثقة العلامة ، وفعلها وسم .

وفي صفحة ٤١٧ هذا البيت من أبيات :

ولست بخاط خطوة لدنيّة ولا باسط يوماً إلى سوءة يدا

والصواب « لدنيّة » ، على وزن « مزيّة » ، وجعلها « دنياه » ، والبيت على

ضبطهما مكسور ، وبجره من الطويل .

وفي صفحة ٥٨٤ جاء هذا البيت على هذه الصورة :
 بحمد من سنانك لا بدم أباقر إن متَّ على مثال
 وهو وضع غريب لا يفهم معه البيت . والصواب أن يوضع كما يأتي :
 بحمد من سنانك لا بدم أبا قرآن متَّ على مثال
 و « قرآن » على وزن « غفران » علم على رجل ، والمثال : الفراش .
 وفي ص ٧٨٤ هذا البيت :

ضربت بالمرسب رأس البطريق بصارم ذي هبة فتيق
 بكسر القاف من كلمة « فتيق » ، والصواب أن تسكن القاف من كلمتي
 « البطريق » و « الفتيق » . لأن العروض هنا مقطوعة مذالة ، فيجب أن
 أن يكون ضربها في الرجز مقطوعاً مذالاً مثلها . والقطع في الشعر : حذف
 ساكن الوند المجموع مع إسكان ما قبله ، والتذييل : زيادة حرف ساكن
 على ما آخره وتد مجموع . والقاف في هذا البيت تذييل ، فوجب أن تكون
 ساكنة .

وفي ص ٤٩٦ جاء اسم « عبيدة السلمياني » مضموم العين ؛ والصواب
 عبيدة بفتحها كما نص عليه في كتب رجال الحديث .
 وفي صفحة ٤٩٧ :

فأينما كنت من البلاد فاجتنب عزم الذواد
 والنون الثانية من « اجتنب » ينقصها شدة تحت الفتحة . وهي من
 أخطاء الطبع .

وفي صفحة ٤٩٨ :
 وسلاكن أقطار الرقيع على الهوا وبالغيث والأرواح كل مشهد
 والشطر الثاني مكسور .

وفي صفحة ٥٠٦ :

صَلَخْدَا لَوَانِ الْجَنِّ تَعْرِفُ تَحْتَهُ وَضَرْبُ الْمَغْنَى دَفَهُ مَا تَرْمَرَمَا
وَضَبِطُ كَلِمَةِ « صَلَخْدَا » عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ يَكْسِرُ الْوِزْنَ وَالصَّوَابَ
« صَلَخْدَا » وَ « الصَّلَخْدَا » وَ « الصَّلَخْدَا » الصَّلْبُ الْقَوِيُّ .

وفي صفحة ٥٠٧ :

يَنْجَى إِذَا مَا جَاهِلٌ تَرْمَرَمَا شَجَرَا لِأَعْنَاقِ الدَّوَاهِي مَحْطَّمَا
وَضَبِطُ كَلِمَةِ مَحْطَّمٍ بِالتَّشْدِيدِ يَجْعَلُ الْوِزْنَ غَيْرَ مُسْتَقِيمٍ .
وفي صفحة ٥٠٩ : [رَوَايَةُ شَمْرٍ] وَالصَّوَابُ « شَمْرٌ » بَوِزْنِ كَتَفٍ وَهُوَ عِلْمٌ
وَفِي صَفْحَةِ ٥٤٩ هَذَا الْبَيْتُ :
مِثْلُ سَحْقِ الْبُرُودِ عَنِّي بَعْدَكَ الْقَطَرُ مَغْنَاهُ وَتَأْوِيْبُ الشِّمَالِ
وَالْبَيْتُ مَكْسُورٌ ، وَصَوَابُهُ :
« مِثْلُ سَحْقِ الْبُرْدِ » . . . إلخ . وَ « السَّحْقُ » الثُّوبُ الْبَالِيُّ ؛ وَ « الْبُرْدُ »
بَوِزْنِ قِفْلِ الثُّوبِ الْمَخْطُوطِ . وَالْبَيْتُ مِنْ بَحْرِ الرَّمْلِ ، وَوِزْنُهُ فَاعِلَاتِنِ فَاعِلَاتِنِ
فَاعِلَتِنِ .

وفي صفحة ٥٧٠ :

تَنَادَوْا يَا الْبَهْشَةَ إِذَا رَأَوْنَا فَقُلْنَا أَحْسَنِي مَلَأَ جَهِينَا
وَالصَّوَابُ « مَلَأَ » بَوِزْنِ « جَبَلٍ » لَا « مَلَأَ » بَوِزْنِ « سَحَابٍ » لِئَلَّا
يَكْسِرَ الْوِزْنَ . وَفِي الْقَامُوسِ : « الْمَلَأَ » كَجَبَلٍ الْخَلْقَ
وَفِي صَفْحَةِ ٥٧٢ :

فَرَوَى فَوَادَى أَوْ أَثْبَى ثَوَابَهُ فَقَدْ يَمْلِكُ الْمَرْءُ الْكَرِيمُ فَيَسْجِجُ
وَالصَّوَابُ « فَيَسْجِجُ » بِضَمِّ يَاءِ الْمُضَارَعَةِ لِأَنَّ الْفِعْلَ رِباعِيٌّ ، وَالْمَصْدَرُ الْأَسْجَاحُ
وَفِي هَامِشِ ص ٦١٣ :

أرقت في القوم والصبح ساطع كما سطع المرنج شمره الغالي
والشطر الأول مكسور وصحته .

د أرقت له في القوم ، الخ كما في اللسان ٦ ص ٩٧ .

وفي الكتاب جهد آخر بذله المحققان ، وهو نسبة الشعر إلى قائله .
ولكنها لم يتم الفضل فترك بعض الشعر ينتظر ناسبه . وما ضر لو صبرا
قليلا على البحث حتى يخرج « الفائق » فائقاً في كل شيء حتى في نسبة الشعر ،
أو ما كان من حق التحقيق عاينهما أن يمثياً في نسبة الشعر كله على سبيل
واحد ؟ ومثال الشعر الذي لم ينسباه قول القائل ص ٣٦٣ :

ومطر دأ كر شاء الجرو ر من خلب النخل لم ينشد
والبيت لامرئ القيس من داليتة التي مطلعها :

تطاول ليلك بالأمد ونام الخلى ولم ترقد
والبيت كما أثبتاه مكسور لأن همزة « رشاء » يجب أن تثبت ليستقيم
الوزن . ورواية الأستاذ حسن السندوني له :

ومطر دأ كر شاء الحرو ر من خلب النخلة الأجرد
ومثال الشعر الذي لم ينسباه أيضاً قول القائل ص ٤٦٤ :

بكفي سبنتي أزرق العين مطرق

والشعر كما جاء في اللسان مادة « سبت » ، للشياخ يرثي عمر بن الخطاب
رضي الله عنه بقوله :

جزى الله خيراً من إمام وبوركت يد الله في ذاك الأديم الممزق

وما كنت أخشى أن تكون وفاته بكفي سبنتي أزرق العين مطرق

وقيل إن الشعر لمزرد أخى الشياخ . وفي هامش لسان العرب من قول

مصححه الشيخ محمد الحسيني رحمه الله أن الشعر لجزء أخى الشياخ وهو الصحيح . ومن الشعر الذى لم ينسب قول القائل فى صفحة ٦٥ .

وفى كل ماباع امرؤ مكس درهم

وهو للشاعر جابر بن حنى التغلبى وكان صديقا لأمريء القيس . وتام البيت :

وفى كل أسواق العراق إتاوة . . . وفى كل ماباع امرؤ مكس درهم

وهو من شعراء «المفضليات» (راجع الجزء الثانى من المفضليات ص ١١

سطر ٤ طبع دار المعارف وتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون) .

وبعد ، فهذه مأخذ فى كتاب « الفائق » . وما كان منها بد لكتاب لم

يهتد المحققان إلى مخطوطاته . وأين سبيل تلك المأخذ إلى الجهد العظيم الذى

بذلاه ، وإلى الليل الطويل الذى سهره وإلى الأحسان الذى أحسنه إلى

اللغة والأدب . فالفائق كنز لغوى كان من العيب أن لا تخرجه مصر العربية

كتفاء بالطبعة الهندية .

وما هذه المأخذ فى جنب المحاسن الكثر التى يمتاز بها الفائق فى طبعته

الجديدة وفى ضبطه وتحقيقه على وجه لا تعيبه بعض أخطاء من الإنسان

الذى لم تكمله عصمة الرحمن ؟

ومزية « الفائق » ، أنه معجم مقفى على حروف المعجم ، فهو لا يقل عن

« أساس البلاغة » ، « الصحاح » ، « والمصباح » ، لولا أن هذه فى شرح السكلم

العام ، وذلك فى شرح ألفاظ الرسول عليه السلام .

ولنا عند المحققين الفاضلين رجاء ؛ وهو وضع فهرس معجمى عام فى

آخر الجزء الأخير من الكتاب بالألفاظ التى وردت فيه فى مظاهرها وغير

مظاهرها مردودة إلى صفحاتها أو إلى الحرف الذى وردت فيه . حتى يسهل

الاتفاف بالفائق معجما ثميناً من معاجم اللغة .

ولها وللناشر رضا النبى ، وثناء الزمخشري ، وشكر اللسان العربى

الرسالة للإمام الشافعي (*)

إخراج كتاب قديم إخراجاً علمياً حديثاً وحسن القيام عليه ، وترقيته وتبويبه وضبطه وشرحه ، وتحقيق أعلامه وتنظيم فهرسه ليس من الأعمال السهلة الهينة التي يتوقف نجاحها على المادة والورق . ولكنه عمل عظيم يتوقف على علم مخرج الكتاب وتمكنه من مادة الكتاب وسعة اطلاعه على كل ما ألف حول موضوع الكتاب وما كتب قبله وما كتب بعده وتنظيم عقلية المخرج تنظيمياً يبعده عن الجنج إلى الاضطراب والميل إلى الخلط ، وحسن ذوقه في الإخراج حتى يظهر الكتاب شيئاً سوياً يسعف الراغب ، وينجد الطالب ، ويعين على فهم المسائل فيها صحيحاً ، وإدراكها إدراكاً تاماً .

ومن الحظ الحسن أن تتاح هذه الشروط وكثير غيرها لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر القاضي الشرعي الذي قدم إلى علماء الدين ، وأعلام الفقه ، وعشاق الاطلاع العلمي ، وإذا شئت فقل إنه قدم إلى المكتبة العربية هذا الكتاب العظيم للإمام الشافعي فجام بحق مثالا ناطقاً في حسن الإخراج للكتب القديمة على نحو علمي ، ومعلم نظامي .

ولم يدع الأستاذ الجليل هذا الكتاب من غير أن يقدم بين يدي القارئ مقدمة تبلغ الثلاثين صفحة ، ذكر فيها شيئاً عن حياة الشافعي واشتغاره بالعلم والفضل ، ودخوله العراق ثلاث مرات ، وخروجه إلى مصر . ثم ذكر مكانه بين علماء الإسلام ، وموضعه بين أئمة المسلمين فجعله أولى العلماء بأن يقلد ، وأحقهم بأن يتبع .

والحق إن للعلماء في الشافعي شهادات لا تنكر ، وما منهم ألا مثن عليه أو أخذ عنه ، أو آسف على مافاتة منه . فهذا داود بن علي الظاهري يقول في كتاب مناقب الشافعي (قال لي إسحاق بن راهويه : ذهبت أنا وأحمد بن حنبل إلى الشافعي بمكة فسألته عن أشياء ، فوجدته فصيحاً حسن الأدب ، فلما فارقناه أعلنني جماعة من أهل الفهم بالقرآن أنه كان أعلم الناس في زمانه بمعاني القرآن وأنه قد أوتي فيه فهماً . فلو كنت عرفته للزمته . قال داود : ورأيت يتأسف على مافاتة منه)

وهذا أحمد بن حنبل ومقامه بين أئمة المسلمين معروف مشهور . ومكانه في العلم محفوظ مذكور يقول (لولا الشافعي ما عرفنا فقه الحديث) وحبذا لو أطل الاستاذ شاكر في سيرة الشافعي وخرج - ولو قليلاً - عن الصفحات الثلاث التي كتبها في سيرته . ولكنه نستنجزه الوعد الذي أخذه على نفسه بكتابة سيره جامعة خاصة في كتاب مستقل لهذا الأمام الكبير . وفي المقدمة بعد ذلك تعريف بكتاب الرسالة وكيف ألفه الشافعي مرتين . وكيف أملاه على تلميذه الربيع إمام . وهذا الأمام ليس على اليقين ! فليس هناك ما يؤيده ولا ما يدل عليه . وإنما بناه الاستاذ شاكر على الرجحان وليعذرنا في أن نخالفه فيما ذهب إليه فالدليل الذي أتى به لا ينهض وحده على رجحان الأمام .

ويذكر الاستاذ في الصفحة نفسها الاسم الأول للرسالة وهو (الكتاب) كما سماه الشافعي نفسه ويستنبط أنها سميت الرسالة في عصره بسبب إرسالها إلى عبد الرحمن بن مهدي . ويعيب في - هامش الصفحة - على المتأخرين تسميتهم كل كتاب صغیر الحجم بالرسالة ، محتجاً بأن الرسالة من الأرسال . ويكرر فضيلته هذا الكلام في مقال له بالمقطف عن كتاب مسند يعقوب

ابن شيبية [المقتطف . يونيو سنة ١٩٤١ باب مكتبة المقتطف - صفحة ٧٨]
ويحيل القارىء للمقتطف على صفحة ١٣ من كتاب الرسالة التى فيها هذا
الكلام . والحق أن تسمية الكتاب الصغير الحجم بالرسالة ليست (عرفاً غير
جيد) كما يقول الأستاذ . فكل كتاب صغير أو كبير (يرسل) المؤلف فيه
آراءه إلى قرائه أرسالا . ولا يحتج تلك الآراء لنفسه وليس من الضروري
أن يكون المقصود بالارسال الأرسال الحسى الذى فهمه فضيلة الشيخ الجليل .
وفى المقدمة كلبه عن أصل الربيع الذى يوقن الأستاذ أنه كله مكتوب بخطه
وهذا الأيقان لم يكن فيه صاحبه مستأثراً برأيه أو متفرداً بحكمه . ولكنه
أشرك معه أحد أخوانه ممن لهم بصر بالخطوط أو علم بها فوافقه على رأى
الذى ارتآه ، ولم يكن جميلا من الأستاذ لو أنه أشرك معه أكثر من واحد
فإننا نعرف أن آراء خبراء الخطوط قد تختلف فى مسألة يدلى فيها كل بما
عنده . وفضيلة الأستاذ قاض جليل فما باله يأخذ برأى الواحد فى هذه
المسألة ؟ ؟

ويعود حضرته فى صفحة ١٨ فيضيف دليلا جديداً على أن هذه النسخة
من الرسالة هى من أملاء الشافعى نفسه . والدليل أن الربيع لم يترحم على
الشافعى فى كل موضع يذكر فيه اسمه . وحبذا لو كان جاء هذا الدليل فى
موضعه الأصيل مع أخيه الأول فى صفحة ١٢ وهنا يرد الأستاذ على
من يشكون فى تاريخ نسخة الربيع ويخص بذلك الدكتور (موريتز) الذى
كان مديراً لدار الكتب المصرية ومن ذنب مذهبه . ويحتج فضيلته بحجج ،
ويستشهد بصاحب صبح الأعشى . وينشر لوحين مصورتين للموازنة بين
خط وخط [لوحه رقم ١٠ ، لوحه رقم ١١]
(سماعات الكتاب) أثبت الأستاذ شاكر سماعات كتاب الرسالة مرتبة

متسلسلة ، وحذف المكرر منها . وجعل للأعلام الواردة في هذه السماعات
 فهرساً مرتباً على حروف المعجم . ثم ترجم لبعض الأعلام في هوامش المقدمة ،
 وبعض هذه التراجم موجز الإيجاز كله وبعضها جرى فيه الاستاذ على طريق
 الظن ، كترجمته للأمير أبي الحرث عبدالرحمن بن محمد بن مرشد بن منقذ بقوله
 [يظهر أنه ابن أخي الأمير أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ] . وتحقيق
 الأعلام لا يأتي من طريق الظن أو اتفاق الأسماء . وقد يكون صنع الأستاذ
 أجمل لو أنه جعل للتراجم صفحات خاصة من الكتاب كما صنع الأستاذ
 الدكتور سامي حداد في إخراج مسند ابن شيمية

(الرسالة ذاتها) تأتي بعد المقدمة والسماعات واللوحات رسالة الشافعي
 نفسها برواية الربيع بن سليمان ، ويقع هذا الجزء من الكتاب في ستائه
 صفحة لا تخلو واحدة منها من هامش مملوء بالتحقيقات الكثيرة والتعليقات
 ورد الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها أو موازات بين نسخ الرسالة
 المطبوعة والمخطوطة وشروح لبعض غوامض الكلم مع ضبطها . ولقد بارك
 الله في نفس الأستاذ شاكر في الحواشي والهوامش فجاءت صفحات كوامل
 من الكتاب محلاة بقلبه [راجع ص ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ،
 ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢]

ولفضيلة الشيخ باخ طويل في التحقيق والتدقيق ، وعمله في رسالة الشافعي
 هو شاهد على ذلك . هو يجمع إلى مزية العلم وخاصة الصبر على البحث فضيلة
 التواضع . رأى في صفحة ١٥ أن الأجدربه ضبط كل آيات القرآن التي
 يذكرها الشافعي على قراءة ابن كثير ، لأنها قراءة الشافعي ؛ ولكنه أحجم عن
 ذلك كما يقول بنص عبارته (إذ كان شاقاً على عسيراً ، لأنني لم أدرس علم

القرامات دراسة وافية) . وهذه العبارة أكبرت الشيخ في نظري . وجعلته من العلماء عندى في المحل الأوثق والمنزل الأكيد .

ومن فضائل الأستاذ في كتاب الرسالة تلك الفهارس المتنوعة التي عني بوضعها وترتيبها تسهيلاً للباحث وتخفيفاً عليه . ففهرس للآيات القرآنية الواردة في الكتاب ، وآخر لأبواب الكتاب على ترتيبها ، وثالث للأعلام مرتبة على حروف المعجم ، ورابع للأماكن التي ذكرت في الرسالة مرتبة كذلك ، وخامس للمفردات المشروحة في الكتاب وشرحه ، وسادس للفوائد اللغوية المستنبطة من الرسالة .

ولياذن لنا الأستاذ أن نقف عند هذه الفوائد اللغوية وقفة قصيرة ، فبعضها يفيد لأنه ورد على وجه قوى أو استعمال غالب ، وبعضها لا يفيد لأنه ورد على أضعف الروايات في النحو أو أوهى اللغات . وما كان يجدر بمثل الأستاذ شاكر أن يتخذ من هذه الأمثلة الضعيفة الشاذة شواهد على الصحة أو السكثرة الاستعمالية ، وإلا أصبحت اللغة فوضى سائدة ، ونحن في النحو الحديث نحاول أن نوفق بين المذاهب المختلفة ونقضى على الآراء الضعيفة والمذاهب المتهاوية ليحل محلها رأى صحيح أو قول وجيه .

ولقد عجبت أن يكون الشافعي وهو أفقه الناس بالقرآن وأفهم العلماء لسنة رسول الله — عجبت أن يكون ذلك الإمام ممن يجرون في اللغة وراء مذهب فاسد ضعيف ، أو قول مريض عليل . وهو يعلم أن القرآن نزل بأفصح لغة وأسلم لهجة .

وأعجب من ذلك كله ألا يحمل الأستاذ شاكر ما شذ من كلام الرسالة على حمل الخطأ أو الشذوذ أو الضعف — كما يقول في هامش صفحة ٦٥٩ ، بل يجعل ذلك الشذوذ [شاهداً لما استعمل فيه وحجة في صحته] . وهو مذهب

غريب لو جرينا عليه وأخذنا به ما استبحنا لأنفسنا أن نقول في اللغة هذا خطأ وهذا صواب ، وهذا أقوى وهذا ضعيف ، وهذه لغة وهذه لغية . ولجاز لكل نسان أن يحذف النون في الأفعال الخمسة من غير ناصب ولا جازم لأن فعلين وردا على سبيل الشذوذ أو الخطأ النسخي في كتاب الرسالة [مادي ١٦٨٦ ، ١٨٠٨] . ولجاز أيضاً لكل من أمسك قلباً أن ينصب اسم كان المؤخر بعد الجار والمجرور — كما يخطئ كثير من الناس في ذلك — لأن ذلك الاستعمال الشاذ الغريب ورد خمس مرات في النسخة الخطية من كتاب الرسالة التي كتبها الربيع . . . [مواد ٣٠٧ ، ٣٤٥ ، ٤٤٠ ، ٤٨٥ ، ١٤٩٤]

وأشد من ذلك عجباً أن يحتج فضيلة الأستاذ مخرج الكتاب للشافعي بقوله في هامش صفحة ١٧٤ [والشافعي لغته يحتج بها . والذي يبدو لي أن يكون هناك لغة غريبة لم تنقل في كتب العربية من اللغات الشاذة . .] ففضيلته يعترف في هذه العبارة بشذوذ هذه اللغة ، ثم يميز بعد ذلك استعمالها ويتخذ منها شاهداً على صحة استعمالها .

وبعد : فإن كتاب الرسالة للإمام الشافعي قد أوتي من الحظ كثيراً بقيام الأستاذ أحمد محمد شاكر عليه ، وهو يقع في قرابة ثمانمائة صفحة من القطع الكبير وطبع طبعاً معتمداً به ، فخرج سليماً من ناحية ذوقه وفنه ، مضبوطاً محققاً من ناحية مادته وموضوعه . ولقد اقتضى إخراج هذا الكتاب العظيم ثلاث سنوات من جهد فضيلة الشيخ وبخته وسهره وجدده ودأبه ، وهن قطعة من العمر ، وحقبة من الدهر . فآله أسأل أن يبارك في حياة الأستاذ الجليل ، ليتحفنا دائماً ويمتع العقول والأبصار بنتائج بخته وثمرات درسه ، وعليه سلام الله ورحمته .

تصويبات في كتاب الذخيرة

لابن بسام ، المجلد الثاني (*)

أخي الدكتور عبد الوهاب عزام

كان من حظي أن أكتب عن «الذخيرة لابن بسام» ، في مجلة المقتطف شهر يوليو سنة ١٩٤٣ كتابة سمح بها المجال المحدود . وقد أثنت فيما كتبت على جهدك وجهد إخوانك الذين قاموا بضبط هذا الكتاب النفيس وتحقيقه . ولقد وعدت أن أبعث إليك بكتاب خاص أصحح فيه بعض أخطاء في الطبع وقعت في الكتاب ، على الرغم مما بذلتم من الجهد المشكور . إلا أنني فهمت من مقال لكم بالرسالة أنك بعيد عن القاهرة إلى ثغر لا أعرف عنوانك فيه ، فرأيت أن ألقاك على صفحات «الرسالة» لقاء عاماً لا يغضبك ، لأنني أعرف عن رحابة صدرك وسماحة خلقك وحبك للعلم مالا ينزلك منازل الغاضبين من أهل الادعاء ؛ ولأنني لقيت قبلك الدكتور محمد مصطفى زيادة لقاء عاماً في العدد (٥٢٢) بشأن تصويبات في «كتاب السلوك» ، فما غضب ولا سخط كما يفعل المغرورون ، ولكنه سر وفرح وسعى إلى ليشكرني مام الأستاذ أحمد الشايب وبعض الزملاء ، فأكبرت عليه وتواضعه ، ولا شك أنك ستهلل لهذا اللقاء ، لأنه يسرك أن يكون العمل الأدبي الذي أشرفت عليه أنت وإخوانك الكرام في «كتاب الذخيرة» عملاً يقرؤه الأدباء والمتأدبون ، فيرضون عنكم ويستزيدونكم لتخرجوا كنوز تراثنا العربي سليمة مما يشوهها أو ينتقص من جمالها .

(*) طبعة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول . تحت إشراف الدكتور عبد الوهاب عزام بك
وجماعة من الأساتذة .

ولا أحب في هذا المقام أن أكون مديعاً ، أو أن تفهم أنت يا أخى
أنى مديع لهفوات فى الكتاب لم تقصدوا إليها ، ولكن الله شاء — كما يقول
محمد بك رشدى فى كتابه فن القضاء — أن يحكم على الكتاب العربى
ألا يكون سليماً من أخطاء الطبع وألا يخلو من جدول للخطأ والصواب ،
وألا يسلم من قيام بعض القراء على تصحيحه مهما بذل فيه من جهد . وذلك
شئ لا يكاد يوجد فى الكتب الأجنبية التى تعرف عنها كثيراً ، وتقرؤها
كثيراً فلا تجد الـ H وضعت فى موضع الـ K ، ولا تجد الـ M نزلت
منزل الـ N ، كما نجد فى الكتاب العربى كلمة ميزاب وضعت موضع
ميراث . . . ولا أزيدك !

ورد فى صفحة ١٠ سطر ٤ البيت الآتى :

أبالك أن تهاض علاك عهد هشامى وجـد هاشمى

« وأبالك ، هنا فعل ماض يكتب بالياء لا بالالف ومضارعه يأبى . أى
أن الذى منع هبض علاك علو شرف آبائك .
وفى ص ٣٨ س ١٧ ، « أعطى الملك محبٌ ، بشده فضمة . والصواب
بضمين هكذا « محبٌ » .

وفى ص ٢٩ س ٦ ذكرتم ابن فتوح بشدة على التاء . ولكن فى ص ٢٧٤
عدتم فذكرتموه ثلاث مرات بضممة على التاء من غير شدة ، فأيهما الصحيح ؟
وفى ص ٤٠ س ١٥ :

لما رمته العيون ظالمسة وأثرت فى جماله الخدق

والصواب : وأثرت بقاء التأنيث الساكنة لا بقاء المتكلم

وفى ص ٤٣ هذا البيت الناقص :

..... فقلت لها يا قلبها أحديد أنت أم حجر ؟

ولم تكملوا هذا البيت الناقص على كثرة المراجع في مكتبة الجامعة ، وقد
عجزت أنا وكثير من الأساتذة والأدباء عن إكماله . فلعل من القراء الكرام
من يكمله ، وهو — كما جاء في الذخيرة — للأيامون لحارثي

وفي صفحة ٤٤ س ١٣ : قتلوا قرة عيني ومن أجلى قتلوه

ووضع السكون على « من » يكسر البيت . والصواب وضع فتحة على النون
وجعل الهمزة في كلمة أجلى همزة وصل . ومثل ذلك ما حدث في ص ٦٩
س ٤ ؛ فالشطر : وخذ على الريق من أسبابه

وصوابه : وخذ على الريق من أسبابه

وفي صفحة ٧٧ س ٢ ، ضبطتم الفعل مت بضم الميم ، والأعلى كسرهما
كما في قراءة حفص « ياليتني مت قبل هذا ،

وفي ص ١٣٣ س ١٠ « أن لم أجد التأبين فأجد البكاء والحنين ، وأن لم
أحسن التملق والأطراء فأحسن الخلوص والدعاء » ، ولم أجد منكم تعليقا
على الفاء هنا في جواب الشرط فليس ذلك من مواضعها ، وما الذي جزم
الفعلين أجد وأحسن ؟

وفي ص ٢١٥ س ١٦
عساك بحق عيساك مريجة قلبي الشاكي
بفتح الميم من مريجة . والصواب ضمها لأنها اسم فاعل من الفعل أراح
من الراحة .

وفي ص ٢٢٢ س ١
فكم صاغتني في منها يد المني وكم هب عرف اللهو من عرفاتها
والصواب منها بكسر الميم ، وهو المكان المشهور في الحجاز بدليل
كلمة عرفات في الشطر الثاني

وفي الصفحة نفسها س ١٢

ولى أمل أن يُسعدَ السعد نلتُهُ وَيَفْهَم سرَّ النفس في رمزاتها
والضبط كله مُختل وصوابه :

ولى أمل إن يُسعيد السعد نلتُهُ وَيُفْهَم سرَّ النفس في رمزاتها
لأن كلمة إن في الشطر الأول شرطية ، فهو يقول إن ساعدني الحظ
السعيد نلت . والفعل يُفْهَم مبنى للجهول وكلمة سر نائب فاعل ،
والمعنى أن سر النفس يُفْهَم بما ترمز به .

أما تعليقكم على هامش الكتاب رقم — ه — فلا معنى له .

وفي ص ٢٣٠ س ١٠

دَوَيْنَ السكيب الفرد قَضْب وكشبان

والصواب دَوَيْنَ بضم الدال وهي مصغر كلمة « دون » .

وفي ص ٣٢٢ س ١١ هذا البيت .

لم أر أن أكون من رواته إذ هو معدود في هناته

والبيت كما ترون مكسور في شطره الثاني ، ولم أعرف صحته

وفي ص ٢٢٨ س ١٥ « ونورها إذا مُتْنَا بِنِئَا ، والصواب متنا بكسر

الميم كما تقدم .

وفي ص ٢٣٦ س ١٠

لم يَحْنَك نائلِك السحابُ وإنما حُمَّتْ به فصبيها الرخصاء

والصواب الرخصاء بالحاء المهملة والضاد المعجمة .

وفي ص ٣٣٨ س ١

فأن كسدت أعلاق على عليهم فلا غرو أن يكسد لدى النعم الشذر

والصواب إن يكسد لأنها إن الشرطية
 وفي ص ٢٨٦ س ١٣ .
 أيها العائب العذا ر وذو الجهل غائبه
 بتنوين اللام الأخيرة من كلمة الجهل ، والصواب حذف التنوين .
 وفي ص ٣٩١ س ١٥ « فشبهه تبرك مُتَسَلِّوْا » . ولم أفهم معنى هذه الكلمة
 ولعلها مجلّو آ كما في الهامش .
 وفي ص ٣٩٤ س ١٥ .
 أو تباكر صَيْنِدَ أَلْمَا فابنُ حَجَرٍ أو تبكى الديار فابن خِذَام
 وابن حجر هو امرؤ القيس الشاعر الجاهلي فهل هو بفتح الحاء من
 حجر كما ضبطتم ؟ والياء في الفعل تبكى لا داعي لها لأن الفعل مجزوم عطفاً
 على ما قبله . والصواب كتابتها هكذا « أو تَبْكِ » . ولا ينكسر البيت على هذا
 وفي ص ٤٠٢ س ١٨ .
 قل لأبي يوسف المنتقى الفاضل الأوحى في عصره
 وضبط الفاء من يوسف بالفتح خطأ ، لأن البيت ينكسر على هذا
 الضبط ، والواجب أن ينوّن هذا العلم « أى يصرف ، ليستقيم الوزن ،
 فالآيات من بحر السريع كما لا يخفى .
 والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قوانين الدواوين (*)

بعد كتاب «قوانين الدواوين» وثيقة تاريخية عظيمة الخطر لأقسام مصر الجغرافية وأحوالها الزراعية ونظام الإدارة والحكم فيها في القرن السادس الهجري أيام الدولة الأيوبية التي لم يصلنا عنها إلا النزر اليسير. وقد كان للؤلف مشاركة في الدواوين المصرية حتى ولى رياستها في عهد الأيوبيين. وأضيف إليه ديوان الجيش وديوان المال. فهو عريق في مناصب الدولة الكبرى، ولذا كان لكتابه قيمة كبيرة. فأحاديثه عن أحوال الدواوين في مصر هي أحاديث الخبير المطلع على الأمور

ومن هنا كان اهتمام المغفور له الأمير عمر طوسون بنشر هذا الكتاب عظيماً، ومقصده أن ينتفع به قراء العربية والمشتغلون بشؤون الزراعة والتاريخ.

وكان للأمير الراحل فضل البدء في تحقيق الكتاب وتنقيحه قبل إعداد أصوله للطبع. ولما بلغه أن الدكتور عزيز سوريال عطية، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة فاروق الأول بالاسكندرية معنى بهذا الكتاب وكل إليه أمر إنجاز العمل عن حسن تقدير، فبذل الدكتور جهوداً مضافية لم يفث سمو الأمير أن يشير إليها في مقدمة الكتاب.

ونحن إذا أشدنا بأشارة الأمير على الجمعية بنشر الكتاب، وأشدنا بمجهود سموه في التنقيح زمنياً، وأشدنا كذلك بمجهود الدكتور

(*) تأليف ابن ممانى - تحقيق الدكتور عزيز سوريال عطية. وقد نشر هذا النقد في مقتطف مارس سنة ١٩٤٤ قبل أن تنشر مجلة الثقافة نقداً لناقد آخر.

عزيز سوريال بعد ما استقل بالعمل ، فإن ذلك كله ليس بمانعنا من أن نصرف إلى هذا الكتاب المهم عناية خاصة فنقول فيه كلمة لا تنقص من قيمة الجهد المبذول ، بل على الضد من ذلك تعلى من قيمته .

والحق أن أصول الكتاب ونسخه الخطية كانت — كما يلوح لى — على حال لا يستقيم معها إخراج الكتاب فى سهولة ويسر . ولذلك أثر الدكتور عزيز سوريال أن ينشر النص دون تصويب إلا ما لا بد منه ، معترداً لذلك بأن يظل الكتاب محتفظاً بقيمته الأثرية أو أسلوبه الأثرى . وهذا موضع نظر : فإن أقدم مخطوطة للكتاب ليست بخط مؤلفه ابن مئان بل كتبت بعده بما يزيد على قرن . فما قيمة الاحتفاظ بأسلوب أثرى ليس للمؤلف الأصلي يد فى مسخه وتحريفه ؟

والآن نذكر ملاحظتنا :

(١٠) (ترجمة المؤلف) رجع الدكتور إلى شذرات ذات قيمة فى حياة ابن مئان فى « وفيات الأعيان » و « خطط المقرئى » و « معجم الأديباء » . ولكن يظهر أنه عنى له بعد إنجاز الكتاب شذرات أخرى كالوفاى بالوفيات للصفدى . وقد وعد بنشرها مستقلة تكملة للكتاب . وما كان أجمل لو أن الناشر استوفى ترجمة ابن مئان ووضعها فى أول الكتاب فلم يعتمد إلى الإضافة والتكميل مما يدل على تأخر فى الأهمية .

وفى كتاب السلوك للمقرئى إشارات موجزة إلى ابن مئان ص ١٠٥ سطر ٤ ، ص ١٣٨ سطر ١١ ، ص ١٦٥ سطر ٦ وفيها ذكر القبض عليه وتعليق رجليه ، و ص ١٩٢ سطر ١٢ وفيها ذكر فراره إلى حلب .

وتذكر أيضاً أنه جاء فى « السلوك » ج ١ ص ٥٨ ذكر للخطير مذهب

ابن ممتى وقد علق عليه الدكتور محمد مصطفى زيادة ناشر الكتاب بقوله
(لعله ابن ممتى صاحب كتاب قوانين الدواوين) والصواب أنه والده .

ولم يتعرض المستشرق نيكلسون لذكر ابن ممتى ، على حين أن الأستاذ
« هيوار » ذكره في كتابه المشهور ص ٢٠١ ، وهو يشك بقيمته الشعرية .
على أن القليل الذى وصل إلينا من شعره لا يجعلنا نطمئن إلى حكم « هيوار »
Huart على العلات .

(ب) (تحقيق وفاة ابن ممتى) يذكر الدكتور عزيز أن ابن ممتى توفى
بحسب سنة ٦٠٦ هـ نقلا عن معجم الأدباء ، وهذا يوافق ١٨ نوفمبر
سنة ١٢٠٩ م . ثم يعود الدكتور عزيز فى هامش صفحة ٢٢ من المقدمة
فيذكر أن تاريخ وفاته على حسب رواية ابن خلكان هو ٣٠ من نوفمبر
سنة ١٢٠٩ م . وهذا يوافق ما جاء فى كتاب « هيوار » . ولكن السيوطى
يذكر فى « حسن المحاضرة » ج ١ ص ٣٢٥ طبعة الوطن ، أن لابن ممتى
توفى سنة ٦١٦ هـ . وهو تاريخ علق عليه الدكتور بكلمة « كذا » . ولست
أرى ما يمنع صحة هذه الرواية . فقد روى ابن دقاق صاحب كتاب
« الانتصار » أبياتا لابن ممتى يمدح فيها الملك الكامل . وهذا الملك استقل
بملك مصر فى يوم الجمعة ٧ جمادى الآخرة سنة ٦١٥ هـ (النجوم الزاهرة
ج ٦ - ص ٢٢٧) .

والدكتور عزيز يشك فى صحة هذه الأبيات لا لسبب ظاهر إلا أنها
تؤيد رواية السيوطى فى تاريخ الوفاة .

ويلوح لنا أن الدكتور عزيز ألم يهذل من الجهد فى تحقيق وفاة ابن ممتى
كل ما هو حقيق بطول أناته وسعة علمه . ولقد رجعت إليها فى ابن الأثير

طبع أحمد الحلبي سنة ١٣٠٣ هـ فلم أجد لها ذكراً في حوادث سنة ٦٠٦ هـ ولا في سنة ٦١٦ هـ . ورجعت إليها في كتاب « روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر » لابن الشحنة فلم أجد لها ذكراً . ورجعت إليها في « تاريخ أبي الفداء » طبعة دار الطباعة بالقسطنطينية فلم أجد لها أيضاً ذكراً . وما يشير العجب أن المقرئ في كتاب « السلوك » لم يذكر وفاة ابن مئان في حوادث سنة ٦٠٦ هـ ، ولكنه ذكر في حوادث سنة ٦٠٧ هـ وفاة يوسف بن الأسعد بن مئان . . .

أما ابن الهماد الحنبلي صاحب « شذرات الذهب » فقد ترجم لابن مئان ترجمة مختصرة (ج ٥ ص ٢٠ طبعة القدس) وذكره في وفاته سنة ٦٠٦ هـ . وهو ناقل عن ابن خلكان بالتحقيق لأنه لم يذكر من مؤلفاته غير الكتابين اللذين ذكرهما ابن خلكان وهما : « نظم سيرة صلاح الدين » و « نظم كتاب كلية ودمنة » .

(ح) (ضبط الشعر في الكتاب) الشعر الوارد في المقدمة محرف مكسور في الجملة . ومع أن الناشر يصحح كلمة في بيت « ليستقيم بها المعنى والوزن » (ص ٤٦٨) فاته أشياء في الشعر الوارد كله ، ففي ص ١٦ :
منه رأينا الصبح تزدا ن وتزداد انفراشاً
وصوابه : منذ رأينا الصبح يزدا ن ويزداد انفراشاً
والتصويب عن « معجم الأدباء » طبعة رفاعي لا طبعة مرجوليوث التي رجع إليها الأستاذ عزيز .

وفي ص ١٧ ضبط البيت الآتي هكذا .

ورأى أن يرسل الأسهم بالبرد فراشاً

وصوابه بالبرء بسكون الراء .

وفي ص ١٧ أيضاً :

وأنست الصبي الصبا وأذكرت جهنما

وصوابه : وأنست الصبي الصبا

ومن التحريف في الشعر ص ١١

كفر النصرارى بعدما عذروا به دين المسيح

والصواب . غدروا بمعنى خانوا

وفي ص ١٦ (هذا البيت في هجاء رجل) : —

ففي أفعاله تورا وفي ألفاظه بردى

ويضبط الدكتور « تورا » بالثاء المثناة الفوقية . ويعلق في هامش

ص ٢٠ مع بعض التسرع : [في الأصل « ثورا »] . وهو خطأ والصواب

« ثورا » بالثاء المثناة . راجع مادة « ثورا » ، « معجم البلدان » ، طبعة الخانجي .

وهو نهر بالشام . وقد صنع فيه العباد الأصغفاني بيتاً يقول فيه

يزيد اشتيساقى وينمو كما « يزيد » ، « وثورا » ، « شور

(ويزيد : اسم نهر بالشام أيضاً .)

ويذكر الدكتور بيتين نسباً إلى عمارة اليمنى حين أمر « شيركوه » ، النصرارى

في مصر بلبس الغيار والتعمم بغير عذبة وهما : —

يا أسد الدين ومن عدله يحنظ فينا سنة المصطفى

كفى غياراً شد أوساطنا فما الذى يوجب كشف القفا ؟

وكان يحسن بالدكتور أن يحقق هذا ؛ فظاهر الشعر يوم أن عمارة كان

بصرانياً . وذلك لم يقل به أحد ، فهو عريق في الإسلام (راجع وفيات

الأعيان ج ٢ ص ٨٦) . والدكتور يروى عن ياقوت ، وعبارة ياقوت فيها خلط . وحق هذا الشعر أن يكون لابن ممتى أو لأبيه المذهب لأنهما كانا غير مسلمين ثم أسلماً

د - (النظر فى المتن) رجع الناشر فى تحقيق أسماء النواحي إلى مؤلفات أخرى ، وهو سعى جليل . ولو فعل ذلك فى أسماء النبات أيضاً لكان أتم . ولو جرى على رسم واحد فى كتابه لكان أكثر اطراداً وأوفى مراداً . ولكنه تارة يرسم هاتور : هتور ، والقراصية : القراصيا ، وزهرة المنشور : المنتور ، وتارة يذكر : التفاح القاسمى ، ثم يعود فيقول عنه : التفاح الشامى . والصواب القاسمى . (راجع « نزهة الأنام فى محاسن الشام ») . وتارة يذكر : التين البونى ، وهو خطأ وضوابه : البرزى ، نسبة إلى برزة ، من متنزهات الشام . (راجع ص ٢٦١ من « نزهة الأنام »)

وفى ص ٨١ جاء فى متن الكتاب (- وبها - أى بمصر - الأفيون ، وبها القرط) ويفسره الدكتور فى الهامش بأنه لجام الفرس !! مستعينة فى ذلك بالقاموس المحيط ، فما معنى قول ابن ممتى بعد ذلك « وليس فى الدنيا قرط تشد عليه الخيل ألا فى مصر » . فهل معنى هذا أنه ليس فى الدنيا لجام تشد عليه الخيل ألا فى مصر ؟ الحق أن القرط وزان قفل نبات شبيه بالزطبة واسم حبه البرسيم . راجع « المخصص » . ومعنى « تشد » هنا أى تقوى عليه الخيل (راجع « القاموس » مادة : الشدة)

ه - (الأخطاء النحوية) أثر الناشر ألا يتعرض لتصويب أخطاء الكتاب النحوية واللغوية . ولكنه عمد أحياناً أخرى إلى التصويب . فلم لا يجرى على قاعدة سواء ؟ وكيف يترك الأستاذ الدكتور أمثال هذه الأخطاء من

دون تصويب : - « تختلف باختلاف سنيته ص ٢٧٦ » . « وقي وُجد شيئاً ص ٣٢٩ » ، « وأربع مثاقيل ص ٣٣١ » ، « لهذا الحراج ص ٣٤٥ » ، « و البطة خمسين رطلا ص ٣٦٥ » . إن ابن ماتي هو الأديب الشاعر الرئيس العين الجليل الكبير المنزلة (كما نعمة ياقوت) فكتبابه — عندنا برى مما تركه الأستاذ الدكتور بحجة الأبقاء على أسلوبه الأثرى وإن كانت هذه حجة بعض الناشرين من الأفرنج .

أما الآيات الناقصة المخلعة في ص ١٧٠ المنسوبة إلى أبي الفضل الأدفوى في فضل مدينة قوص فلا يحسن تركها على هذه الصورة ، فإنها لأبي الفضل الأدفوى مؤلف كتاب « الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد » . والمتوفى سنة ٧٤٨ هـ وهي مذكورة كاملة صحيحة سليمة في كتابه ص ١٥ (طبع المطبعة الجمالية) .

وبعد فهذه ملاحظات لم نربدا من ذكرها حتى تتم الفائدة للقارئ فيضيفها إلى جهد الأستاذ الدكتور عطية ، وهو جهد ملهوس في ثنايا الكتاب عندمراجعة النسخ المخطوطة ومعارضة بعضها ببعض ، وفي آخره عند تدوين المسارد (الفهارس) . وهي ثمانية مقسمة إلى فنون مختلفة بين أسماء الأعلام ، والبلدان ، والخلجان والترع والجسور والنبات والزرع ، فضلا عن الأقسام الإدارية والألفاظ المستعصية . والكتاب أخيراً مرجع نفيس .

المفضليات (*)

المفضليات هي مجموعة من التصانيد العربية يبلغ عددها ١٣٠ قصيدة قيل أنها من اختيار المفضل الضبّي من رواة القرن الثاني الهجري ، وقيل أنها ليست كلها من اختياره .

وقد طبعت المفضليات في مصر مرتين : أولاها في سنة ١٢٢٤ هـ وثانيتهما في سنة ١٢٤٥ مع شرح وجيز في كل من الطبعتين . إلى أن دفعت الغيرة والحفاظ الأدبي الأستاذين أحمد شاكر وعبد السلام هارون إلى إظهارها في ثوب طريف معتنى بالقيام عليه والتحقيق فيه . وذلك عمل ليس بالهين وجهد ليس بالضئيل . وإني لأتصور الشارحين وهما — في سبيل عملهما — ينقبان بين الكتب ، ويقضيان الساعات بين المراجع والشروح والمراجع والتراجم ، حتى يتم عملهما على أكمل وجه من وجوه التحقيق الذي نحتاج إليه اليوم في إبراز التراث العربي القديم .

وتحقيق متن هذا الديوان يحتاج من الجهد والصبر وحسن النظر والفهم إلى مقدار اجتمع منه للأستاذين أوفر نصيب . تشهد بذلك الكتب التي أخرجها مجتمعين أو منفردين . وكتاب « لباب الآداب » لأسامة بن منقذ الذي أخرجه شاكر ، و « الحيوان » للجاحظ الذي أخرجه عبد السلام هارون هما أصدق مثال على ما نقول .

ومن المخرجين المحدثين للكتب من يريحون أنفسهم ليضنوا القارئ ويتعبوه . ولكن الأستاذين ممن يتعبون أنفسهم ليريحوا قراءهم ، وهو نعب يهوّنه عليهما رضى الأدب اللباب عنهما .

(*) المفضل الضبي . وتحقيق وشرح الأستاذين أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام محمد هارون

أليس من التعب والجهد ألا يكتفى الأستاذان بتحقيق المتن والشرح ،
 فيضيفا فهرس طيبة بالشعراء ، والقوافي والبيئات التي وردت في الشعر
 ولم ترد في المعاجم ، والأوصاف المختلفة والتشبيهات المأخوذة من البيئة
 العربية ، ومواضع الفخر والمعاني العامة التي توارد عليها شعراء المفضليات ؟
 وكان يكون عمل الأستاذين أجمل وأشفي لحاجة النفس لو أضافا فهرسين
 آخرين : أحدهما للمعاني المشتركة أو المتداولة التي اشترك فيها شاعران أو
 أكثر ، وثانيهما للعبارة المشتركة التي لم يختص بها شاعر وحده أو يستأثر
 بها دون غيره ولسكنها وجدت سبيلا إلى كل شاعر .

فمن العبارات المشتركة في الشعر الجاهلي هذه العبارة : « تبصر خليلي
 هل ترى من ظعائن » للشاعر المرقش الأصغر . ص ٤٥ سطر ٤ ، والشرط
 بنصه ورد في معلقة زهير حيث يقول :

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن تحملن بالعلياء من فوق جرثم
 (شرح القصائد العشر للتبريزي ص ١٠٣ المطبعة السلفية) . ثم
 البيتان :

أعددت للأعداء موضونة فضفاضة كالهي بالقاع
 أحفزها عني بذى رونق مهند كالملاح قطاع
 ص ٨٤ سطر ٦ يكادان يتفقان لفظاً مع قول حسان بن ثابت :
 لقد غدوت أمام القوم منتصفا بصارم مثل لون الملح قطاع
 تحفز عني نجاد السيف سابغة فضفاضة مثل لون النهى بالقاع
 (ديوان حسان ، شرح محمد العناني الضابط ، ص ١٠) .

ومن المعاني المشتركة قول المرقش الأصغر .
 فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً

(المفضليات ص ٤٧ سطر ١) ويشبهه قول الشاعر :
والناس من يلقى خيراً قائلون له ما يشتهي ولأم المخطيء الهبل
ومن المعاني والعبارات المشتركة قول المرقش الأصغر :
دما بدم وتعفى الكوم ولا ينفع الأولين المهمل
(المفضليات ص ٥٠ سطر ٢) ويشبهه قول زهير بن أبي سلمى في معلقته
تعفى الكوم بالمئين فأصبحت ينجمها من ليس فيها بمجرم
(جمهرة أشعار العرب — المطبعة الأميرية ، ص ٤٩) .
ومن المعاني والعبارات المشتركة قول الخصفي الحاربي ص ١٢٠ سطر ٨ :
لنا العزة القعساء فخطم العدى بها ثم نستعصى بها أن نخطأ
ويشبهه الجملة الأولى من البيت قول الفرزدق :
لنا العزة القعساء والعدد الذي عليه إذا عد الحصى يتخلف
(شرح ديوان الفرزدق — طبعة الصاوي ص ٥٦٦ — السطر الأول
من الهامش) .
والمعاني والعبارات المشتركة كثيرة جداً في المفضليات ، وما كان
أحوجها إلى مسرد نفيس جديد في نوعه من صنع الاستاذين .
وقد لجأ الشارحان في كل قصيدة إلى عمليين جليلين : شرح الجو الذي
قيمت فيه القصيدة ، والدواعي التي نزلت بها الشاعر إلى قولها ، وتخرج القصيدة
في كتب السير والأدب والدواوين واللغة وغيرها . وهذا العمل الثاني يقتضي
من الجهد والضمي ما يستحق عليه الناشران التهنئة والتقدير .
وما دام الكتاب ديواناً للشعر الجزل الرصين فكما نرجو أن يضع
الشارحان جدولاً في ذيل الكتاب بالزحافات والعلل التي وردت في النص
حتى يكون القارئ على بصيرة منها فلا تشوش عليه موسيقى الشعر . وقد

يعتذر الشارحان بان هذا ليس من سبيل عملهما في إخراج ديوان. ولكنهما شرحا وعلقا وحققا واستحدثا فها رس لم يسبقا إليها في إخراج ديوان شعري، فما ضر لو أضافا إلى الفضل فضلا؟

ومن هذه الزخافات والعلل والعيوب الشعرية التي لم يتعرض لها أصلا: سناد الأشباع ص ٢٦ سطر ٨. ففي البيت اختلاف حركة الدخيل بحر كيتين متقاربين في الثقل. وقد وقع هذا العيب في ص ٨١ البيت الخامس، وفي صفحة ٣٣ البيت الرابع.

ومن العلل «الخرم» الوارد في ص ١١٧ سطر ١ وفي ص ١١٨ سطر ٤ أما البيت المشهور للبرقش الأكبر:

النشر مسك والوجوه دنا نير وأطراف البنان غم
فقد ذكر الشارحان في الهامش ص ٣٨ أن كلمة دنانير يقرأها كثير من الناس مصروفة وهو خطأ - اهـ. وهذا صحيح. ولكن ما بالها استعمالها هذا الخطأ في صفحة ٣٩ المقابلة. فقد أوردا البيت:

بيض مصاليت وجوههم ليست مياه بجارهم بعهم
بصرف كلمة مصاليت. والصواب منعها من الصرف مع استقامة الوزن. فالقصيدة من البحر السريع. وتقطع الشطر الأول: مستفعلن مفتعلن فعلن. وذلك مأخذ ما كان ينبغي أن يفوتها.

وبعد. فالمفضليات في ثوبها الجديد عمل يهنا عليه الشارحان. والكتاب لا غنى عنه للأديب الذي يود الاستيثاق من لغته الشريفة والتسكن من أساليبها القديمة التي هي ثروة الكاتب وعدة الأديب.

وفق الله الاستاذين إلى إتمام عملهما بنشر كتب المتقدمين نشرأ مثل هذا تطمئن إليه النفس ويعتمد عليه الباحث.

ديوان منسوب للمعري (*)

عرفت من أحد علماء العربية مشافهة أن المخطوط المنسوب لأبي العلاء ليس عليه تاريخ يعين زمانه ، وأن به مقدمة قصيرة ، وأن الخط المكتوب به بقلم النسخ القريب من خطوط القرن العاشر فما بعده .

أما المقدمة القصيرة فقد نشرتها «المقتطف» ، وهي ليست من أسلوب أبي العلاء بسبيل . فإن عبارات التحميد ليست مما جرى عليه المعري في مقدمة «سقط الزند» ، ومقدمة «لزوم ما لا يلزم» . فهو في هاتين المقدمتين بعيد عن التحميد ، وإن كان يختمهما بطلب التوفيق من الله . أضف إلى هذا ورود لفظة «أشغل» وهي لغة رديئة في «شغل» .

وهناك أمور تجعل القارئ في شك مريب في نسبة هذا الديوان إلى أبي العلاء المعري . وقد يكون «لأبي علام معري» آخر ممن ولدوا بالمعرة واشتركوا مع شاعرنا المشهور في الكنية والنسبة وعاصروه أو تأخروا عنه ، مثل أبي العلاء بن أبي الندى ، وأبي العلاء أحمد بن أبي اليسر ، وأبي العلاء بن عبد الله بن المحسن وغيرهم .

ومما يحمل على الشك في نسبة هذا الديوان إلى شاعرنا المعري التنوخي أمور منها :

١ — أن طريقتيه التي التزمها من حبك أول البيت وآخره هي طريقة متأخرة لم تكن معروفة في عهده . والمتتبع لتطور الشعر العربي يلاحظ أن «الحبك البديعي» لم يظهر قبل عصر «صفي الدين الحلي» من شعراء القرن الثامن (٦٧٧ — ٧٥٠) . ولعل «الحلي» أول من استعمل «الحبك»

في شعره . وكان ذلك في قصائده المعروفة ، بالارتقيات ، التي مدح بها المنصور أحد ملوك الدولة الأرتقية بماردين . على أن طريقة الحبك هذه لم تجد لها — بعد صفي الدين الحلي — سوقاً رابحة عند الشعراء وعلماء البديع . فإن تقي الدين بن حجة الحموي (٧٦٧ - ٨٢٧ هـ) لم يشر إليها في « بديعته » ولا في شرحها المعروف (بخزانة الأدب) مع أنه أورد فيها مائة واثنين وأربعين نوعاً من البديع . ولعل هذا يدل على أن تلك الطريقة غير متأصلة في أدبنا .

ولقد قال — وقد يقول قائل — إن الأخذ ، بالحبك ، والنزاهة والتزام العدد نوع من « لزوم ما لا يلزم » ، الذي أخذ أبو العلاء به نفسه في كثير من شعره . ولكن الرد على هذا أن التزام ما لا يلزم هو شيء شرحه المعري في مقدمة اللزوميات شرحاً فائضاً . وهو شيء يتعلق بالقافية فقط وما يتصل بها من الروي . أما أوائل الأبيات واتفاقها بعضها مع بعض واتفاقها مع أواخر الأبيات ، والتقيد بعدد معين من الأبيات في كل قصيدة ، فذلك ليس من « لزوم ما لا يلزم » في قليل ولا كثير .

٢ — هذا الديوان في الغزل وفيه صبايات وأشواق لم تعرف عن أبي العلاء المشهور . وليس معنى هذا أن أبا العلاء لم يتغزل قط . فله القافية التي أولها : « زارت عليها للظلام رواق » ، وله الضادية التي أولها : « منك الصدود ومنى بالصدود رضا » ،

وأبو العلاء أعقل من أن يعنى نفسه بغزل متكلف ، وأن يختص به ديواناً برمه . فقد صح له بعض الغزل والشوق الملح إلى المعرفة ، كقوله وهو في الكرخ مخاطباً البرق :

فهل فيك من ماء المعرفة قطرة تغيث بها ظمآن ليس بسالي

٣ - يقول في المقدمة : أن هذا الديوان في التشويق إلى حلب ونواحيها .
وليس فيه إلا بيتان اثنتان فيهما إشارة إلى ذلك ، ذكرهما الأستاذ أسعد
طلس في كلمته التي قدم بها بين يدي الديوان . على أن المعري في شعره
الصحيح في الحنين إلى وطنه يصرح بذكر المعرة ولا يذكر حلب ، كما
تقول مقدمة الديوان . ومن شعره في المعرة غير ما أوردته سابقاً قوله :
سرى برق المعرة بعدوهن فبات برامة يصف الكلالام

٤ - في الديوان أخطاء في اللغة والنحو تعجب من صدورها من أبي
العلاء المعروف بعلمه الواسع . وفيه تساهل وتجاوز لم يعرف في عصر أبي
العلاء فهو يقول : « وقلبي إلى نحو الأجابة مجذب » . والصحيح أنها مجبوز
بمعنى مجذوب . لأن الفعل ثلاثي لازم رباعي . ويقول : (فما استنشقتها الريح
إلا وهبت) ، والواو هنا بعد إلا لحن لا يفوت على مثل أبي العلاء . قال
تعالى : « ما يأتهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون » .
ويقول : « قفوا وانصفوا » بهمزة الوصل ، والصحيح قطع الهمزة لأن
الفعل رباعي . وكان الأولى أن يقول : « قفوا أنصفوا » . بحذف واو
العطف ليتم القطع . ثم يقول : « وما المبتلى والمستريح سواء » برفع سواء .
والأولى نصبها على لغة الحجازيين الغالبة ، لارتفاعها على لغة تميم .

٥ - في الديوان تعابير ليست لأبي العلاء ولكنها شعراء قبله مشهورين .
والمعروف أن المعري كان حريصاً في أخذه معتزلاً بتفرد في تعبيره .
فقوله : « موعذك الحشر » من قول الهذلي في رائيته الفاتنة . وقوله زنت
أعين منا وعفت ضمائر ، من قول الحمداني : ولقد كرمت نجوى وعفت ضمائر .
وقوله : « عشيات أيام الحى » من قول شاعر الحماسة : « فليست عشيات
الحى برواجع » .

وقوله : « وحراس على حراس ، من قول ابن حجر السكندی :
تجاوزت أحراساً إليها ومعشراً على حراساً لو يشرون مقتلي
(٦) في الديوان تعبيرات ركيكة واستعارات وتشبيهات مستخيفة أو
غير مألوفة في عصر المعري . كقوله :
ذوائبه مسك ثنائيا لؤلؤ ونخدها تبر والعذار زمرد
فالحدود تشبه بالورد . العذار يشبه بالنبت الناجم ولا يشبه بالزمرد .
ثم كقوله :

غير شمت منه فاه بسحرة فقلت له هل أنت للمسك ماضع ؟
يريد أنه عذب المقبل ، طيب رائحة الفم . والتأليف هنا مستخيف .
ومن التأليف الركيك قوله :
جلاء همومي طيفكم يوضح الدجى وإلا فأنفاس الصبا تتأرجح
وقوله :

جميلاً فما فعل الجميل بضائع ولا سيما في الصب والصب أحوج
ومن الاستعارات السمجة قوله :
رشاصام علوا فادعت يثرب الحشا وأفطر سفلأ فادعت ردفه مصر
(٧) في الديوان تذلل في الغزل ، وهذا ليس بأخلاق المعري أشبه .
وكلمة الذل والتذلل تدور في هذا الديوان مرات كثيرة كأنها مضروبة على
صاحبه ، فهو يقول : « طباعى أبت إلا التذلل في الهوى » ويقول : « رأى
ذلتى في العشق فاعتز واعتدى » وغير ذلك .
الحق أن هذا الغزل المتسوب إلى أبي العلا يشبه غزل ابن الفارض في
تذله حيث يقول :

منى له ذل الخضوع ومنه لى عز المنوع وقوة المستضعف

ولعل ناظم هذا الديوان المريب متأخر جرى فيه مجرى « عمر بن
الفارض » في غزله الصوفى .

(٨) فى بعض أبيات هذا الديوان رقة ذائبة أراها كثيرة على أبى العلا
المعرى الزاهد المخشوشن حتى فى لفظه . . . كقوله :

أصابت فؤادى أسهم اللحظ إذ رمت فله قتل الأعين الشهداء
وكقوله :

دفعت إليها فى الوداع ودیعة وقلت احفظيها إني سأعرد
رلقد ورد فى الديوان بعض التصحيف مما سها عنه الناشر مثل : « فها أنا
أدرى مثلهم وأساء » والصواب : أودى . ومثل : « فقلت دعونى ميتاً إنما
يسمح الحى » والشطر مكسور لزيادة كلمة ميتاً ، والصواب حذفها ليقوم
الوزن . ورحم الله أبا العلام .

كتب التراجم (*)

قد تستهوى الإنسان سيرة عظيم من العظماء ، أو أديب من الأدباء ، أو عالم له فى ميدان البحث العلى مجال ، أو مغامر له فى الكشف مصاولة ، فيقرأ عنه ويتتبع حياته ، ويجد فى مثله العالى ما يستحق العرض والتجلية . ثم يحمله الإعجاب به والاتصال به — من قريب أو بعيد — على الكتابة عنه والترجمة له ووصف الظروف التى كونه ، والأقدار التى أحاطت به ، والأحداث التى ألمت بعصره والمبادئ التى تحدت عنه .

وقد يكون ذلك العظيم — موضوع الترجمة — شرقياً فيجد الكاتب الشرقى نغماً فى الكتابة عنه والترجمة له ، مدفوعاً إلى ذلك بعامل الاشتراك فى الجنس أو اللغة أو الدين . ويجد الكاتب الغربى فى الترجمة له إنصافاً لعظمته وإظهاراً لفضله . وقد يكون ذلك العظيم غربياً فيجد الكاتب الشرقى لذة وفائدة لبلاده ومعرضاً لعرض المثل الصالح والأسوة الحسنة .

وكتابة التراجم المطولة ، والدراسات الشخصية المعتدلة المنصفة لا تنقيد بوطن ولا جنس ، ولا شرق ولا غرب ، ولا دين ولا مذهب .

فأميل درمنجهم كتب عن حياة النبى محمد ، وأميل لدويج كتب عن حياة المسيح ، وفيليب جوادالاس كتب عن حياة نابليون الثالث ، وماريوس أندريه كتب عن حياة خريستوف كولمب ومغامراته فوق أثبايح المحيط ، والسير والتر سكوت كتب عن حياة نابليون بونابرت ، وتوماس كارليل الإنجليزى ترجم لفردريك شيلر الشاعر الألمانى ، وآرم سترونج كتب

عن الذئب الأطلس أتاتورك ، وكرابيتس كتب عن إبراهيم باشا وإسماعيل باشا المصريين

لهذا ليس عجيباً في باب التراجم أن يكتب مصري عن غير مصري ، أو يترجم عربي لحياة غير عربي كما صنع الدكتور محمد حسين هيكل مع جان جاك روسو ، وعبد الرحمن بدوي مع نيتشه واشبنجلر وغيرهما من أعلام الفكر والفلسفة ، وحسن محمود مع ديستوفسكي ، وفؤاد صروف مع روزفلت

وقد يقال إن كتاب الأستاذ فؤاد صروف عن فرانكلين روزفلت هو من قبيل السياسة . وهو كلام فيه كثير من الحق . ولكن ما أحوالنا نحن قراء العربية إلى كتب من هذا الطراز فإن الفقر يضرب على مكتبتنا العربية في هذا الباب . لولا ما أخرج العقاد عن سعد زغلول ، وما أخرج عبد الرحمن الرافعي عن الزعيم الوطني مصطفى كامل ، وما صنعه محمد فريد أبو حديد مع السيد عمر مكرم ، وما كتبه كريم ثابت عن فؤاد الأول .

إلا أن هؤلاء استوحوا وطنهم واستمدوا من تاريخ بلادهم وترجموا لأعلام رجالهم ، ولكن فؤاد صروف استشرف إلى ما وراء العباب ، واستكشف ما خلف السحاب ، فكتب كتابه الأول عن تشرشل (وقد كتبت عنه في حينه بالرسالة الغراء) وأخرج كتابه الثاني عن روزفلت . ولكن ذلك لا ينقص من شأن كتابه ، بل على الضد من ذلك يرفع من قيمته ويغلي من بضاعته . لأن حياة روزفلت وسيرته وقصة كفاحه هي شطر من حياة الديمقراطية وقصتها . ومن منا اليوم لم تشغله قضية الديمقراطية ولم تفتنه قصتها ؟ ومن منا لم تذهب نفسه اليوم حسرات على المحنة التي تبلى الحرية اليوم بها وتصلي بنارها ؟

ولا يرجع إعجاب فؤاد صروف بشخصية روزفلت إلى زمن اشتراك أمريكا في الحرب ، ولا إلى اندلاع الشرارة الأولى لها حتى يقال إنه حب طارئ وإعجاب عارض ؛ ولكنه حب متمكن وإعجاب قديم دفين يرجع إلى أكثر من عشرين عاماً حين رشح الرئيس روزفلت نفسه لوكالة الجمهورية . فقد تابعه المؤلف منذ ذلك الحين وشغف به وتحمس له وتقصى كل نبأ عنه أو خبر له ، وطوى نفسه على متابعتة والقراءة عنه حتى تهيأ له اليوم أن يخرج كتاباً قيماً في مائتين وأربعين صفحة من القطع الكبير .

ولقد كانت تجرى كتابة التراجم في اللغة العربية على نسق محدث عمل يعنى بالسرد والقص والحكاية والجمع والترتيب والتأريخ ، ولا يعنى بالدراسة والسيكلوجية والتحليل والنظرة العامة أو المقارنة . وكتب المؤرخ ابن الجوزي عن العمرين (ابن الخطاب وابن عبد العزيز) . وكتب يوسف بن شداد عن صلاح الدين الأيوبي خير مثال لهذا النسق العتيق .

أما اليوم فقد تغير المجرى واستقام النسق وتأثر كتاب العربية بكتاب الفرنجة في هذا الباب ، وأخذوا عنهم طرق الدرس ومناهج البحث ، وظفرت العربية بما كتب هيكمل عن النبي محمد وأبي بكر ، وبما كتب العقاد عنهما وعن عمر وسعد زخلول ، وبما كتب الرافعي عن مصطفى كامل ؛ وفؤاد صروف عن روزفلت .

وكتابة التراجم لها في الآداب أى اعتبار ، ولا يكاد يخلو إنتاج أديب ماحوظ من ترجمة شخصية أعجب بها وتوفر على درسها ، مهما كان لون هذه الشخصية رمزاجها ومجالها الحيوى في السياسة أو العلم أو الفن . فلويس ديميه يكتب عن ديكارت الفيلسوف ، وهنرى بيرو يكتب عن روبسيير ،

وفرانسوا موريالك عن راسين ، وراؤول أرنو عن كاميل ديمولان ، وأميل لدويج عن روزفلت .

ومن كتب التراجم ما يتحدث فيه المرء عن نفسه ويترجم لذاته . وهذه التراجم غير كتب المذكرات التي يدون فيها رجل ممتاز حوادثه اليومية كمذكرات اللورد جراي . وقد تكون هذه التراجم الذاتية قطعاً أدبية ممتازة كترجمة (لى هانت) لنفسه وهو من كتاب الإنجليز في القرن التاسع عشر ، وترجمة دي كوينسى التي كانت سابقة على كتابه المشهور « اعترافات آكل أفيون » ، وترجمة جيمون المؤرخ الإنجليزي التي حكم لها النقد بالامتياز في نوعها وأسلوبها الذي يعد بحق مزية ذلك المؤرخ العظيم . والترجمة للأناسي تتطلب فناً غير ترجمة الحيوان الأعجم . لأن ترجمة الناس تقتضي الاختلاط بهم أو السماع عنهم أو القراءة لهم أو رؤية آثارهم . أما الترجمة للحيوان فتقتضي ملاحظة أقوى وجلداً أكثر ، وعلماً أغزر ، وإحساساً أعمق . وتوفر الكثير من هذا في موريس مترلنك ، فترجم لحياة النمل وحياة النمل بما لا يتهيأ لكاتب عادي أن يصنعه . ولكن لدويج ترك ترجمة الحيوان إلى ترجمة الذوات ... فكاتب عن « النمل » كتابه الذي جسد فيه هذا النهر الخالد كما نما كان يترجم لإنسان .

ولكتابة التراجم سبيلان : سبيل الاتصال الشخصي بالمترجم له والاختلاط به والعمل معه أو تحت ظله وفي ذراه ؛ سبيل القراءة عن المترجم له وذلك لبعده الزمان بين الكاتب وبينه . كما صنع أرفنج ودر منجمهم عن النبي ، أو لبعده المكان كما صنع فؤاد صروف مع روزفلت اليوم .

وإذا جمع كاتب التراجم بين قرب الزمان والمكان من المترجم له كان ذلك أقرب إلى الصدق وأدنى إلى الحق ، وخاصة إذا كان الكاتب غير ميال

إلى الهوى فى حكمه أو الغرض فى رأيه . ولكن بعد الزمان وحده خير ضمان للاعتدال فى الحكم لبعده الكاتب عن المؤثرات والمغريات .
فسيرة ابن شداد عن صلاح الدين هى أقرب السير زماناً ومكاناً من المترجم له . فال مؤلف معاصر لصلاح الدين وقاضى عسكره وناظر أوقاف بيت المقدس فى عهده . وهى سيرة صادقة إلا أن فيها بالطبع بعض الميل .

جرت عادة القراء أن يبدأوا الكتب من أول فصولها . ولكننى قرأت « روزفلت » من الفصل الثالث . وهو عندى خير فصول هذا الكتاب القيم . فهنا سيرة زكية من النضال والكفاح . هنا قوة تسرى من الكتاب إلى القارئ فتوحى إليه أن الضعف ليس عدة الرجال ولا أداة الأبطال . هنا جسد اصطلاح عليه المرض ومشى فيه الشلل ، ولكن عزيمة صاحبه كانت أقوى من أن تخضع للحوادث . هنا سيرة يقرأها المريض فيصح ، والضعيف فيقوى ، والهيابة النكس فيتقدم .

وقد تمد فصول الكتاب الخمسة عقل القارئ بألوان من العلم والسياسة والمعرفة بأحوال العالم الجديد ونظمه ودستوره ومجلسه التشريعيين وحكومته ونظام اقتصاده ؛ ولكن الفصل الثالث يمد قلب القارئ بالشجاعة ويملؤه بالقوة ويجعله موصول الآمال . حتى فى الساعات الحرجة واللمحظات العصيبة ، لأن الإرادة القوية تغلب كل حرج ؛ وتتحكم فى كل شدة ، فهذا الرجل المشلول لا ينطوى على نفسه كمن تقعدهم الأدواء ولكنه طلعة دموب ، فكيف تصده آفة جسدية عن تحقيق مطامعه القوية ؟

ومزية كتاب « روزفلت » أنه ليس من الأدب المحض وحده أو الفن الصراح وحده ، فليس من نوع النثر الفنى المقصود لذاته ؛ ولكنه فكرة قبل أن يكون كتاباً ، ومعنى قبل أن يكون لفظاً ، فهو طراز عال من كتب

أبو تمام الطائي (*)

حياته وشعره

شغل المتنبي الدنيا زماناً وشغلته . واختصم الناس في شعره بين متعصب له ومتعصب عليه ، ورافع من قدره وغاض من شأنه . وكان ذلك في زمانه . وبعد ألف سنة شغل المتنبي الدنيا من جديد ، وكثر الكلام فيه عوداً على بدء . فتناوله من أدبائنا الدكتور طه حسين ، والدكتور عبد الوهاب عزام ، والأستاذ محمود محمد شاكر .

والأدب كالرزق حظوظ وأرزاق ، وجدود وأقذار ، فإن حظ أبي تمام من السعد لم يكن مستويّاً مع حظ المتنبي . وإن كان أبو تمام في رأى بعض الناس شاعر العربية الأكبر .

ومن هؤلاء القوم الأستاذ نجيب محمد البهيتي مؤلف كتاب « أبو تمام الطائي — حياته وشعره » فقد أخرج كتاباً في حبيب بن أوس ، بلغت صفحاته فرق المائتين ودون الثلاثمائة ... وختمه بهذه العبارات : ولقد بلغت الفكرة الشعرية في يد أبي تمام أوجها ، فلما بلغت المتنبي التبتت عنده بالفلسفة ، ولم يكن حسه بالجمال يعدل حس أبي تمام به ، وكان أكثر شغلاً بمظاهر القوة في الوجود . فأخذ معنى الشعر عنده ينحدر شيئاً ، وتلك العاطفة الرقيقة العذبة — برغم قسوتها حيناً — تستحيل عنده إلى عاطفة ، خشنة شيئاً ، صاخبة ، هي لون ألوان صراع نفس معذبة مع الحياة الجبارة

(*) للأستاذ نجيب محمد البهيتي . ٢٤٣ صفحة من القطع الكبير . مطبعة دار الكتب المصرية . القاهرة سنة ١٩٤٥ .

في ذلك العصر الغريب . فابو تمام عندي شاعر العربية الأكبر ، لا أعدل به شاعراً آخر من شعرائها » . وجميل جداً أن يلقى أبو تمام بعداً أكثر من ألف عام هذا التقدير الكبير من كاتب مصري ، بعد الذي قاله أبو تمام في ذي ذم سيره إلى مصر بعد مفارقتها ^(١) .

أليس هذا دليلاً على أن مصر لا تتعصب ولا تصدر في الرأي عن هوى ولكنها تصدر فيه عن تدبر وتفكير ؟

ولقد هجا أبو تمام ، وهو دمشقي المولد — أو على التحقيق قريب منها — قوماً بمصر ، منهم عياش بن لهيعة ويوسف السراج الشاعر المصري الذي كان مع المفسدين بين عياش وبينه . ووصف وجهته إلى مصر بأنها : « بلا طالع سعد ولا طائر سهل » . ولكنه وجد في مصر من ينصفه ويدفع عنه ويلتمس له العذر فيما قال من الهجاء وخاصة عند رحيله عنها . ويقول المؤلف في ذلك : « فانفتل أبو تمام غاضباً في شيء من يأس الشباب ، ولكنه لم يكن ندلاً فلم يخلط بين الوطن الذي آواه ، وبين الرجل الذي ضن عليه — يعني عياشاً » .

ولكن أبا تمام الذي هجا أمير مصر وهجا أحد شعرائها لم يسلم من لسانه أمير الشام موسى أبو المغيث أحد أمراء دمشق من قبل المعتصم العباسي . ويجري المؤلف في كتابه على طريقة في البحث يحمدها له فن التأليف الصحيح . فقد خص طيئاً ، وهي قبيلة الشاعر ، بصفحات . ومن الضروري في دراسة الأديب أن تدرس قبيلته ، وأن يرد إلى مكانه منها . وما في ذلك بأس . ولكن البأس أن تخرج هذه الدراسة القبلية بالمؤلف إلى ما ليس غرض الكتاب . والذي أفهمه — أو فهمته على الأقل — أن غرض

(١) هبة الأيام فما يتعلق بأبي تمام للبدعي ص ١٨٠ .

الكتاب هو أبو تمام وشعره ، وليس الغرض أن يطول الحديث في قبيلته إلى حد يبلغ من الكتاب سدسه . وعذر المؤلف أن الأصل في كتابه أن يكون رسالة جامعية . وفي هذه الرسائل قد يحلو الكلام ويطول النفس ، ولو لم يكن في المقام حاجة إلى طول . . .

ولقد فطن المؤلف نفسه إلى طول هذا الباب ، ولم يحتج إلى من يذكره به أو يدلّه عليه « فذكر في المقدمة — الطويلة أيضاً — أنه « دراسة مطولة لتاريخ طيء في الجاهلية والإسلام » . وقد كان في مكتبة المؤلف أن يرد شبه المستشرقين وأتباعهم في نسب أبي تمام ونصرانية أبيه في كلام موجز ، وكان في استطاعته أن يثبت أن طيئاً يمنية في كلام موجز ، كما كان في استطاعته أن يوجز في علاقة طيء بالخيرة والغساسنة .

والحق أن هذه الإطالة في الكتاب لم تمل ، ففيها من التاريخ كثير لعشاق التحقيق التاريخي ، وفيها رجوع إلى كثير من المصادر التاريخية ، أمثال : معجم البلدان وابن الأثير وابن خلدون ومروج الذهب وجمهرة الأنساب وغيرها .

أما حياة أبي تمام فقد بدت في الكتاب حية ناطقة . وقد طال هذا الباب حتى أربت صفحاته على المائة . وهو طول لم يكن منه بد ، ولا عنه معدل . ولذلك حمدنا هذا الطول حينما وضع موضعه .

ويشهد القارئ هنا مولد أبي تمام في حديث طويل ، كما يشهد نشأته ورحلته إلى مصر والعراق ، واتصاله بمن اتصل من أمثال عياش وأبي المغيث وآل عبد الكريم وابن طاهر والأفشين وابن الزيات والمعتصم . كما

يشهد اضطراب الشاعر في البلدان ، تسلمه أرض إلى أرض ، كما فعل الأعشى من قبله والمتنبى من بعده .

وفي الكتاب باب عنوانه « القدماء والمحدثون » . فللقدماء طريقهم في نهج القصيدة وافتتاحها بالنسيب ووصف الطلول والبيئة ، وللمحدثين طريقهم في الصنعة ووصف البيئة الجديدة . وبين الأولين والآخرين فترة من الانتقال ، أعان عليها تحول الخلافة إلى ملك بعد قيام معاوية .

ولقد أجاد المؤلف هنا في تصوير الصراع بين شعر العرب وشعر الأعاجم ، كما أجاد في عرض الصورة الجديدة للشعر العربي ، والخصومة بين أصحاب اللفظ وأصحاب المعنى . والمؤلف هنا أفاد كثيرًا مما كتبه « ابن رشيق » في العمدة ، « وابن الأثير » في المثل السائر « والقاضى الجرجاني ، في الوساطة « والآمدى » في الموازنة ^(١) . إلا أنه كان مستقلاً في رأيه ، فلم يمس مع الماضين فيما ذهبوا . ولكنه اتخذ لنفسه معايير ظهرت فيها شخصيته .

وأكثر ما يتميز استقلال المؤلف ووضوح شخصيته حين يتحدث عن الخصائص الفنية لشعر أبي تمام ، فهو يشير إلى تزاوج حسه وعقله ، أو بعبارة أخرى إلى التجاوب بين شعوره وفكره ، وإلى وحدة القصيدة عنده وإلى كثرة الاختراع في معانيه ، وإلى إحساسه بجمال الطبيعة ، وإلى اهتمامه بخلجات النفس التي تخفيها المادة والصورة وإلى اعتماده على الواقع والحقيقة وإلى انتفاعه بالقصص ، وخاصة حين يمدح ، وإلى الصورة الشعرية عنده ،

(١) رجع المؤلف إلى هذه المراجع وكثير غيرها . ولكنه لم يرجع إلى كتاب « هبة الأيام » فيما يتعلق بأبي تمام للبدعي وقد نشره المرحوم الأستاذ محمود مصطفى . وهو كتاب لا بد من الرجوع إليه لمن يكتب في أبي تمام .

وإلى غلبة التكرار في لفظه غلبة واضحة ، وإلى كثير غير ذلك ، مما انتزعه المؤلف من شعر أبي تمام انتزاعاً .

وجميل من المؤلف أن يتتبع ديوان أبي تمام من باب الهمزة إلى باب الياء ، فيخرج منه بمحصول وافر من الخصائص الفنية . ولكن معنى الخصائص أنها صفات ينفرد بها الشاعر أو الكاتب ويمتاز بها من غيره . فهل انفرد أبو تمام بالتزواج بين الحس والعقل ؟ وأين إذن تليذه ومعاصره البحتري ، وقد أربى عليه في هذا ؟ وهل انفرد أبو تمام بالتسلسل الفكري ووحدة القصيدة ؟ فأين إذن ابن الرومي ، وهو الذي تظهر الوحدة كاملة في أغلب شعره ؟ ويظهر أن المؤلف أعوزه في ديوان أبي تمام العثور على أمثلة صالحة ، أو على قدر طيب من وحدة القصيدة ، فلم يجد إلا قصيدة واحدة دالية فصل فيها الشاعر بين المبتدأ والخبر ببضعة من الأبيات . . . مع أن الخصائص لا تظهر بالمشال الواحد أو المشالين أو الثلاثة ، ولكنها تظهر بالأمثلة الكثيرة ، كما فعل المؤلف في موضع آخر حين استشهد بأثر الثقافة القرآنية في شعر أبي تمام .

والكلام في الثقافة القرآنية يجرنا إلى كلمة لا نجد بأساً من ذكرها . فالمؤلف أحياناً يجد حين يستحضر المثل على تأثر أبي تمام بأسلوب القرآن كما في قول الشاعر :

أيهذا العزيز قد مسنا الضر جميعاً وأهلنا أشتات
ولنا في الرجال شيخ كبير ولدينا بضاعة مزاجاة

فكأنما كان يستحضر بين يديه المصحف ويقرأ من سورة «يوسف» .

وأحياناً يتلصص المؤلف المثل ويتصيد كما في قول أبي تمام :

مكراً بنى ركنيه إلا أنه وطد الأساس على سفير هار

فيقول « ففيه شفير هار ، وما أقربها من جرف هار » . ونحن لم نعلم أن الله أخذ على العرب موثقاً أن لا يستعملوا كلمة « هار » لأنها من ألفاظ القرآن ... !

وموضوع الوحدة في القصيدة العربية كان عيباً يعده الناقدون على الشعر العربي . أما كان أجدر بالمؤلف ، وهو يتعصب لأبي تمام ، أن يستشهد في هذا المقام بما تطمئن إليه القلوب ، لا أن يعالج هذا الموضوع في بضعة من السطور ؟

ويجرنا الحديث عن تعصب المؤلف لأبي تمام إلى تعصبه الشديد للعرب ^(١) . وهو محمود على تلك الروح الكريمة ، التي يسرنا أن تشيع في كل نفس ، وأن تجرى في كل عرق . إلا أن الاعتساف في هذه السبيل أجدى علينا كثيراً من الإسراف ، والقصد فيها أنفع من المبالغة ، وإذا كان للفرزدق في أيام بني أمية — وهم من هم — أن يقول :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم

فن الخير لنا أن لا نقول ذلك أو شبهه حتى نبني كما بنى آباؤنا أو نفعل كما فعلوا ...

والمبالغة عند المؤلف ظاهرة في الكتاب ظهوراً يديناً ، فهي لم تكتف بمن الكتاب حتى عدته إلى مقدمته . وهي مقدمة ما كان لها أن تكون في تقديم كتاب عن أبي تمام . وما ذنب القارئ حين يقرأ في المقدمة كلاماً عن (مؤامرة قبيحة) ^(١) حبست الكتاب عن الطبع والظهور تسعة أعوام ؟

(١) صفحة ٣٦ من الكتاب .

(١) المقدمة صفحة ج .

وما ذنب القارىء حين يرجو أن يرى من المؤلف فى مقدمته طريقته ومنهجه فى التأليف فىرى بدلاً من ذلك صيحة عالية عن الكرامة وإيقاظ الضمير ومرضى النفوس وذوى الأهواء ؟

وما ذنب القارىء حين يتوقع فى المقدمة بياناً لبحث ، فىرى فيها كلاماً عن منجبين تلقوا الحياة فلم ينجبوا ، وعن كيسيىن ماهرين تلقوا الحياة بالمرونة والكياسة فعادوا بالظفر المادى ؟؟

وما علاقة ذلك كله بأبى تمام وحياة أبى تمام ؟

ومن المبالغة أن يقول المؤلف : « ولقد خرج — يعنى كتابه — لهذا الأمر بعيداً عن أن يكون محاكاة لعمل آخر من نوعه ، أو نقلاً لمنهاج شرقى أو غربى » . ونسى — جملة الله بالتواضع — أنه بقى من الجهات الأربع جهتا الشمال والجنوب ... !

ومن المبالغة أن يقول أيضاً : وهذا الكتاب ... أشبه بهذه الأيام الجبارة الثائرة ، فى طريقته ومنهجه ، وفى وسيلته العلمية ... الخ » . والله ، يا أخى ، جبار ولكننه — على ما نعلم — لا يحب الجبابة ..



أما التحقيق والتصحيح لشعر أبى تمام فقد بلغ فى هذا الكتاب حداً يهناً عليه المؤلف أطيب تهنئة . والمؤلف يعتمد على بصيرة مهدية ، وحسن فهم للشعر ، حين يرويه وينقله . وتلك يد يسلفها إلى الشعر . فقد قرأنا فى الطبغات الرخيصة على « الوساطة » و « الموازنة » و « المثل السائر » ما زهدنا فى شعر الفحول .

ولكن الأستاذ الفاضل المحقق « البهيتى » جنبنا السخط الذى نصادفه حين نقرأ شعراً مشوهاً ممسوخاً . فقد حقق شعر أبى تمام وأخرجه على أحسن

الوجوه ضبطاً . وأشهد أننى أقرأ الطبعة البيروتية من ديوان أبى تمام وأقرأ آخر الطبعات المصرية فألقى فيها ما يعنّينى . ولكننى كنت أقرأ فى كتاب البهيتى شعر أبى تمام كأنه هو .

* * *

والمؤلف يبائع فى التحقيق فلا يرجع إلى النسخة المطبوعة من كتاب «أخبار أبى تمام للصولى» ، وهى محققة من ثلاثة أفاضل ، ومطبوعة فى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . ولكنه يرجع إلى النسخة المخطوطة . ولو أنه أحال القارىء فى هوامش الكتاب على النسخة المطبوعة المحققة لكان ذلك أسهل على من يبعد المخطوط عن متناول أيديهم .

ولكنه أظنه رجع إلى النسخة المشوهة من كتاب «الوساطة» فوقع فى تصحيف اسم علم واسم موضع ، لم يفوتا على الأستاذين محمد أنى الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى ، حين أخرجا «الوساطة» إخراجاً علمياً صحيحاً فى الطبعة التى نشرتها مطبعة عيسى الحلبي .

فقد نقل المؤلف فى هامش صفحة ١٧٧ قصة «رياش القيسى» فى شعر البحتري ، فذكر أن اسمه «أبو رياش» . وأرجح أن اسمه «رياش» من غير كنية كما ورد فى الوساطة .

ونقل المؤلف أيضاً من شعر البحتري هذا البيت على هذه الصورة :
نظرت إلى ظران فقلت : ليسلى هناك ، وأين ليلي من ظران
وهو ينقل من «الوساطة» . وليس فى ديوان البحتري — طبعة هندية — ظران هذه ، ولكنها «طدان» ^(١) بالطاء والبدال المهملتين ، قال ياقوت فى معجمه («طدان» هو موضع بالبادية فى شعر البحتري) .

(١) ديوان البحتري طبع هندية ص ٢٨١ .

وقد حقق شارحا «الوساطة» في طبعتها الجديدة هذا الاسم ونقلنا نص ياقوت الرومي (١).

في صفحة ٧٤ ضبط المؤلف البيت الآتي على هذه الصورة :
مناسب تحسب من ضوءها منازل للقمر الطالع
فوضع على باء كلمة مناسب ضمة واحدة — أى منعها من الصرف ،
والصواب أن تصرف ويوضع عليها ضمتان لأن البيت من البحر السريع .
وقراءته بضمة واحدة تنقله إلى بحر المتقارب وشتان بين البحرين ...
والممدوح في هذا البيت نوح بن عمرو الكندي لالسكسكى كما ذكر المؤلف
وإن كان يقول أبو تمام فيه بعد بيت آخر :

وسكسكى المجد كنديه وأددي السؤدد الناصع
إلا أنه لم يشتهر بالأددي والسكسكى كما اشتهر بالكندي ، وأدد بوزن
عمر ، وسكسك بفتح السين الأولى والثانية (٢) : قبيلتان من أحياء اليمن .

وبقيت نفقات في الطبع كقوله في ص ٧٤ — « وفي شرح البيت
منقول عن الخارزنجي ما يأتي » ، والصواب « منقولاً » . وفي ص ١١٤
« وتأزر » والصواب بفتحة على الراء . وفي هامش ص ٢٠٩ « Legacy »
والصواب « Legacy » . وفي ص ٢١١ « بالندى » والصواب « بالندى » .
وهي أمور لا تقلل من قيمة هذا الكتاب الذي يعد بحق أوفى دراسة منظمة
منهجية لأبى تمام وشعره .

(١) الوساطة طبعة عيسى الحلي الجديدة ص ٥٠ .

(٢) تراجع المادتان في القاموس المحيط .

الشوايح - أبو عبادة البحتري (*)

البحتري - في نظر المؤلف - أكبر شعراء العربية على الإطلاق؛
ولكل وجهة هو موليها؛ فقد يرى بعض الرائي أن الشاعر الأكبر هو أبو تمام .
وقد يراه بعضهم المتنبي ، وقد يراه بعضهم ابن الرومي . وليس بكائن ولا
متفق أن تلتقي الأنظار على موقع واحد ، أو تجتمع الآراء على رجل
واحد . وليس بمعقول أن يقصرنا إنسان على هواه ومذهبه ومزاجه .
وما أراد الدكتور صبرى ذلك حين تعصب للبحتري وانتصر له - هذا
الانتصار ؛ ولكنه أحب البحتري وأسرف في حبه ، فأراد أن يعرضه لنا
كما بدا له . وما في ذلك بأس .

وقد يتهم بعض المعارضين البحتري بقلّة الخور والتعمق في الإحساس
ولكن هذه التهمة لم تفت على الدكتور صبرى حين نصب نفسه للدفاع عنه
والمحاماة دونه . فقد ردها غير مرة : ردها في تصدير الكتاب أول الأمر
حين قال : « وقد خدعت سهولة شعره الرقراق الكثيرين عن بعد غوره
واتساع مذاهبه وتشعبها وصعوبة ورده وصدرة ، وقوة مخيلته الضاربة
في الآفاق » .

وردها مرة ثانية في صفحة ١٥ حين قال : « ومعظم شعره بلغ الغاية
في الجودة وعلو النفس وقوة السبك ، وكان شعره يسمى سلاسل الذهب ؛
ولكنه لسهولته وصفائه لم يلتفت أحد إلى ما تشف عنه هذه السهولة من
تعمق في الإحساس والتخيل ، وإبداع في تنسيق الألوان والأنغام » .

وكان منتظراً من المؤلف ، وهو في معرض الحديث عن تعمق الإحساس عند البحترى أن يسند ذلك بالشواهد المؤيدة والأدلة المثبتة ؛ ولكنه روى في صفحة ١٦ — أى في الصفحة التالية — أبياتاً من قصيدته في وصف بركة الجعفرى ، ثم قرر بعد الأبيات « أن البحترى لم يأت بجديد في أبياته التى ذكر فيها الدمن والمحجوبة ، فموضوعها مطروق رتيب ، ولكننى أحب القصيدة كلها والتغنى بجميع أبياتها لجمال بحرهما ورويهما وروعة موسيقاها » .

والدكتور هنا لم يحسن الدفاع ولم يجد الاستدلال . فالقصيدة عنده محبوبة لجمال البحر والروى وروعة الموسيقى . أما بعد الغور والعمق فى الإحساس والتخيل ، وهو موضع الدفاع فى القضية . فهى عناصر خلت منها قصيدة اتخذها الدكتور درعا حصينا ليدفع بها نبال المعارضين فكانت نصالها . . .

والحق أن قصيدة البركة لا تحسن مثالا فى شعر البحترى على عمق الحس وبعد الغور ، ولكنها قد تكون أصدق مثال على حسن التصوير وصدق التمثيل ؛ ولقد أعطاها المؤلف حقها من ذلك حين عرض لها فى باب التمثيل والتصوير ص ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ . والحق أن التصوير فى شعر البحترى لا يختلف فيه اثنان . ولكن الدكتور صبرى استطاع أن يجعل من لوحات البحترى الشعرية لوحة نثرية رائعة فى الفصل الذى عقده للتمثيل والتصوير عند الشاعر الطائى ، فقد نحس جمال الصورة فى شعر البحترى ولكننا لا نستطيع التعبير عن هذا الجمال كما عبر عنه الدكتور ، ولا نستطيع إبرازه كما أبرزه . وتلك مزية فى المؤلف عرفناها له حينما أخرج جزءاً من

الشواخ في امرىء القيس (١) . وجزء آخر في الشعر الجاهلي وخصائصه وأعلامه (٢) .

وسر هذه المزية عند الدكتور صبرى أنه شاعر قديم — أعنى قدم التاريخ لا قدم المذهب — وأن فيه فوق مزية الشعر حاسة الفن مرهفة . فهو يتعشق الفنون الجميلة ويجود فيها بمضنون التلاد . . . فقد أرانى مرة دمية أخذ يقلبها بين يديه وتحت عيني حتى كاد ينطقها عن جماها . وهو يصنع ذلك حين يعرض عليك البيت أو الأبيات من الشعر . فما يزال بك يضع قلبك على مواطن الجمال فيها حتى ترى مالم تكن رأيت وتحس مالم تكن أحسست .

فهو يقول فى بيت البحترى :

تنصب فيها وفود الماء معجلة كالخيل خارجة من جبل مجريها
« وفود الماء من روائع التعبير ، والبحترى وحده يعرف كيف يأتى بالكلمة التى تطربنا بلفظها وتنوع ألوانها ولمحاتها . فهو يصور لك بكلمة وفود حركة انصباب الماء من عل وتزاحم الأمواه فى قدومها ، وحركة تسلسل تيارها واطراده وسرعة هذه الحركة » .

والمؤلف متفطن دائماً إلى اللوحة الشعرية التى يرسمها الشاعر ، فلا يفلت منه لون أو يهرب منه ظل ، أو يعيشو أمامه ضوء أو تجمد أمامه حركة . ويرى فى الكلمة من البيت ما يراه ناقد الصور من قطرة اللون أو بقعة الزيت . . . وإذا أتاحت هذه الفطنة لناقد الشعر أو ناقد الفن أعانته على كشف النقاب عن جمال مكنون ، وفن مدفون .

(١) مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٤ .

(٢) مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٤ .

ولكن هذه الفطنة الواثبة المتيقظة قد تكون لها سوءتها . . . فقد تطوح
بها المبالغة إلى افتراض ما لم يفترض والتماس ما لم يرد . . . وهنا يتحول
الجمال تكلفاً ، ويستحيل الرأى تعسفاً :

وإلا فأين جمال التصوير في قول البحترى :

وإذا النهر وان ساح عليهم ؟؟

إن المؤلف يراه في قوله « ساح عليهم » ولو أن البحترى قال فاض
عليهم لوجد المؤلف فيها ذلك الجمال عينه ، لأن الدكتور صبرى هنا لا يجد
الجمال ولكن يتلهمه . . .

وهذه المبالغة عينها هي عين الرضى التي يقول عنها الشاعر العربى . . .
والتي هي كلفة عن كل عيب . فقد عاب المؤلف على غير البحترى
قوله . « تضحك الأرض من بكاء السماء » . ولم يعب على البحترى قوله :

فحاجب الشمس أحياناً يضاحكها وريق الغيث أحياناً يبكيها

بل جعل في قوله « يضاحكها ويبكيها » موسيقى وجمال انسجام ،
وجعل في ضحك الأرض وبكاء السماء عند الشاعر الأول ، كلمات فقدت
الحياة وأصبحت كالأزهار الصناعية التي يحبها أنصار البديع .

وحبك الشيء يا سيدى الدكتور مبتدأ لا أذكر خبره ^(١) إلا لمن
يكرهه . . . فإنك أحبت البحترى حباً أنساك ما فى يده من البيان والبديع
والاستعارة والطباق ، وهي عيوب غيره التي أحلتها فى شعره إلى محاسن .
فلا فرق بين شاعرك وشاعرنا من حيث البيان والبديع ، ومن حيث
الصورة الحية ، ولكنك أحبت البحترى فكلت له الكيل . وملت على
غيره كل الميل . . .

(١) من أمثال العرب « حبك الشيء . يعنى وبهم » .

على أن قوة التمثيل في الشعر قد عرضتها أجمل عرض حين قلت : « وقد يتوهم بعض الشعراء أن شعرهم ليس في طاقته ترجمة ما يختلج في النفس من عواطف ، كما يتوهم بعض الناس أن تصوير المصور لمناظر الكون التي أوجدها الخالق لا يحكي الأصل ، والواقع أنه لا يحكيه من ناحية الشكل أو الحقيقة الشكلية ، ولكنه يحكيه بقوة التمثيل في لون جديد ، فالتمثيل ليس مجرد حكاية أو محاكاة . وكيف نتكلم عن حكاية إذا كان الشاعر أو المصور يصف في كلمات محدودة ، أو في قماشة مسطحة ضيقة الحيز ، منظرأ واسعاً بخلوطة ومسافات وارتفاعات وأعماقه ، بما فيه من سهولة وحزونة وضياء ، ووجد وحنين إنما قوة التمثيل في القدرة على الإيجاز والتليح في خط أو خطوط . وبعبارة أخرى : القوة التي تجعلك تعيش في جو المنظر وتصل بين خيالك وخيال الشاعر أو المصور ، فتولد في مخيلتك وحسك صورة تبعث الأصل في جو يضاهي جوه ، والجو هو أهم أهداف الفن ^(١) . »

وهذا كلام لا يقوله إلا من رزق مقدرة الدكتور صبرى على الإحساس بالجميل والتعبير عنه في كلام تشيع فيه النظرة الفنية والحاسة الذوقية .



ولقد أنصف المؤلف حين شرح كثيراً من الألفاظ في شعر البحترى شرحاً لغوياً . وهو عمل لم يكن منه بد لمن يتحرى أن يعرف ما وراء الألفاظ من معان . ولكن الإطالة في هذا قد تجعل من الكتاب معجماً لغوياً تضيق به الصدور ولا تتفتح له القلوب . فلقد شرح المؤلف كلمة « شرف » من قول البحترى :

في حلبة تضحك عن بدورها صار الرجال شرفاً لسورها

ولكنه كاد ينقل لنا مادة « شرف » من المعاجم نقلاً لم تكن بنا ولا به حاجة إليه ، وما حاجة القارئ لشعر البحترى أن يقرأ : « إن الشرفة ما يوضع في أعالي القصور وجمعها شرف ، والشرفة من من القصر ما أشرف من بنائه ، وشرف الحائط جعل له شرفة ، وقصر مشرف مطول ^(١) . »

وما حاجة القارئ أن يقرأ في عرض جميل لشعر البحترى هذا الكلام شرحاً لكلمة قيض : « تقيضت البيضة تقيضاً إذا تكسرت فصارت فلقاً ، وانقاضت فهي منقاضة . تصدعت وتشققت ، وقاضها الفرخ قيضاً شقها ، وقاضها الطائر شقها عن الفراخ فانقاضت ، وفي حديث ابن عباس .. قيضت هذه السماء الدنيا . وقال ابن الأثير : قضت القاروة فانقاضت أى انصدعت ولم تتفلق ، وانقاض الجدار انقياضاً أى تصدع .. » . وبعد هذا كلام كثير في مادة قيض .

اللهم إن هذا ليس عرضاً للشعر ولا تحليلاً له ، ولكنه حشو للدماغ بما به ينقاض . . . على نحو ما كان يصنع شراح القصائد من أمثال ابن حجر المكي في شرحه لبردة البوصيري ، وابن عمر الهندي لقصيدة بانث سعاد ، والشيخ المناوي لقصيدة ابن سيدنا الفيلسوف في النفس ^(٢) ، وعبد الله باشا فكري لقصيدة حسان بن ثابت الهمزية . فقد نقل في خلال الشرح كثيراً من مادة لسان العرب ، كما صنع في تفسير لفظة « قفر » ^(٣) . ولا نعيب على الدكتور صبرى هذه الثروة اللغوية التي نعرفه منقراً عنها وباحثاً فيها ، ولكن الذى نعيبه هو ازدحام هذا الشرح الجميل بما كان يمكن الاستغناء عنه والتخلص منه .

(١) ص ١٤٢ من الكتاب .

(٢) مطبعة الموسوعات سنة ١٣١٨ هـ .

(٣) الآثار الفكرية ص ٢٥٦ .

والحق أن هذه الثروة قد نفعت المؤلف حين كان يوازن بين النصوص .
فهي كانت تلهمه فطرة لغوية سليمة يظاهاها اطلاع رحيب . فإن رواية
بيت البحرى فى وصف البركة :

يعمن فيها بأوساط مجنحة كالطير تنقض فى جو خوافيها
لم تعجبه . وكذلك لم تعجبه رواية « تنشر » و « تنفض » فرآها : « كالطير
تنفض فى جو خوافيها » . لأن المقصود وصف حركة الخوافى فى الجو
وهى مكشوفة ترتجف فى الهواء ، والنفض التحرك فى ارتجاف .
ورواية البيت الآتى فى وصف إيوان كسرى :

لابسات من البياض فما تبصر منها إلا غلائل برس
لم تعجبه ، ويرى أن تكون « فلائل برس » جمع « فليلة » وهى الشعر
المجتمع . وفات أستاذنا المناسبة اللطيفة بين لابسات وغلائل ، والغلائل
ما يلبس تحت الثوب .
وكذلك لم تعجبه رواية البيت الآتى من قصيدة يصف فيها البحرى
معركة دارت بين ابن دينار والروم :

كأن ضجيج البحر بين رماحهم إذا اختلفت - ترجيع عود بحر جر
ورآها : - (كأن ضجيج البحر بين رماحهم) . لأن اختلاف الرماح - عند
المؤلف - لا معنى له ولا علاقة لضجيج البحر به . والدكتور صبرى - شاعر آ-
لا يرضى أن يضيف الرياح إلى الجيوش المقاتلة ، فيقول : رياح جيشنا أو
رياح عدونا . وهل للجيوش رياح ؟

ولم يسلم شعر البحرى - كشعر كثيرين غيره - من اختلاف فى
الرواية . وللمؤلف هنا فضل التحقيق والترجيح حين تعدد الروايات ، وهو
جهد لا يستهين به إلا من لم يجربه . ولكن الدكتور صبرى أثر العافية أحياناً

في بعض المواطن على تنوع المصادر وازدحامها بين يديه . فقد روى بيتاً من سينية البحترى هكذا :-

من مدام تقول ها هي نجم ضواً الليل أو مجاجة شمس
وتلك روايته ، أما رواية الديوان فهي (من مدام تقولها هي نجم) .
ورواية أبي العلاء المعري (من مدام تقولها هي نجم) و (الوهي)
مصدر (وهي) بمعنى سقط . ولكن الدكتور لم يشر إلى رواية ياقوت في
معجمه (من مدام تخالها ضوء نجم) . وهي رواية تخلصنا من تأويلات المعري
ومن شروح الشراح ، وما كان لها أن تند عن اطلاع أستاذنا الكبير^(١)
والمؤلف تسعفه في تحقيق النصوص أمور : منها ذوقه وقد كتب الله
له السلامة ، ومنها فطرته العربية وقد أكلها الله بالصحة ، ومنها معرفته
بأسرار الأساليب ومفاتيح الكلام . وهو يقف أمام النص الواحد مهما
أجمعت عليه المصادر فيرى فيه الرأي ، فيذكر الروايات المختلفة ويذكر رأيه
هو ، وقد يبنيه على الظن فيقول : لعل الصواب كذا . وذلك ظن قد يسمو
إلى اليقين . وقديماً قال الشاعر : (... وظن الأملعي يقين) . وأحياناً
يصحح المؤلف الرواية من غير أن يشير إلى التصحيح ، وحبذا لو أشار !
حتى يقف القارئ على النص كما روى ، والنص كما صحح .
ففي صفحة ١٧٠ روى عن ابن خلكان أنه قال : كان البحترى كثيراً
ما ينشد هذا الشعر ويعجبه وهو :

حمام الأراك ألا فاخبرينا	لمن تنديين ومن تعوليننا
لشققنا بالنوح منا القلوب	وأبكيت بالندب منا العيوننا
تعالى نقيم مأتماً للهموم	ونعول إخواننا الظاعنيننا
ونسعدك ونسعدتنا	فإن الحزين يواسي الحزيننا

والبيت الثاني في ابن خلكان هو : (فقد شقت بالنوح منا القلوب) (١) وورد كذلك في تاريخ ابن العماد الحنبلي (٢) ولكن الدكتور صبرى لم تعجبه (شقت) من الفعل (شاق يشوق) فجعلها (شقت) من الشق والصدع ، ولا أدري عن أى مرجع كان هذا التصحيح الذى لم يدلنا عليه الدكتور ! إن أحاسيس النفس الإنسانية عامة بين الأمم ، لم يختص بها قبيل دون قبيل . وقد يكون للشاعر البدوى من دقة الحس في بعض المواطن ما لا يكون لغيره . وقد يكون عند العرب من لفتات الذهن وإيماض الفكر ما نجد نظيره عند الغربى . فالخيال الإنسانى لا يكون قاصراً بين الأمم إلا بمقدار ما يكون القصور بين فرد وفرد من أمة واحدة . والدكتور صبرى عنده كثير من الموازنات بين هذه اللغات . فإذا ذكر قول أبى العتاهية : روائح الجنة فى الشباب ! ذكر بجانبه قول « لى كونت دى ليل » : أيها الشباب ! يا أرج الغاب والشجر . وإذا ذكر قول البحترى

ولو فهم الناس التلاقى وحسنه لحب من أجل التلاقى التفرق

ذكر معه قول (ألفريد دى موسيه) Le Retour fait aimer l'adieu

وإذا ذكر قول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً

لدى وكرها العناب والحشف البالى (٣)

ذكر معه قول الشاعر الفرنجى فى بلبل وجدته ميتة على الأرض :

Comme un Caillou de Sang أى كما أنه حصاة من دم .

(١) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٣٤ .

(٢) شذرات الذهب طبعة حسام الدين القدسى ج ٢ ص ١٨٨ .

(٣) الشوامخ « امرؤ القيس » ج ١ ص ٣٥ .

وهذه اللفظات فيها تيقظ كثير لمواهب الشعاعية العربية التي يؤمن بها المؤلف إيماناً كبيراً ، وهو إيمان العلم والمعرفة ، لا إيمان التعصب ودعوى الجنس . وهذا الأيمان البالغ قد يعرض الأحكام إلى المشار من الكلام . . . فإن الدكتور صبرى يقول فى صفحة ٦ (إن الشعر الجاهلى يمتاز بأنه فى مجموعته صادر عن الطبع والعاطفة ، لا يعرف الاستجداء والهجاء) . وفى هذا الحكم نظر . لأن الهجاء قد صاحب النفس العربية منذ غضبت وكرهت وسخطت ، ومنذ احتربت على الكلاء واقترنت على المرعى ، والجاهلى إذا غضب هتك حجاب الشمس . . . وذلك غاية ، أو هجا خصمه وذلك أدنى مراتب الغضب عنده . فالشعر الجاهلى قد عرف الهجاء وسجل كثير آ منه ولكنه هجاء الفطرة الصادقة التى تشور فتشتم فى غير فحش ولا إفذاع . ولم تظفر قصيدة بحترية من عناية المؤلف كما ظفرت قصيدة إيوان كسرى . فقد أطلال الوقوف عندها ، وبين جمال التصوير فيها . وتلك عناية بالغة بشاعر يراه المؤلف خير من بكى واستبكى على أثر . . . ولكن القصيدة فى عرضها لم تسلم من ملاحظات ، فالآبيات الموصولة فيها رسمت على غير صحة ، مثل :

والمنايا موائل وأنو شروا نيزجى الصفوف تحت الدرفس
وصواب الرسم ليستقيم الوزن :

والمنايا موائل وأنو شر وانيزجى الصفوف تحت الدرفس
وسأورد هنا الآبيات الموصولة فى القصيدة مصححة الرسم :

تصف العين أنهم جد أحياء هم لهم بينهم إشارة خرس
وكان الإيوان من عجب الصن عة جوب فى جنب أرعن جلس
وكان القيان وسط المقاص ير يرجعن بين حو ولعس

فكان الجرماس من عدم الاز س وإخلاله بنية رسم
والدكتور يطيل الوقوف فى مواقف لاتستحق إطالة ، وقد لا تستحق
وقوفاً ، بينما يمر على مواقف الاستحقاق مر السكرام باللغو . . فقد أطل
الوقوف « بباب الأبواب ، و « أبيض المدائن » و « الإيوان ، حتى الجرماس .
ولكنه لم يقرى (الباهيز) (١) السلام ، ولم يعره أى اهتمام ، ولم يقل لنا ما هذا
اللفظ الذى ما كان يستحق الأغفال والأهمال . أما لفظة الجرماس فى قول
البحترى :

فكان الجرماس من عدم الاز س وإخلاله بنية رسم
فقد ذكر الدكتور أن البحترى يريد بها الإيوان نفسه ، ثم ذكر بعد
ذلك قوله (وقد وجدنا بخط عبد السلام المصرى على هامش نسختنا الخطية
من ديوان البحترى ما يأتى : قال أبو سهل : الإيوان بالفارسية كرمانى
فعر به وقال جرماس) . وهنالى كلمة . فإذا كانت الإيوان هى الجرماس فلماذا
لم يستعملها البحترى فى مكانها وهى لاتكسر البيت ولا تخل بالوزن ؟ وخاصة
أنه استعملها بعد ذلك بأبيات فقال :

وكان الإيوان من عجب الصنة عة جوب فى جنب أرعن جلس
وكلام عبد السلام المصرى نفسه فيه نظر فإنه يذكر عن أبى سهل أن
الإيوان بالفارسية كرمانى ومعربها جرماس . وهذا يوهم أن الإيوان
عربية ، ولكنها أعجمية ، كما ذكر الجوابقى فى معربه (٢) .

(١) وردت كلمة الباهيز فى بيت البحترى :

وتوهمت أن كسرى أوروب ز معاطى والباهيز أنسى

ولم يفتح الله على فهمها . وكان الدكتور صبرى يضمن علينا بتفسيرها .

(٢) كتاب العرب للجوابقى تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ص ١٩ سطر ١١ .

دع ذا وعد القول في الدكتور صبرى فقد تجملت فيه سماحة النفس وحسن التماس المعاذير حين تعرض لهجاء البحترى لمن ظل يمدحهم طويلا من الرؤساء . والهجاء في مثل هذا الحال لا يجد في الناقد معدى من أن يرمى البحترى بخبث النفس ونكث العهد . ولكن الناقد محمد صبرى كان أكثر تقديرآ للظروف التى عاش فيها البحترى ، وأكثر التماساً للعذر له عن عصر فسد ففسدت فيه القيم وتذبذبت فيه الأخلاق . وقد لا يعفى ذلك الدفاع البليغ البحترى من وقوع اللوم عليه وشدة المؤاخذه له . ولكن خلق «صبرى بك» الكريم من ناحية ، وحبه للبحترى من ناحية أخرى ، كان أرحب من أن يضيق بما لا تتسع له الصدور .

* * *

أما ولادة البحترى فقد أرخ لها المؤلف سنة ٢٠٤ هـ . وهو تاريخ لم نجده إلا في دائرة المعارف الإسلامية ^(١) في مادة « بحترى » . وهى مادة كتبها المستشرق مرجليوث ورجع فيها إلى الأغاني ووفيات الأعيان . ولكن ^(٢) ابن خلكان يذكر سنة ٢٠٦ وقيل سنة ٢٠٥ . وفى تاريخ بغداد ^(٣) أنه ولد سنة ٢٠٦ أو سنة ٢٠٠ ، وفى معجم ^(٤) الأدباء أنه ولد سنة ٢٠٦ . وذكر ابن العماد الحنبلى أن ولادته سنة ٢٠٦ وصحح هذه الرواية ^(٥) . وذكر ابن الجوزى ^(٦) أن ولادته سنة ٢٠٦ ، فالمصادر كلها مجمعة على سنة ٢٠٦ .

(١) دائرة المعارف الإسلامية مادة بحترى مجلد ٣ ص ٣١٥ .

(٢) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٢٤ .

(٣) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٤٧٧ .

(٤) جزء ١٩ ص ٢٤٨ طبعة دار المأمون .

(٥) شذرات الذهب ج ٢ ص ١٨٨ طبعة حسام الدين القدسى .

(٦) المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج ٦ ص ١١ طبع حيدر آباد الدكن بالهند .

ولم يذكر سنة ٢٠٤ إلا مرجليوث كما سبق بيانه . ولا أدري سبب المخالفة عن هذا الأجماع . على أن الاختلاف في عام أو بضعة أعوام لا يقدم شيئاً في قضية الشعر عند البحترى ولا يؤخر ، ولكن الرجوع إلى الإجماع أولى من هذا الانصداع .

بقيت أخطاء في الطبع نحب أن نشير إليها . ففي ص ١٢٤ « فهو يبدى تجلدا عليه » والصواب « تجلداً وعليه » وفي ص ١٣٧ « جازت على الجوازات » والصواب « الجوزات » وفي ص ١٦٣ :

رأيت العراق ناكرتني وأقسمت على صروف الدهر أن أتشاء ما

والصواب « أتشأم »^(١) وفي ص ١٧٢ :

أيظلني المستضعفون وقد رأوا تجهم ظلام متى يكو ينضخ

والصواب « ينضج » بالجيم لا بالخاء وفي صحيفة ١٧٥ « فؤاد ملاه الحزن حتى تصدها » والصواب « تصدعا » وفي ص ١٧٨ « المعمر » وصوابها « المعمر » بالفتح وفي ص ٦٥ « الفتح بن خاقل » وصوابه « خاقان » وفي هامش ص ١٤٩ « مان وحشى » والصواب « وحش » وفي ص ٦١ من شعر البحترى

بأبي أنت والله للبر أهل والمساعى بعد وسعيك قبيل

والشطر الأول مختل الوزن ولم أهتم إلى صحته ، وفي ص ١٦٩ « وجوههم السمحاء » والصواب المعروف « السمحة » . وهي من غير أخطاء الطبع .

لقد أحب الدكتور صبرى البحترى فعرضه في كتاب هو أول دراسة تحليلية للشاعر في الأدب العربى . وليت شعراء العربية يظفرون من أستاذنا بمثل هذا الحب ، حتى يكون لكل منهم في عنق الدكتور كتاب مثل هذا الكتاب .

(١) تشأم : أى انتسب إلى الشام .

أبو نواس (*)

قيل إن أبا نواس لم يكن خليقاً أن يكتب في شأنه في سلسلة موقوفة على أعلام الأسلام ، وقيل مثل هذا حين أخرج الأستاذ المازني كتابه في هذه السلسلة عن بشار .

وكأن الأستاذ عبد الرحمن صدقي توقع الاعتراض على هذا الاختيار فكاتب مقدمة يعلل في شطر منها الحكمة في هذا الاختيار ويدفع عن نفسه وعن صاحب بشار وعن يعزّمون الكتابة في مثل هذه الشخصية المأجنة . غير أن دفاع المؤلف لا يعفيه من الوقوع في اللوم . فإننا لم ننته بعد من الترجمة لأعلام الفقه والسياسة والفتح والفكر حتى نستبق إلى الترجمة لأعلام الخلاعة واللاهو . إلا أن المؤلف قد شاء ذلك ، فليكن له ما شاء . وليكن لنا أن نقول ما نعتقد .

وهذا الكتاب — في الحق — لم تخرجه العجلة ، ولكن أخرجه الأناة وطول الصحبة لأبي نواس . ولهذا تجد فيه الصدق في الترجمة ، وحسن التصوير لحياة شاعر شاء القدر الساخر أن يجعله مثلاً للحياة العابثة في العصر العباسي الأول .

وطريق المؤلف في الترجمة طريق صحيحة شائقة . فهو لا يصحب الشاعر من يوم ولادته ، ولكن يذهب بعيداً إلى أصله والعوامل الفعالة فيه ، ولا يزال يعرض ألوان حياته وألوان الحياة التي أحاطت به حتى يشيع فيه الفناء من طول ما مجن ، فيتذكر طاعة الله وهو نضو هزيل . . والمؤلف

رفيق بصاحبه الشاعر ، بل قد يلتمس له العذر فيما وقع فيه ، وقد يحمل تعريضه بالدين على محمل الهزل واللهو لا محمل القصد والجد (ص ٦٧) .

وكان من الطبيعي أن يذكر المؤلف شعراً للشاعر على سبيل الاحتجاج والاستشهاد . ولكن ما باله — غفر الله له — لا يتحرى وجه الصحة في الرواية فيكون بعض مارواه غير مضبوط ، أو ناقصاً في الوزن ، أو جارياً على غير الرسم الصحيح للشعر . ولو جاز هذا من مؤلف فلن يجوز من عبد الرحمن صدقي الذي ظهرت عنايته بالشعر في كثير من مواضع الكتاب . وما بال من يهدف إلى الدقة في صفحة من الكتاب يهملها في صفحة مواجهة ؟

ففي ص ٦٧	: استقنيها ملا وفا	لا أريد المنصفا
والصحيح	: استقنيها ملا وفي	لا أريد المنصفا
وفي ص ٨٠	: قد رأينا عربيات	يواصلن نبيطا
والرسم الصحيح للبيت	: قد رأينا عربيا	ت يواصلن نبيطا
وفي ص ٨٣	: لست أحظى به سوى نظر	يشركني فيه كل إنسان
والبيت ناقص وتامه :		

من لست أحظى به سوى نظر يشركني فيه كل إنسان
وفي ص ٥٩ : تحيرت والنجوم وقف لم يتمكن منها المدار
والصحيح : « لم يتمكن بها المدار » . (راجع ديوان أبي نواس ص ٢٧٤
من طبعة آصاف) ، وغيرها في ص ٩٢ سطر ٩ ، ص ٩٩ سطر ١٦ .

ثم إن في شعر أبي نواس كثيراً من الألفاظ التي تتغلق على الألفاظ ، ففسر المؤلف بعضها وأغفل كثيراً منها . وكان خيراً للقراء لو فسرهما جميعاً :
ففي ص ١٠٦ فسر كلمة « الجائليق » وترك جارتها في البيت نفسه وهي

كلمة « مطر بليط » والذي أعرفه أنها تعريب لكلمة Metropolit ، وهو منصب رفيع عند المسيحيين .

وفي ص ١١٤ ترك البيت الآتي من غير تفسير ألفاظه :

نيط بتفاح إلى مشمش من نخيل الطن والبرن

والطن : الرطب الأحمر الشديد الحلاوة . والبرن نوع من التمر العراقي . وهناك كلمات كثيرة جداً في شعر النواصي لم يتعرض لها المؤلف بالشرح ، مثل هذه : قراءة القس . ص ١٠٥ ، وشعله ص ١٠٦ ، وآيين

ص ١٠٨ ، ودير نهر اذان ص ١٠٧ .

وقد يفسر المؤلف كلمة بأخرى أكثر منها غرابة ، كما فسر « الدهليز الأزج » « بالسباط » . والسباط أدخل في الغرابة من الدهليز الأزج .

وما كان أتم الترجمة لو أن المؤلف عمد فصلاً في التهمك عند أبي نواس ؛ بدلاً من الإشارات العابرة إليه . أليس التهمك لو ناس ألوان نفسية الشاعر كان خليقاً بأطالة الوقوف لديه ؟

ثم الوفاء يا أخى ! أيكفيك ويكفى أبا نواس أن تتحدث عنه في بضعة أسطر — ص ١٧٧ ؟

ولكنها ملاحظات لا تبخس قدر عمل المؤلف ، ولعله مستدرکها فيما نرجوه منه من مستقبل الإنتاج .

أنات حائرة (*)

كنت في طريقى إلى « الأهرام » مكرراً التعزیه فی فقیدها الكبير ،
فإذا هناك نسخة تنتظرنى من هذا الديوان هدية من مؤلفه الفاضل عزيز
باشاً أباطة . وهو رجل لم تصلنى به صلة ، ولم تجمعنى به معرفة ظاهرة .
قرأت هذا الديوان النفیس حرفاً حرفاً فإذا هو نفس حزينة منطوية
على همومها : مغمورة فى الآلام حتى إنها لتجد فيها شفاء غليلها وراحة صدرها .
وقصة هذا الديوان هى قصة الدموع ، والنار المتلظية بين الضلوع .
هو قصة الرجل الكبير فى قلبه ، المخلص فى حبه الهادىء فى عشه الناعم فى
ظل زوجته ، فإذا الموت يهدم لذات هذا العش الهادىء الجميل ، وإذا الزوجة
الوفية المخلصة تنتقل إلى الدار الآخرة تاركة عشاها موحشاً كثيباً ، وزوجها
وحيداً غريباً . وأولادها حيارى يتامى : يتلفتون فلا يجدون ، وينادون
فلا يجابون . . .



قصائد هذا الديوان الحزين نظمت كلها فى عام أو قرابة العام ، فأولها
نظم فى يونيو سنة ١٩٤٢ وآخرها فى يونيو سنة ١٩٤٣ ، وهى فترة — على
قصرها فى عمر الدهر ومسافة الزمن — مليئة بأشجان هذا القلب
المحطم وذكرياته . فهو يبكى إذا وقف على عرفات فى غمار الآلاف المؤلفة

(*) ديوان من شعر الأحزان والأشجان . للشاعر عزيز أباطة باشا — مطبعة
المعارف — القاهرة .

من حجاج البيت الحرام وزوجته ليست معه تلبى كما يلبون ، وتكبر كما يكبرون . . . هو يبكى إذا أهل هلال رمضان الفاتت فإذا به يتفقد أليفته فيراها كما يذكر في الديوان وقد :-

ذهبت كما ذهب الضحى متألّقا وبقيت أضرب في الليالى الجون
وذوت بشاشات الحياة ولم يعد فى أنسها « يازين » ما يصيبنى . . .
وهو يبكى إذا وقف على قبر السيدة خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها
بالحجاز لأن هذا القبر الطاهر يذكره بقبر آخر فى قرية « الربعاية » بمصر
أو دعه أو فى الأوفياء له ، وأعز الناس طراً لديه . وهو هنا يصنع كما
صنع متمم بن نويرة حينما قال فى رثاء أخيه مالك :-

وقالوا أتبكي كل قبر رأيت لقبر ثوى بين اللوى فالد كادك
فقلت لهم أن الشجى يبعث الشجى دعونى ! فهذا كله قبر مالك
هذا الديوان كشف عن عزيز أباطة باشا شاعر مصر يأمعاصراً من طراز
رفيع ، ومن عجائب الدهر أن تكشف المصائب عن حسنات ، وتعلن
الفجائع عن روائع . . . ويظهر أنه شاعر متواضع ، يسكره الإعلان عن
نفسه والتحدث عن بضاعته .

ولقد كان يكون له من مناصبه الإدارية الراقية ما يعينه على نشر شعره
والإعلان عنه والدعاية له . واسكنه أثر الصمت ، واختار الانزواء ، وفضل
الغنم همساً لنفسه أو لخاصته حتى نكبه الدهر فى زوجته . فأثر أن يكون أول
نتاج أدبى له باقة من الشعر العربى الرصين المنحوت من قلبه ، والمصبوب
من دمه — لتكون تذكاراً لها .

ولقد ربأ الشاعر بذكرى فقيده الغالية أن يكون شعره لها ، ودموعه
الغالية فيها موضوعاً رخيصاً للبيع والشراء فى سوق الأدب . وليكن هذا

الشعر — الذى يرثه كل محزون — دموع الشاعر أهداها إلى من رأى أثارهم بها ، أو لمن شاء من كل حزين اقتناءها .

وليس فى تاريخ الأدب العربى — على ما نعرف — من رثى زوجته بديوان بأكماله كما صنع عزيز أباطة اليوم ، فسلم بن الوليد يرثى زوجته بأبيات فيها : —

غدت والثرى أولى بها من وليها إلى منزل نام بعينك دان
فلا حزن حتى تنزف العين ماءها وتعرف الأحشاء بالخفقان
وكيف بدفع اليأس والوجد بعدها وسهماهما فى القلب يعتجان
ومحمود سامى البارودى يرثى زوجته بأبيات منها : —

لا لو عتى تدع الغرّاد ولا يدي تقوى على رد الحبيب الغادى
يادهر فيم فجعتنى بحليلة كانت خلاصة عدتى وعتادى
أن كنت لم ترحم ضنأى لموتها أفلا رحمت من الأسى أولادى؟؟
وليسكن عزيز أباطة — الشاعر الذى كشفته لنا الأحزان — يصنع من دموعه الغزار ديواناً برمتيه يتجسّف به الأدب العربى فى باب المراثى الخالدة .

* * *

لقد كنّا نرجو أن يكون أول ما يصدر عن عزيز باشا شىء غير الدموع والآلام والأحزان والأشجان والحنين ، والآن . . . وليسكن شاء الله أن تكون دموعه هى سبيل تقديمه إلينا . . . فسنجمل هذه الدموع ونكبرها لأنها دلتنا على رجل جليل ، ومثال فى الوفاء قليل .

خيه ————— وط الغمام (*)

هذا الديوان مجموعة من الشعر الوطني الاجتماعي العربي، وفكرة الوطنية عند هذا الشاعر لا تضيق فتحد بالحدود السياسية التي خلقتها مقتضيات السياسة. ولكنها تتسع إلى ما وراء هذه الحدود فتجتازها وتحطمها وتلتقي عند فكرة الوطن العربي الأكبر، ولواء العروبة هو اللواء الذي يسير الشاعر تحت ظله مغنياً أناشيده. لعل شباب العرب في كل قطر عربي يرددونها فتفيض بالاتحاد قلوبهم :

هذا لو انا امتدّ من أقصى العراق إلى اليمن

فانظره يخفق في السما كالقلب يخفق في البدن

واسمعه يدعو العرب للهـ جدد الرفيع .. أو الكفيع

وتظهر فكرة العربية عند الشاعر في شغفه باللغة العربية التي تربط هذه الأوطان السياسية برباط وثيق، فهو يحبها ويعاهد بأن يبذل جهده في سبيل سموها .

سأبذل في سبيل الضاد جهدي لتسمو الضاد بالأدب الرفيع

فحب الضاد ينمو في فؤادي نموّ الزهر في فصل الربيع

ويعجبك من هذا الشاعر المسيحي سماحته ونظراته الواسعة إلى الأديان الأخرى، ولعلّ ذلك راجع إلى طبيعة الخير المتأصلة في نفسه، القارّة في فؤاده، فهو يشيد بالإسلام في كل موضع يتعاب الإشادة، وهو يمدح النبي محمداً ويخصه بإحدى الطوال من قصائده. ويعدد من جوانب الرسول

العربي ما يقتضيه الانصاف والصدق الذي يتجلى به الشاعر الحق . وهو هنا يذكرنا بالشاعر المسيحي العربي الأستاذ وصفي قرنفلي الذي مدح النبي عليه السلام بقصيدة نشرت في الجزء الثاني عشر من كتاب « الحديقة » الذي كان يصدره في القاهرة الأستاذ الجليل محب الدين الخطيب .

وليس عجيباً أن تبدو هذه الروح السمحة الصافية من الشعراء الذين اختصتهم الطبيعة بصفاء النفس وصدق الحس ، فالعرب أحوج الأمم إلى نبذ التعصب الممقوت الذي يجد فيه العدو مرتعاً لنفث سمومه . ولقد قامت النهضة القومية في البلاد العربية على هذا الأساس ، وهذا شوقي أمير الشعراء يقول في العلاقة بين المسلمين والأقباط :

أعهدت لنا والقبط إلا أمة في الحق واحدة تروم مراما
نعلي تعاليم المسيح لأجلهم ويقدسون لأجلنا الإسلاما
ولكن شوقي فاته من تعليل حب المسيح ومحمد ما لم يفت شاعرنا
عبدالله يوركي حلاق . . فالمسلمون — عند شوقي — يحبون المسيح لأجل
النصارى . . . والنصارى يحبون محمداً لأجل المسلمين . . . ولكن الأستاذ
عبد الله حلاق يعلل حبه محمداً بقوله :

إني أباهي بالرسول لأنه صقل النفوس وهذب الوجدانا
ولأنه داس الجهالة وانتضى سيف الجهاد فحطم الاوثانا
ولأنه حفظ العروبة وابتنى للعرب مجداً رافق الأزمنا

* * *

قلت إن في هذا الشاعر طبيعة خيرة ، وهذه الطبيعة تبدو في ألحان مختلفة
نظمها في الفقير وقبوة الشتاء عليه ، ووجوب الإحسان على الأغنياء للفقراء

مواعيد (*)

لما قالى المتنبي في كافور داليته المشهورة ذكر فيها «مواعيد» كافور فقال:
 أمسيت أروح مثر خازناً وبدأ أنا الغنى وأموالى المواعيد
 وغرضه أن أمواله مواعيد كافور وهى لا تحتاج إلى أن تقبض عليها
 يد أو يحفظها خازن . . . ولكن «مواعيد» الشاعر صلاح لىكى هى مواعيد
 صادقة لأنها خرجت من قلب موسوم بالصدق فى إحساسه وتعبيره .
 ولم يكن صلاح لىكى محتاجاً إلى تقديم حين أو جزر رشدى معلوف
 الإشارة إلى شعره ، ولكن الناس ألفوا التمهيد عن الرجل الذى يقرءون .
 وكانت توطئة المعلوف للديوان قوية ، وخاصة حين تكلم عن «عمارة
 الحضارة» و «ثروة الإنسانية» .

وليس شعر هذا الديوان الجديد طوئل النفس ، أو مترامى المدى ،
 فهو اثنتان وعشرون قصيدة . بلغ طول أقصرها ثلاثة أبيات وأطولها تسعة
 وعشرين بيتاً ، ومتى قيس الشعر بالطول والقصر ؟ ومتى كان ميزان الجودة
 فيه البيت أو الأبيات ؟ ألم يقل الشاعر القديم .

شعرٌ على قلته جيدٌ والشعر لا يمتاز بالطول

وكذلك كان شعر «مواعيد» فهو جيد على قلته ، وتمتاز موضوعاته
 بدلالاتها على يقظة الإحساس فى الشاعر ، ومرهف التأثر فيه . فهو يبكى
 الطيور حين تموت بقصيدة عنوانها «موت الطيور» ويودع الورود الذابلة حين
 تموت بقصيدة عنوانها «موت الورود» ولكنه يودع فيها الينما واللون

والرونق لأنها فانية .. أما الطيب فهو خالد يعبق مع ريح الصبا إذا جرت ،
وكذلك الشاعر .. يطبق عينيه للموت فتنتطوى معه المنى والحلم الريق
والرغبات الجوائش . أما الحبيب فهو الشذا كأنه طيف الهنا «الأزرق» . ولعل
الاستاذ «لبكى» اضطر إلى وصف الطيف بالأزرق للتمافية !!
وقصيدته «إلى الأرض» في أولها «ترابية الأرض» وفي آخرها سبأوية
الأفلاك ، وما أصدقه حين يوازن بين الأرض الولود والشاعر أبي الآمال
بقوله :

يا أرض هأنا حافل بجميع ما بك من تجنى
تلدين ثم تشيعين بنفك من دفن لدفن
وأنا أبو الآمال كم شيعت من أمل أغن

وقصيدة «عرس العقبان» تعبير صادق عن حالة الإنسان اليوم في
مجزرة هائلة تجذ العقبان والديدان في ضحاياها فرحاً وعيداً . وقد استعمل
الشاعر فيها كلمة «تجنن» وهي على عربيتها أقرب إلى استعمال العوام، ويلوح
أن الشاعر كان ساخطاً على البشرية حين نظم هذه القصيدة ، فقد حشاها
بكلمات «التجنن» و «الديدان» و «النتن» و «القذارة» ، ليصور الإنسان في أقبح
صورة وأبشع منظر . ولكن الصورة كانت - والحق يقال - كريهة
إلى النفوس ...!

أما قصيدة «سكرى» فليأذن لنا الشاعر أن نعتب عليه في بعض أبياتها ،
فهو يغرق يومه في الخمر فلا يدكر ، ويقول :

فأرسل الضحكة حتى يستفيق الحجر
أضحك من نفسى من هواجسى فأكثر
أضحك حتى ينقضى ليلي ويأتى السحر

فإن أتى فغصّة وأدمع وذكر

كأن مابي نغمٌ مشوّهٌ مزورٌ

ولقد كان حسان بن ثابت يشرب الخمر فيقول:

ونشربها فتركنا ملوكا وأسدأ ما ينهينها اللقاء

وكان عنتره يشربها فيقول:

فأذا سكرت فإنني مستهلك مالى وعرضى وافر لم يكلم

وكان اليشكرى يشربها فيقول:

فإذا شربت فإننى رب الخورنق والسدير

* * *

أما أغاني الأستاذ لبكي الوطنية فتمثلها أغنيتان إلى كل جندي من لبنان ،
هما أحسن ما يتلى على آذان هذا الشعب الأبى الكريم :

معارك العرب في الشرق والغرب (*)

في هذه الأيام التي تطالعنا فيها الصحف وشركات الأنباء والإذاعات
بأخبار المعارك التي تدور رحاها ويحمي وطيسها في أكثر من مكان من
الأرض ، يظهر كتاب عربي يعيد إلى الأذهان تلك المعارك التي دارت بين
العرب وجيوش الدول المنظمة كالفرس والروم ومن إليهم .
والحرب كرهية إلى النفوس ، وخاصة لمن خاضوا ويلها وذاقوا من
مرها . وما أحكم زهيراً حين قال :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرحم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتضري إذا ضرتهموها فتضرم

إلا أن الحديث عن المعترك ، ووصف الموقعة ، وتتبع الحوادث
والتعليل لها قد يلذ القارئ المتلهي بسير الأبطال كما يلذ العالم المعنى
بأحداث الزمان .

وخير كتب المعارك والوقائع ما جمع بين اللذتين . فلا تطغى فيه البطولة
والأغراق والمبالغة على الشرح والتحليل والتعليل ، كما لا يطغى فيه هذا على
ذاك . فإذا ما طغى الجانب الأول كان الكتاب أقرب إلى الأساطير منه
إلى العلم ، وإذا ما طغى الجانب الثاني كان الكتاب أدنى إلى الجفوة وأبعد
من اللذة .

والأستاذ بطرس البستاني أخذ في كتابه هذا مأخذاً يرضى عشاق
البطولة وأنصار العلم . فقد حسبتني حينما هممت بمطالعة الكتاب أنني أقرأ

قصصاً شائناً ، فإذا بي أقرأ بجانب ذلك علماً غزيراً وتحقيقاً في الروايات التي يصادفها قارئ كتب التاريخ الإسلامي .

والمؤلف نفسه يصرح بذلك في مقدمته المتزنة التي قدم بها لكتابه . فهو يعرض الروايات العربية وغير العربية ، ويوازن بينها ويستخرج منها بعد التمحيص والتفكير أقربها إلى الحق وأشبهها بالصدق ، مع بعد فيه عن التعصب والتحيز ، وإيثار لإصابة الحقيقة مهما كان مصدرها .

والمؤلف مدرك تمام الإدراك لما يتعرض له المؤرخ من التأثير بنوازع العرق (الجنس) ومنازع الوطن والدين . لا يُستثنى من ذلك عربي ولا عجمي . وقد يجر ذلك إلى الجنف في الحكم والميل في الرأي . لهذا كان البستاني يقظاً في تغليب وجوه آراء الفرنجة حتى يميز الحق من باطلها .

ويظهر ذلك في مسألة « جوليان » وانحيازه إلى موسى بن نصير . فقد عللها لويس برتران مؤلف « تاريخ أسبانية » تعليلاً لا يتفق مع رواية مؤرخي العرب . ولكن بطرس البستاني يمين وجه الحق في المسألة في هدوء وحسن تقدير .

إلا أن بطرس البستاني قد ينسى أحياناً ما أخذ به نفسه في مقدمة كتابه . فهو يشك في خطبة طارق بن زياد في غير مدعاة إلى الشك ويحاول أن يعقد شبهاً بينها وبين خطبة « يونانان » في بني إسرائيل حتى يقول إن الرواة من العرب صنعوها على غرارها .

ومما يحمله على الشك فيها أن طارقاً استعمل . . « عرباناً » وهي ليست من الكلم الفصاح . . ! ويخاص من هذا إلى قوله « فالخطبة كما يتبين لنا مصنوعة » . وهذا في تعسف الحكم يستغرب من جانب مؤلف نصب لنفسه موازين قبل أن يشرع في الكتابة . وهل يجعل استعمال كلمة « عربان »

الخطبة مصنوعة ؟ ألم يرجح البستاني أن طارقاً بربرى مستعرب ؟ فلماذا يستكثر عليه لحنه واحدة ؟

« والغنائم ، و « المغنم » ثم « نفائس » البلاد المفتوحة ألفاظ يديرها المؤلف في كل وجه من وجوه ميساقه ، حتى إنها لتكاد تغطي على « الروح » و « الأيمان » اللتين استعملهما المؤلف قليلا ، واللتين هما أيضا من خصائص المعارك العربية الأولى ، وذلك موضع مراجعة وتدارك إن شاء الله في الجزء الثانى من الكتاب ،

الصين وفنون الإسلام (*)

كانت النواة الأولى لهذا الكتاب القيم بحثاً ألقاه المؤلف في المؤتمر السنوى الحادى عشر للمجمع المصرى للثقافة العلمية ، واسكن المؤلف حفظه الله للعلم أراد أن ينتفع بهذا البحث قارئون لاسامعون . وأن يصل وجه المنفعة به إلى من لم تتح له الظروف الاستماع إليه حين ألقى في المؤتمر ، فأخرجه كتاباً تبقى مادته وتحفظ معارفه ، ويرجع إليه في تحقيق علم أو درس مسألة من مسائل الفن الإسلامى ، وبالطبع زاد على البحث الملقى ما تقتضيه مصلحة النشر وما تستلزمه ضرورة الظهور في كتاب مستقل بنفسه قائم بذاته ، وأطال في الكتابة بما لم يتسع له وقت المحاضرة ، وأضاف إلى الكتاب لوحات فنية مطبوعة على اثنتين وثلاثين صفحة من الورق الجيد الصقيل .

واستوى البحث بعد ذلك كتاباً قائماً ومتاعاً دائماً ، وضع فيه الدكتور الفاضل مقدمة مختصرة هى أحق أن تسمى تمهيداً للموضوع لا مقدمة للكتاب ، أشار فيها إلى عراقة الفن الصينى وتأصله فى التاريخ ووجود وحدة فنية له ، ترجع إلى ثلاثة آلاف سنة قبل ميلاد المسيح ، وتتصل إلى وقتنا الحاضر ، وذكر فيها بعد ذلك فى كلمات عواجل رؤوس الموضوعات التى سيتناولها بحثه ويشتمل عليها درسه ، ذا كراً فى اختصار فضل العرب فى رعاية الصنائع وأهل الفنون من أهل الممالك المفتوحة والبلاد المغلوبة ، مما مهد للإسلام قيام فن جميل مستقل امتاز بطابع معين .

أما موضوعات الكتاب فهي تجمع على اختلافها بين القيمة العلمية والنواحي الأدبية التاريخية . والحق أنها مزيج من العلم والأدب والتاريخ . فإذا أفاد منها المؤرخ علماً أفاد منها الأديب تاريخاً أدبياً .

ومن الطبيعي أن يكون أول موضوعات الكتاب هو العلاقة بين الصين والشرق الأدنى . وكيف كان الاتصال بين هذين الركنين السحيقين من العالم المعروف في ذلك الحين .

ويتدرج المؤلف في تدرج هذه العلائق حتى يصل إلى اتصال المسلمين بالصين في أوائل القرن السابع الميلادي . وكيف دخل الإسلام هذه البلاد الشاسعة المدى البعيدة الأطراف . وكيف زادت العلاقة السياسية بين العرب والصين في نهاية حكم الإمبراطور الصيني (هسوان تسونج) الذي عاش صدرأ من القرن الثامن الميلادي .

ولا يقف المؤلف عند هذا الحد بل يتابع الإسلام في انتشاره هناك ويلاحق الجوالى من المسلمين النازلين بتلك البلاد في أزمان متعاقبة . ويؤيد كلامه في ذلك كله بحقيقة من بطون التاريخ ، أو تحقيق لمستشرق ، أو رحلة لعربي جعل الصين وجهته ، والشرق الأقصى طيته . فيشير مثلاً إلى الرحالة العربي سليمان الذي ساح في الهند والصين في منتصف القرن التاسع الميلادي وألف كتاباً في رحلته ، طبعه المستشرق Langles ونشره المستشرق Reinaud مع ترجمة فرنسية .

ويعرج المؤلف بعد ذلك في إيجاز لا يعوزه التحقيق على القرن العاشر الميلادي ، وكيف قل الاتصال بين الصين والشرق الأدنى ، وذلك حين « عدم العدل وفسدت النيات » ، وانتشرت القرصنة في البحار على يد أقوام

من السند يقال لهم الميديم^(١) (ولهم بوارج في البحر تقطع على مراكب المسلمين المجتازة إلى أرض الهند والصين وجدة والقلم وغيرها كالشواني في بحر الروم).

والحق أنه في هذا القرن بالذات لم يكن الناس يجرءون على ركوب البحر الأحمر من غير مقاتلة ونفطين^(٢). وكانت جزيرة سقطرى بوجه خاص مركزاً خطراً للتخلص والقرصان وكانت تأوى إليها سفن القرصان ليقطعوا الطريق على المسلمين^(٣). وكان بحر الهند لا يركب عند ما يهيج ويظلم ويصعب الركوب فيه^(٤). ويستمر المؤلف في تتبع هذه الصلات إلى عصر الدولة الصفوية التي بدأ بعدها الانحلال يتسرب إلى الفنون الإسلامية مما جعلها تتجه وجهة جديدة شطر أوروبا لمحاكاة فنونها ومضاهاة آثارها.

ويلى فصل الصلات بين الشرق الأدنى والصين فصل آخر عنوانه التحف الصينية والفنانون الصينيون في الشرق الإسلامي، وفيه إشارات إلى كلام جاء في الطبري وابن خرداذبة والقزوين والوزير رشيد الدين والغزولي وابن إياس والمقرئزي والأبشهي وغيرهم عن التحف واللطائف التي اشتهرت بها الصين ولقيت أقبالا في الشرق الإسلامي. ويذكر المؤلف قبل ختام هذا الفصل الممتع شيئا عن استيراد المسلمين أنواعاً من الورق الممتاز من بلاد الصين. والحق أن هذا صحيح فقد ذكره عريب بن سعد القرطبي في صلة تاريخ الطبري كما يقول الدكتور ذكي. وذكره أيضاً الثعالبي كما قرأت. فهو يقول

(١) مروج الذهب للمسعودي ج ١ .

(٢) المقدسي ص ١٢ .

(٣) المقدسي ص ١٤ ومروج الذهب ج ٣ ص ٣٧ .

(٤) ابن رسته ص ٨٦ — ٨٧ .

أن كواغيد سمرقند عطلت قراطيس مصر والجلود التي كان الاوائل يكتبون عليها لأنها أجود وأصقل وأكثر موافقة للكتابة؛ ولا تكون إلا بسمرقند والصين^(١). ويخيل إلى أن الوارد من الورق من بلاد الصين كان قليلا وخاصة في القرن الرابع الهجرى عندما وجدت مصانع له في دمشق وطبرية^(٢) وطرابلس الشام^(٣). ولا شك أن أعجاب المسلمين بتحف الصين كان عظيما. والدكتور زكى في فصل تال لما تقدم يورد من النصوص التاريخية والأدبية ما يؤيد هذا الكلام، ويرجع في تحقيق هذا الفصل إلى طائفة من الكتّاب، منها الطائفة المعارف للثعالبي، والبلدان لابن الفقيه، ومروج الذهب للبسعودي، ونهاية الأرب للنويري، وخريدة العجائب لابن الوردي، وابن بطوطة وغيرها من المراجع الأوربية.

ويلي ذلك الفصل فصل عن مظاهر الأثر الصيني في الفنون الإسلامية وهو بيت القصيد في هذا الكتاب، وفيه تتركز الفكرة التي من أجلها تليت المحاضرة ونشر الكتاب.

ولكن المؤلف الفاضل أوجز الكلام في هذا الفصل إيجازا لم يكن فيه على حق. وقد كان باب الكلام أمامه مفتوحا، ومجال الحديث متسعا، وعنده من عدة العالم وأداة الباحث وفيض المطلاع ما يطيل له أسباب الكلام، (فالورق) مثلا وهو أول مظاهر الآثار الصينية لم يظفر من المؤلف بغير سطور قلائل. والتعبير عن الحركة والحياة في الرسم، والرسوم التخطيطية

(١) عن كتاب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى لأدم متر ج ٢ ص ٣٠ وذلك نقلا عن لطائف المعارف.

(٢) كما يقول القديسي.

(٣) كما يذكر ناصر خسرو في رحلته.

بوشكين(*)

أمير شعراء روسيا

كانت المكتبة العربية لا تسمع عن أدباء الروس إلا قليلا : ولا تعرف عنهم إلا أقل من القليل . على حين تموج تلك المكتبة ذاتها بأسماء كثيرة في الأدبين الإنجليزى والفرنسى .

وعلة ذلك يسيرة : فقد مكن اتصال الشرق العربى بالجلترا وفرنسا من معرفة لغتى القوم ودراستهما والترجمة عنهما والتأثر بأدبهما إلى حد ترى أثره واضحا فى إنتاجنا الحديث .

أما الروس فقد كان دون الوصول إلى ثقافتهم أهوال . . فاللغة مجهولة والطريق إليهم نائية . ومذهبهم الجديد أراب فيجم الظنون فقطع ما بينهم وبين غيرهم .

ولاشك أن هذه القطيعة زادت من جهلنا بأدب القوم وزادت من تخلفنا عن متابعة لون من الأدب له فى العالم الواسع مكانته وقدره .

وهذا تخلف ما كان يحيزه جهلنا باللغة الروسية : فإن كثيرا من روائعها قد ترجم إلى الإنجليزية والفرنسية . فكان من السهل أن يترجم إلى العربية حتى يتيح ذلك للأدب العربى المعاصر اطلاعا واسعا على ألوان شتى من الثقافة الأوربية

والتقريب بين البلاد المتباعدة ليس من عمل السياسيين أو الدبلوماسيين وحدهم . فقد يكون للأدباء من ذلك حظ عظيم . فحين يترجم أديب عربى

لشاعر روسي مثلاً فإنه لا شك يمد طريقاً للتعارف الإنساني بين بلاده وبلد المترجم له . وتلك من خطى التقارب بين الشعوب .

على أنك لو نظرت إلى المسألة من وجهة الأدب المحض لوجدت من العيب أن تجهل أمة أدب أمة : وأن تقف إحداها من الأخرى بمعزل بعيد

وفي الأدب الروسي - على قدر ما أعلم - روح إنساني وفيه عاطفة بشرية وفيه حيوية انعكست على موقف الروس في دفاعهم المجيد عن أرضهم الحبيبة .

ولقد أتاحت الظروف لشاب عربي أن يتعلم الروسية في وطنها . وأن يظفر من أدبها بنصيب يجعله حريصاً على نقل أطايبه إلى لغته العربية . وفي ذلك الصنيع وفاء من ناحيتين : وفاء الكاتب لعربيته ، ووفاءه للغته ثقافته . وما أجمل الوفاء من الأدباء .

بدأ الأستاذ نجاتي صدقي - من أدباء فلسطين - بتعريف الشاعر الروسي بوشكين إلى قراء اللغة العربية تعريفاً يليق أضواء ساطعة على هذا الشاعر الذي لم تظفر المكتبة العربية قبل ذلك بترجمة مفصلة لحياته وإذا كان بوشكين يقول في قصيدته « التمثال » (سيجتاز صيتي روسيا العظمى ، وسيذكرني فيها كل اسان كائن : من صقلي وفنلندي ومن تونفوزي وكالميكيا) فإن الأستاذ نجاتي صدقي يحق له أن يفتخر بأنه جعل صيت بوشكين يجتاز حدود روسيا إلى كل صقع عربي سيقع فيه حتماً هذا الكتاب .

ولما كانت حياة بوشكين تتصل بتاريخ روسيا القيصرية في القرن التاسع عشر فإن الأستاذ نجاتي استطاع أن يعرض حياة القيصرية في ذلك العهد عرضاً يجعل القارئ على بينة من حياة الشعب وحياة البلاط . وهما حيأتان كان

من الضروري أن يظهر في خلالها شاعر مثل بوشكين استطاع أن يحس
آلام الشعب واستطاع أن يرى بعينه حياة البلاط وأن يسمع في أبنائها
أنغام الترف والشبع ، على حساب أنات الجوع والحرمان
ولقد وفق المؤلف في تصوير نفسية بوشكين تصويراً يشيع في النفس
الأيمة الممتنعة أجهل معاني الآباء والكرامة البشرية . والمؤلف لا يدع
ظاهرة من ظواهر الكرامة والحرية عند بوشكين إلا جلاها في ثوب
أنيق فيه من الإيحاء ما هو خليق بالكاتب الكريم . فهذا الشاعر الحر
تفرض عليه وظيفة صغيرة تحت سلطان الكونت فورونتشوف المتكبر
المتعجرف المزور من صلف ، ولكن بوشكين نفسه نفس حر يرى المذلة
كفراً . فيقابل سلطان المتعجرف بكرامة الكريم ، وهنا تصطدم
الكبرياء الكاذبة مع الحرية الأصيلة . وهنا تظهر ندالة الموظف الكبير
مع الموظف الصغير ولكن بوشكين يقف موقف الرجل بما تحمله
الكلمة من معان .

ويثور الرئيس الصلف ، فيرسل الشاعر الموظف في حملة لمقاومة الجراد
ويكلفه كتابة تقرير عن مهمته . . . كما يفعل الرؤساء المتعجرفون مع أباة
الضيم في ذلك الزمان ، وفي زماننا هذا . وفي كل زمان ومكان
ولكن بوشكين يذهب في الحملة ويكتب التقرير في هذه الكلمات : « طارت
الجرادة ثم هبطت ، ثم طارت ثم هبطت ، ثم أكلت ، ثم طارت !
مع الاحترام . بوشكين » .



وحياة بوشكين في هذا الكتاب النفيس هي قصة الآباء المنيع تجري
في تاريخ شاعر لم يعرف الذلة في حياته القصيرة ولم يرد أن يعترف بها .

فهو نائر على الأرض وناثر على السماء . . . ولقد كان هينا على بوشكين أن يصادف العيش المرء لو أنه كان يسعى للعيش الدنيء . وما أشبهه في ذلك بامرئ القيس أمير الشعر العربي القديم حيث يقول .

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني — ولم أطلب — قليل من المال
ختم المؤلف كتابه بقصيدتين من شعر بوشكين إحداهما « النبي ، والآخرى « الطلسم » ولو أنه أطال مدى الاختيار لأمتع القراء بكثير من شعر بوشكين ، وهو شعر لم يتح لكثير من قراء العربية أن يعرفوه . وقصيدتان من شعر شاعر كانت حياته كلها عناء وأنيناً لا تكفيان للتعريف بأدبه . ولعل المؤلف يتدارك ذلك فيما هو بسبيله من تعريفنا بالأدب الروسي والأدباء الروس في ثمراته المقبلة .

ولقد ازدحم الكتاب بأعلام روسية كثيرة لم يدعها المؤلف من غير تعريف بها . فجعل في ذيل الكتاب فهرساً بها وعرفها إلى القراء في إيجاز تعريفياً ينشر الضوء على مواقفها . والحق أن الكتاب ليس تاريخاً لشاعر فحسب ، ولكنه تاريخ موجز شائق لحياة روسيا في الثلث الأول من القرن التاسع عشر .

والحق أن النفس العربية الظائمة إلى الحرية في عالم لا تصح فيه الحياة إلا للأحرار لتستقبل هذا الكتاب وهي مشتاقة إلى الحرية التي هي من أصول الطبع العربي .

ولقد أنصف الأستاذ نجاتي صدقي حين استهل إنتاجه الأدب بهذه الصفحات المنطوية على كثير من مبادئ الحرية الإنسانية عند شاعر حر كبير . فنهضه بما أخرج ومنتظر من عمله الجديد في عالم الأدب الروسي خير أكثيراً .

أساطير الحب والجمال عند الإغريق*

كان لسليمان البستاني فضل أى فضل فى ترجمة الالياذة إلى الشعر العربى ، بعد أن ظلت محجوبة عن المكتبة العربية زماناً طويلاً . وكان له فضل أى فضل فى مقدمة جلية قدمها بين يدى الملاحمة ، فجاءت مقدمته كتاباً برمته يحتل مكانه فى تاريخ الأدب .

وظهر بعد البستاني كاتب أخذ يشق سبيله إلى منزلة الأديب ، عن سبيل تعريفنا بقصص فائنة من الحب والجمال عند الإغريق . وكان الذين يقرءونه من حين إلى حين فى مجلة « الرسالة » يعجبون به ، ويتشوقون إلى تلك القصص التى عرف ناقلها كيف يلبس بها مواطن التقدير فى قلوب القارئ .

هذا الكاتب الناقل هو الأستاذ دربنى خشبة الذى يقدم اليوم إلى المكتبة العربية السفر الأول من ديوان الأدب اليونانى . وهو على ما أعلم ماض فى سبيله إلى تقديم أسفار آخر . حتى لقد أصبح حبه لقراءة الأدب الإغريقى هوى لازماً .

ولهذا الكتاب مقدمة أبان فيها الكاتب بعض أغراضه ، وقدم لنفسه بعض العذر عما أورد من ألوان حب أغريقى ، ليس من الصدق أن يتعمد الكاتب إخفاءها . إلا أنه على الرغم من ذلك راعى أكرام تقاليدنا ، وحرص على ألا يجرح أذواقنا بألوان لا تجرى على موروث عادنا . وقد يكون المؤلف فى هذا التصرف خالف منهج الصدق قليلاً ، أو جار على مذهب الأمانة النقدية قليلاً . ولكنه ما جاوز الإنصاف لأدبه العربى ولخلق العربى

وللسان العربى ، حين عمد إلى حذف ما لا يتفق مع الطبع العربى الكريم .
وقديماً تخرج أدباء العربية فى عصور الترجمة العباسية من نقل الأدب
اليونانى إلى الأدب العربى خشية ما فيه من آلهة وثنية لا تتفق مع فكرة
الإسلام الموحدة . وقد يكون للقدماء من أدباء العرب عذر فى تحرجهـم ،
وهم لم ينفضوا غبار الوثنية عنهم إلا منذ قرن وبعض قرن من الزمان . . .
أما اليوم وقد أصبحت فكرة الآلهة موضعاً للتندر والسخرية فى قلب
الموحد ، فلا ضير إذن من أن تعرض علينا تلك الآلهة كما كان يتصورها
الإغريق ، ولا ضير على التوحيد الصحيح من أن يقرأ آثار الوثنية المغمورة
فى أطيايف شاردة من الخيال .

ولقد تصرف الأستاذ درينى خشية تصرفاً آخر فى النقل ، فهو يعترف
فى مقدمة الكتاب بأنه يشغل نقل رواية لا نقل ترجمة ، وكأنما أحس صديقنا
وهو يقدم على هذا الصنع أن اعتراضنا سيوجه إليه ، وأنه غير مفلت من
النقاد . فأراد أن يدفع عن نفسه ، وأن يتخذ « لهيئة الدفاع » عنه الأستاذ
« توماس بلفنش » ، الأنجائزى من أدباء القرن التاسع عشر . فاتخذ درينى خشية
دليله فى نقل الأساطير واتخذ طريقته فى الرواية لا فى الترجمة . ومضى فى سبيله
مطمئناً إلى عمله ، معتذراً بأن ترجمة النقل قد يكون فيها من الجفاء والخشونة
ما يباعـد بينها وبين مساعـ الذوق عند القارئـين .

على أن هذا الدفاع قد لا يعفيه من النقد ، وقد يساط عليه من يقول له
أنه أسرف فى الرواية إلى حد قد يباعـد بينها وبين الأصل . فكأنه قد فر
من مباعـدة عن الذوق إلى مباعـدة عن الأصل . ولكنه على كل حال قد
أبدع فى الرواية ، وأعانه على الأبداع بيان قوى وأسلوب أخاذ يجرى على
الطبع العربى الأصيل .

والحق أن أسلوب دريني خشبة فيه من الجمال والقوة ما يجعله خليقاً
بنقل الأدب اليوناني . وفيه من الخلاوة الفنية ما يناسب حلاوة هذه
الأساطير . حتى لا نبعد عن الحق إذا قلنا أن « أساطير الحب والجمال » هي
تحفة فنية للمسكينة العربية . ولا بد أنها لاقية من تقدير الأدباء والقراء
ما يجتري عن شكر الأستاذ ويقوم مقام ثوابه .

ولقد تميز الأستاذ الزيات صاحب « الرسالة » بأسلوب فني متفرد جعله
مدرسة وحده . وجعل له تلاميذ يتأثرونه ويمشون على غرارهِ . ولا يشك
أحد في أن دريني خشبة متأثر في أسلوبه بأسلوب الزيات إلى حد كبير .
إلا أن دريني يخلع على الألفاظ من الأغراق والمبالغة ما لا يحتمله المعنى
وقد ينوء به . وهذا الإسراف في أسلوبه قد يعيبه ويجعل سبيل الناقدين
إليه مطروقا .

وهذا الأغراق قد يدفعه — عن غير قصد — إلى التهاون في (استعمال)
الأساليب . وهذا التهاون مما لا يحمل بأديب تقليدي أن يصنعه . وإذا جاز
ذلك من المجددين الذين لا يبالون — في جهل وادعاء — بقيم الأسلوب
الصحيح ، فإنه لا يجوز من أديب مثل دريني خشبة رأينا منه في كل حالاته
حفاظاً على اللغة .

وإلا فما به يستعمل ص ٢٠ « فرأى إلى الخنجر » . وحرف الجر هنا
لا لزوم له . ولكنه يأتي مع الفعل المنفي دلالة على التعجب كقوله تعالى
« ألم تر إلى ربك . . . » . وقد وردت في القرآن على كثرة مع النفي
لا مع الإثبات .

وفي ص ٣٦ « وابث نركيسوس وحده يضرب أحماساً لأسداس ،
فاستعملها بمعنى الحيرة والتردد في الأمر . وما قال بذلك شراح الأمثال العربية —

راجع أمثال الميداني في شرح المثل « يضرب أخماساً لأسداس » .

وفي ص ٦٣ « منية القلب وهوية النفس » وأظنها هوى النفس .

وفي ص ٤٥ « يصمد للعصبية القوية » بمعنى يثبت . والفعل معناه يقصد

لا يثبت كما شاع ذلك على ألسنة الكتاب خطأ ومنه « الله الصمد » أى

المقصود في الحاجات . وفي ص ٢٣٢ « وانسرق إلى السكوف » وهو

استعمال غريب لا أدرى وجهه . ففي اللغة انسرفت مفاصله أى ضعفت

والمؤلف يريد تسلسل إلى السكوف . ولم يرد في معجم تحت يدي . وفي ص

٢٤٧ « بالعبير الفياح » والصحيح « الفواح » لأن الفعل فاح يفوح لافاح يفيح

بقيت في النفس كلمة ، وأظن الأستاذ دريني لا يضيق بها ، لأن

طلاب الكمال لا تضيق نفوسهم بكلمة الحق . فقد كانت الأساطير في

حاجة إلى مقدمة علمية تاريخية في نشأة الأساطير وعقيدة اليونان في الآلهة

وتصديقهم لنزولها على الأرض ، تخوض المعارك وتدير الخطط وتجرى مع

البشر فيما يجرون من أمور . ولعل ذلك كان واجبا على من ينقل أساطير

الأغريق إلى الأدب العربي بعد احتجاجها عنه دهرأ طويلا ، فتلك دراسة

كانت تقف القارىء على كثير من أمور الفكر اليونانى . ولقد أنصف

المستتر Y. S. Marvin وزميلاه Stawell و Mayar حين قدموا بين يدي كتيبهم

الصغير (مغامرات الأوديسة) . أما أن يمضى الأستاذ دريني في عرض

القصص من غير تقديم تاريخي لها فذلك مانرجو أن يستدركه في تراجمه المقبلة

للأدب اليونانى .

والحق أن المكتبة العربية قد ظفرت بهذا الكتاب الذى جمع بين براعة

الفكر اليونانى في أساطير حبه .. وبغضه أيضا ، وبين قوفا الأسلوب العربى

وطواعيته لحسن التصوير .

مرايا الناس *

قرأت للسيدة وداد سكا كيني حفنة من المقالات في تاريخ الأدب موزعة بين صحف سوريا ومصر فلفتني فيها شيئان : — قوة في التعبير ما كنت أتوقعها من امرأة كاتبة ، ومعرفة بالتاريخ الأدبي ترجح قوة أسلوبها وقوة تعبيرها : فقلت في نفسي : سيرجى من هذه السيدة للأدب العربي خير كثير . وما أخطأني التوقع ولا كذبتني الفراسة ، فقد أخرجت المطبعة العربية مجموعة من القصص الصغيرة باسم هذه السيدة ، وشاء فضلها أن تشرفني بإهداء نسخة منها ، وقد صنعت بي خيراً حينما فعلت ذلك ؛ فما كنت أنوى أن أحجز لنفسى نسخة بالشراء ، لأننى معرض عن قراءة كثير من القصص التى يكتبها الناس فى هذه الأيام .

وأول ما زهدنى فى قراءة قصص كثير من قصاص اليوم استهتارهم باللغة استهتاراً يخشى منه الطغيان على النثر الرفيع . فلا تجدد فى كثير مما يكتبون إلا ارتطاماً فى حمأة الجهل باللغة وأسرار الأساليب . وجل ذخيرتهم من الكتابة ألفاظ يديرونها ويقلبونها كالبيغاء ولا يعرفون مواضعها من الكلام لعجز فى ثقافتهم اللغوية ، فهى من حيث كونها ألفاظاً قائمة بذاتها — منتهبة من هنا ومن وهناك . أما أنزال هذه الألفاظ منازلها ووضعها مواضعها من الكلام فذلك ما لا بعينهم ، لأنهم يحفظون ألفاظاً ولا يعرفون كيف يستعملونها : وذلك شر ما يعنى به الكاتب .

ويتبع الجهل باللغة جهل آخر بالنحو الصحيح . فإجراء الكلام عندهم

على القواعد النحوية فيه تضيق عليهم ومضايقة لهم ، لأنهم لم يعدوا أنفسهم
أو لم يعدهم تعليمهم للسلامة من أخطاء النحو .

وما رأينا اجتراراً على الأصول كما يجترى هؤلاء المتكاتبون ، وما سمعنا
أن قاصداً في أى بلد من بلدان الله العاقلة يطلع على الناس بكتاب وأداته
اللغوية معطلة مفلوحة .

وشىء آخر زهدنى فى القصة العربية . وهو خروجها على قواعد
الفن القصصى الصحيح . فأنت لتقرأ القصة الغربية فتعرف رأسها من ذيلها
ونرى فيها التحليل ومتابعة الحوادث والتشويق والعقدة والصدق فى الأداء ،
ولا تنس الأسلوب ، فتجد فى ذلك كله متاعاً ولذاذة .

وخير القصاص من جمع باعتدال بين صحة الأسلوب وقواعد الفن
القصصى . فإذا طغى الأسلوب فهناك إنشاء ولا فن ، وإذا طغى الفن فهناك
قصة ولا أسلوب ..

ولقد كان فى بداية «توفيق الحكيم» طغيان الفن على الأسلوب واللغة .
إلا أنه أخذ يدلف فى قصصه إلى التقريب بين الاثنين . وهو سائر فى ذلك
إلى غاية نحمدها له ويحمدها له الأداء العربى الصحيح .

وفى بداية السيدة وداد طغيان الأسلوب واللغة على الفن . وما فى ذلك
بأس أول الأمر . ففى ذكائها وحسن استعدادها ما يبشرنا بمقامها المحمود
فى عالم القصة .

ولا أحسبها من ذلك يائسة ولا خالفة . فقد عرفت من كلمة الأمير
مصطفى الشهابى فى تقديم كتابها أن نقده لكتابتها الأولى «الخطرات» كان
أليماً على نفسها . إلا أنه أفادها وجعلها أكثر توفراً على إتقان فنها .
والحق أنها فى هذه المجموعة الجديدة متقنة محسنة . وما أبرها وهى

تصف بنات جنسها وتحنو على من لم تساعفن الأقدار بالأمل المنشود عند كل فتاة . وفي قصة « هاجر » يبدو عطفها على هذه الفتاة التي راحت ضحية الأقدار . فضلت على عنوسها بينما ظفرت أختها بالزواج السعيد . وقصة « الضرنان » تمثل المرأة الشرقية حينما تصبح ضرة ، فتتحالف مع عدوتها على زوج واحد يمثل العدو المشترك .

وجل قصص الكتاب يدور حول المرأة الشرقية في أدوار حياتها : فتاة كانت أم زوجة أم أرملة . متعلمة كانت أم جاهلة . والمؤلفة في ذلك بارعة قادرة . وهل أقدر على وصف المرأة وتحليلها إلا امرأة مثلها ؟

والمرأة الشرقية هي المرأة في كل قطر شرقي مادمن خاضعات لعقلية وتقاليد وبيئة تكاد تكون واحدة . وفي مصر والعراق وفلسطين كثيرات من أمثال هاجر والشيخة عطية وعطرشان وغيرهن ، إلا أن أسماء الأماكن ووصف بعض العادات يخلع على الكتاب ثوباً سورياً بحتاً .

ولسنا مع من يرون في ذلك بأساً فالقصص العربي يجب أن يكون وحدة في أصوله . أما ماعدا ذلك منميزات الإقليم وفروق اللباس وتباين العادات المحلية فلا بأس من إظهاره . فإن القاصة الأسترالية المشهورة « مس هنرى هاندل ريتشاردسون » تصبغ أدبها كله بصبغة أسترالية موضعية . ولم يمنعها ذلك أن تأخذ مكانتها في القصة الإنجليزية .

على أن لتلك « المحلية » أثراً في الأدب العربي كله . فهي تصوير لبيئة هي جزء من الوطن العربي الأكبر . ولقد أحسنت السيدة وداد عرضها لمن لم تتح لهم الأقدار زيارة تلك الأقطار . ومع حرص السيدة على التنويع في ألفاظها وأسلوبها ولغتها فإن أخطاء

قليلة وقعت في الكتاب لا بأس من الإشارة إليها . ولو أنها كانت ممن يستهين بالتوجيه أو يغضب للتحصيح ما حففنا بتنبيهها إليها .
 ففي ص ٢١ « العنوسة البغيضة » وفي كتب اللغة « العنوس » لا العنوسة .
 وفي ص ٣٩ « فرط بالشئ » وهو يتعدى بفي ، قال تعالى « ما فرطنا في الكتاب من شيء » .

وفي ص ٣٣ « كأنهن كملائكة » واجتماع أداتين للتشبيه في تشبيه واحد هو من عجيب الكلام . والصحيح : كأنهن ملائكة .
 وفي ص ٤٣ : عند أى عيلة تخدم . فهي تستعمل « العيلة » بمعنى العائلة والأسرة . والعيلة الفقر . قال تعالى : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » .

وفي كثير من صفحات الكتاب : (يكاد أن) . ووقع أن في خبر يكاد أقل كثير أ من حذفها . وذلك في الشعر . أما في النثر فالأعلى حذفها . وقد جرى القرآن — وهو أفصح الكلام — على هذا . راجع سورة النور آية ٣٥ ، والنساء آية ٧٧ . والأعراف آية ١٤٩ . وكثيراً غيرها .
 ولكنها في الحق هفوات لا تشوه ياسيدتي مراياك الصقيلة الجميلة التي فيها من صفاء ذهنك ونصوع فكرتك شيء كثير .

• قال لامية غلت كال . قال عالج فبعضها (١)
 لسان بله ما بدو ربه غلت كال . راجعاً بـ كال . راجعاً بـ غلتا (٢)
 بله ربه غلت . قاله ربه (٣) كالت بـ كال غلتا : كالت بـ كال (٤)

أربعة كتب

١ - القومية والعروبة :

هذا الكتاب على صغر حجمه يعد من أمتع ما كتب في موضوعه . سار فيه مؤلفه الأستاذ نقولا زيادة . من حياة القبيلة أو العشيرة ، إلى حياة المدينة فالدولة ، وذكر فيه فكرة نمو القومية والوطنية أولاً ، ثم وقوفها أجيالاً طويلة ، ثم عودتها ثانية للظهور بعد عصر النهضة الأوروبية المعروفة بالرينسانس ، وذكر أثر تلك النهضة في التحرر الفكري والتعبيرى الذى كان من نتائجه محاولة التعبير عن النفس باللغة الوطنية . وتلك هى الخطوة للنشأة الشعور الوطنى القومى .

وللعروبة فى هذا الكتاب فضل يعد ، على إيجازه الكثير ، تلخيصاً جيداً لتاريخ الأمة العربية والموجات التى انساحت منها . ولو أن المؤلف أطال فى هذا الفصل لاستطاع أن يلائم بين فصول هذا الكتاب من حيث معالجة الموضوع . وذلك ما نعيه على صديقه المؤلف ، فإنه جعل نصيبها فى كتابه ضئيلاً .

والأستاذ نقولا منصف للأسلام ومتعصب لعربيته . وهو يدعو غير المسلمين - وهو منهم - إلى إتقان اللغة العربية ، وفهم القرآن الكريم فهماً صحيحاً . وفى ذلك أجران : أجر المسلم عند ربه ، وأجر غير المسلم عند نفسه وعند عروبه ، وعند أبنائه الذين ينشأون على منهج عربى صحيح . وهذا الكلام فيه من الجمال ، والسماحة ، واتساع الأفق ، وصدق

(١) القومية والعروبة . للأستاذ نقولا زيادة .

(٢) المنتخب المدرسى من الأدب التونسى . للأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب باشا .

(٣) إلى الأبد : للأستاذ إلياس أبو شبكة (٤) عطر ودخان . لمحمود تيمور بك .

الوطنية ، وقوة الروح العربية ، ما لا يصدر إلا عن قى عربى مثل أخى المسيحى نقولا زيادة ، الأستاذ بالكلية العربية بالقدس ، وخريج جامعة لندن ، والذي أهدى كتابه « إلى كل من علمنى درساً فى الوطنية » .

٢ - المنتخب المدرسى من الأدب التونسى

العروبة كلها وطن واحد مهما تباعدت بها الأصقاع . ألم يكن المتنبى ينشد الشعر فى حلب فتردده الدنيا فى كل بلدة عربية من العراق ، إلى مصر ، إلى اليمن . واللغة العربية رباط يصل بين العرب والمستعربين . وقد وصل فى القديم بين العرب وغير العرب ممن أظلمتهم الراهة الإسلامية . وما أحوجنا نحن العرب ، فى هذه الأزمان ، التى تلعب فيها الأحداث السياسية أدواراً جساماً ، إلى أن نصل بين تراثنا الفكرى ، ونصل منه ما قطعت الأيام .

وفى تونس أدباء ، وفى تونس شعراء . ومن ثرى تونس الخضراء نبت علماء . نبت لهم فى الفكر شئون ، مثل ابن خلدون . وإذا أتاحت ظروف النبوغ لرجل مثل ابن خلدون أن يشتهر فى العالم العربى ، وغير العربى ، فإن مثات غير ابن خلدون لا نزال نحتاج إلى التعرف إليهم ، والقراءة لهم .

وهذا ما فعله الأمير حسن حسنى عبد الوهاب باشا الصمادحى ، حين أخرج كتابه « المنتخب المدرسى من الأدب التونسى » وقد أحسنت وزارة المعارف المصرية فى طبع هذا الكتاب ، الذى يعرف أبناء العروبة بأخوانهم فى العروبة والإسلام أهل تونس من أهل الشعر والأدب والعلم . كما أحسن حسن حسنى عبد الوهاب فى تأليف هذا الكتاب وإهدائه إلى كل تلميذ عربى نجيب .

٣ - إلى الأبد

هذه ملحمة شعرية للأستاذ إلياس أبي شبكة ، الأديب الشاعر اللبناني المعروف . أخرجتها دار المكشوف ببيروت . وهي دار لصنيعها في النهضة الأدبية الحديثة أطواق في أعناقنا .

ولقد حاولت أن أدرس شعر هذه الملحمة الفاتنة على وجه واسع إلا أن مجلة « الرسالة » الغراء قيدتني في هذا المكان الضيق وقالت لي اكتب ! كما يقيد الرجل الطير في قفص ويقول له غرد !

ولست بمستطيع ذلك على سبيل يرضى عنه النقد والذوق . فأثرت أن أنقل إلى القراء بعض أبيات من هذه الملحمة تعرفهم بنفسها وتدلم على جمالها قال :
جنت الدنيا كما نهوى فجنى إنما الدنيا هوى منك ومنى
أنزلت عيناك في صحرائها من سماء الحب سلواى ومنى
وقال :

أحبك لا أرجو نعيما يصيبني وأبذل من قلبي ولا أبتغي جدوى
وقد كنت أهوى فيك حسنا أناله

فأصبحت أهوى فيك فوق الذى أهوى

وقال :

كنت في الناس كالنساء فلها جئت قلبي ظهرت شعرا ولحنا
وزرعت الآمال في نجومأ أى كنز أحب منها وأغنى
نحن يا ليل أسعد الناس فلنغفر لهم كل ما يقولون عنا !
ولقد كنت وأنا أمضى في قراءة هذا الديوان - أو هذه القصيدة اللذيذة - أخط بقلبي على كل موضع فيه منها جمال . فلها كثرت الخطوط خرجت من هذه المهمة بأن القصيدة كلها نشيد عذب من الجمال . فأهني

الأخ الشاعر «إلياس أبوشبكة» على تحفته ، وأشكره على هديته . والقصيدة كلها — على اختلاف أوزانها وقوافيها — تجرى على نغم حلو الرنين مستقيم الوزن .

ولقد وقفت وأنا أقرأ هذه القصيدة عند بيت أعجبنى وهو :
سوف نغدو في الورى أسطورة ينقل الناس الهوى عنك وعننى
أترى فى أى ديوان قرأت مثل هذا البيت . ولأى شاعر ينسب هذا المعنى ؟ ألم يقل شوقي فى مصرع كليوباترة :
غننا فى الشوق أو غنى بنا نحن فى الحب حديث بعدنا
نعم قال شوقي ذلك . ولكن إلياس أبوشبكة زاد عليه قوله :
«ينقل الناس الهوى عنك وعننى» وتلك زيادة شرح وبيان ، زاد بها المعنى حلاوة وليست من فضول الكلام .

٤ — عطر ودخان

اشتهر الأستاذ محمود تيمور بك بالقصة وله فيها مكان مشهور . أما أدب المقالة فلم يطالعنا منه إلا هذا الكتاب الجديد «عطر ودخان» . فهو محاولة أولى من قلم تيمور ؛ ولكنها محاولة ناجحة ، فأن أفكار تيمور التى كان يبثها فى خلال قصصه ومسرحياته تراه اليوم يبثها فى خلال طائفة من المقالات الممتعة .

ولكن أليس لنا أن نتساءل لماذا عدل تيمور عن فن القصة فى معالجة المشكلات إلى فن المقالات ؟ هل وجد فى المقالة متسعاً للعلاج لم يجده فى القصص والمسرحيات ؟ جواب هذا السؤال عند تيمور نفسه . ولكنها نستطيع أن نؤكد له أن هذه المقالات فيها من المتعة الفنية الكثير . وأن

فيها من روح القصصى الكثير . وأن فيها نفوذاً إلى دقائق الحياة عاجلها
 تيمور في هدوئه ورفقه أكثر مما يعالج الكتاب الاجتماعيون المشكلات
 بالأرقام والمستندات .

وأول شيء فى هذا الكتاب فصل عن الرجعية الحميدة وكونها من دعائم
 النهضة الحديثة . فالأستاذ تيمور فى هذا الفصل العميق ينادى بأن نأخذ من
 الجديد ما يبقى على شخصيتنا ويجعلها قوية نامية . وينادى بأنه ليس من
 المستطاع قطع الصلة بالماضى قطعاً باتاً مهما يكن من أمره ومهما تكن
 المصلحة فى هذا القطع . فما يدعو إليه غلاة التجديد من نقض اليدين من
 تراث الماضى مضاد للطبيعة القاهرة التى جعلتنا زبدة ذلك الماضى . وهذا
 كلام جميل وخاصة من رجل كحمود تيمور عرف ثقافة العرب وثقافة
 الغرب . ولعل هذه الصرخة السكرية من تيمور مضافة إلى صرخات المعتدلين
 تحمل المغالين فى تحقير القديم على أن يخففوا من غلوائهم .

وهذا الفصل الأول جعله تيمور جداً كله ، ولهذا صدر به كتابه الجديد ،
 إلا أن فى الفصول التالية جمعاً بين الجد والدعابة .

ومحمود تيمور بارع فى الصور الوصفية للرجال ، ولا شك أن لوحاته
 الثلاث لشقيقه إسماعيل باشا تيمور ولصديقه زكى طليحات ، بشر فارس هى
 مما يحملنا على أن نستزيده من مثلهأأخواننا الأدباء . . .

طرائف عن الكتب والكتاب

نسخ الكتب — تصحيح الكتب — سرقة الكتب — النار والمكتبات

من لوازم الكتب وجود عدد من « النساخين » ومهمتهم أن ينسخوا من الكتاب الواحد نسخة أو أكثر على حسب رغبة المؤلف أو وفق مقتضيات الأمور .

وأول من عرف من هؤلاء النساخين في الأدب العربي الجماعة الذين كتبوا المصاحف الأربعة بأمر الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، وهم زيد ابن ثابت . وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث^(١) أما كتاب الوحي فلم يكونوا نساخا ، بل كان الرسول يملئ عليهم الآيات حين نزولها ، وشرط النسخ أن يكون عن كتاب أو صحيفة مكتوبة . وليس النساخون مقصورين على الكتاب العربي وحده أو المكتبة العربية وحدها فهناك نساخون في الكتب الأوربية ؛ وكان يطلق على هؤلاء النساخ كلمة الرهبان ، لأن الرهبان والقسوس كانوا مختصين في العصور الوسطى بنسخ الكتب^(٢) .

وبهذه المناسبة كان عند النساخين من الرهبان قانون وضعه « تريتم » رئيس الكهنة في عصره يقول فيه : « يجب أن يقطع أحدكم الرق قطعاً ، وآخر يصقلها ، وآخر يسطرها ، وآخر يبرئ الأقلام ويملا المحابر ، وآخر يقرأ ويصحح كتابة النساخ ، وآخر يزخرف الكتابة بالمداد الأحمر وينقش الحروف ، وآخر ينقشها ، وآخر يلصق الورق ويحبك الكتب على ألواح من الخشب »^(٣)

(١) آداب اللغة العربية لجورجي زيدان ص ١٨٧ ج ١ .

(٢) مجلة روضة المدارس المصرية من مقال لعلی دفاعة الطمطاوی .

(٣) المصدر السابق .

فأنت ترى من ذلك كله أن عملية نسخ الكتاب كانت عملاً منظماً توضع له القوانين وتقعّد القواعد . وخاصة عند جامعي الكتب من أمراء أوروبا في العصور الوسطى .

ولهؤلاء النساخين — عرباً كانوا أو فرنجة — طرائف في النسخ . ولكنهم على كل حال كانوا آفة في الكتابة العربية : ونظرة واحدة في الشعر الوارد في كتاب « فوات الوفيات » لابن شاعر الكتب تؤيد هذا الكلام ، فهو شعر مختل مكسور مسخه الناسخ . وجاء الطابع الحديث فأبقاه — لسقم ذوقه — على اختلاله وكسره . وجاء الدكتور أحمد عيسى بك فنقله في كتابه الجديد « معجم الأطباء » مختلاً مكسوراً . وليس ذلك من سبيل بحشنا اليوم ، ولكننا سنفرد لتصحيح هذا المعجم الجليل بحشا طويلاً

ومن عجب أن الكتب المنسوخة لم يقيم لها مصححون يعنون بمراجعة أخطاء النسخ وضبط الكتاب وتحقيقه ؛ أما الكتب المطبوعة فقد قام عليها مصححون منذ عرف الكتاب العربي الطباعة العربية ؛ وكان عند المرحوم الأستاذ محمود حسن زناقي أنباء كثيرة وطرائف عن هؤلاء المصححين ؛ وأشهر هؤلاء المصححين التما في سماء الأدب الشيخ نصر الهوريني المتوفى سنة ١٨٧٤ م ، كان هذا الشيخ عضواً في بعثة أرسلتها الحكومة المصرية إلى فرنسا ^(١) ، فلبث هناك مدة ثم عاد رئيساً للتصحيح بالمطبعة الأميرية ، وله تعليقات لطيفة على هامش القاموس المحيط للفيروزبادي ؛ كما أن له كثيراً من المؤلفات أشهرها « المطالع النصرية للطابع المصرية » .

ومن المصححين المشهورين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الشيخ أحمد الميهي بن حسن عبد الصمد^(١)؛ وكان موظفاً بالمطبعة الوهبية التي أنشأها الفاضل مصطفى وهبي. وللشيخ الميهي فضل تصحيح كتاب «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة، وهو من المطبوعات النادرة الآن. وقد تم طبعه في سنة ١٨٨٢ م، ولم يطبع بعد تلك الطبعة إلى اليوم ولم يكن عمل المصححين القيام على تصحيح الكتب المطبوعة فحسب؛ بل قام بعضهم بتنظيم الفهارس المختلفة للكتاب المطبوع، كما صنع الشيخ الميهي في كتاب طبقات الأطباء المذكور. فقد صنع فهرساً وافياً للأعلام، وآخر للبلاد والمواضع والأماكن والمياه والأنهار^(٢).

وبلغت صفحات هذين الفهرسين وحدهما (١٢١ صفحة) وليس عمل الفهارس للكتب المطبوعة القديمة أو الحديثة عملاً هيناً يسيراً، ولكنه يقتضى دقة وبصراً من واضعه.

وللكتب - مطبوعة كانت أو مخطوطة - آفتان. السرقة والنيران؛ ولقد عرف الصوص قيمة الكتب وخاصة بعد أن اعتنى أصحابها بتجليدها وتزيينها، فارتفعت أثمانها عند الأمراء والأثرياء، واضطر هؤلاء إلى العناية بحفظها والقيام عليها؛ وكانوا يكتبون على أولها عبارات تتضمن لعنة السارق والسخط عليه. وقد وجد على أحد الكتب هذا البيت من الشعر على لسان صاحب الكتاب:

إذا غرك الشيطان أن تجترى على كتابي فعقبى المجترين الفضائح

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء صفحة ٢٧١ ج ٢.

(٢) ذيل طبقات الأطباء.

أما النيران فهي آفة الكتاب الكبرى وبليته . فلقد أحرقت مكتبة الأمير نصر الساماني على نفاستها (١) .

واتهم بعض ذوى الأغراض عمرو بن العاص بإحراق مكتبة الاسكندرية وهي تهمة لا تستند إلى الحق . وأحرق التتار مكتبة بغداد وأغرقوا كثيراً منها في النهر سنة ٦٥٦ هـ (٢) ، وكانت المكتب النفيسة في هذه الفتنة تباع بأوهى قيمة (٣) .

ولما سقطت مدينة غرناطة في يد الأسبان أمر البطريق إيكزامينيس بإلقاء الكتب الإسلامية وخاصة العربية في النار ، ونهب الأتراك في القرن العاشر ما وقع لهم من كتب الماليك وأضرموا النار فيها . ولا يغيب عن البال ما صنعه « كرمويل » في مكتبة أكسفورد فقد أمر بإحراقها وكانت أغنى المكتبات الأوربية في حينها .

وهناك بلية ثالثة للكتب وهي العُشَّة التي تعيث فيها وتطيل ملازمتها لها بالخرق والثقب ، واسمها بالإنجليزية : Moth. Worm وقد أطلق الإنجليز على كل شخص يطيل ملازمة الكتب والتنقيب فيها كلمة Book-Worm وهي كلمة يفختر العلماء وأهل البحث بأنها من صفاتهم .

(١) مجلة روضة المدارس .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ ص ٢٠٢ .

(٣) التجارب النافعة لابن القوطي طبع بغداد صفحة ٣٣١ .

الأخوة الأدبية

بين البلاد العربية

كنت دعوت في البريد الأدبي « للرسالة » الأديب اللبناني « إلياس أبو شبكة »^(١) إلى رسم لوحة أدبية للشاعر اللبناني المعاصر نجيب إليان بمناسبة نجاحه في مسابقة الشعر العربي التي نظمتها محطة الإذاعة اللاسلكية في لندن . ولقد خصصت بالدعوة الأستاذ « أبو شبكة » ، لأنني أعرف من ريشته الفاتنة في تصوير الأشخاص ما لا يعرف الكثيرون . ولأن هذه المعرفة جاءتني من طريق كتاب له عنوانه « الرسوم » صور فيه طائفة من أدباء لبنان تصويراً يبرز التفاصيل على أصولها ويخرج الدقائق إخراجاً لا يخطئ ، كما لا تخطئ العدسة الطيبة في إخراج التفاصيل .

وما عرفت « أبا شبكة » معرفة الجسم ولا مراًى العين ، ولكنني عرفته من كتابه « الرسوم » ومن ديوانه « أفاعى الفردوس » الذي تفضل فأهداه إلى بتوقيعه الكريم في سنة ١٩٣٨ . ومن حينها انعقد بيننا ود روحى أكدته قرائتى له ومتابعى لآثاره في صحف لبنان التي تحملها الأقدار السعيدة إلى .

وما كنت أظن وأنا أقترح عليه هذا المقترح أن في صدره أموراً طوى كشحه على مستكناتها ، وأن في نفسه كلاماً يريد أن يقوله ؛ فإذا به في العدد ٢٩٠ من مجلة « الجمهور » اللبنانية يرد على رداً ينكر به قديم ودنا ويتجاهل « سماحه الله » (محمد عبد الغنى حسن موقع القسم الأول من البريد الأدبي في الجزء الـ ٥٢٨ من الرسالة) .

(١) ظهر كتابنا هذا والأديب إلياس أبو شبكة في ذمة الله

وإذا كان الأخ قد نسي ودى فأنا أجد من حقي عليه أن أذكره بتقديمه
 الإهداء التي كتبها على « أفاعي الفردوس » ، حين أهداه إلى من لبنان البعيد .
 وفي رد أبي شبكة عتاب على « الرسالة » خاصة وعلى الصحافة المصرية عامة .
 ولكنه عتاب شديد مشى فيه صاحبه إلينا بالسيوف كما مشى الشاعر قبله إلى
 الملك الجبار حين صعر خده ! ولكنه عتاب حبيب إلى النفس ، لأنه عتاب
 الأخ الكريم والجار الجنب ، ولأن فيه صراحة لأنه من شاعر لا يحب
 الكذب ولا المواربة ، ولا يخرج الخبيث من القصد بصورة المجاملة أو
 اللياقة أو المرونة .

ويظهر لي أن العدسة القوية التي اختص الله بها الشاعر « إلياس أبو شبكة »
 قد استحوالت إلى عدسة مكبرة مهولة تخلق القباب من الجبوب ، وتجعل الجبال
 من النمال ! فهو يثور على صحافة مصر في غير موضع للثورة ، ويعتب على
 أدباء مصر في غير محل للعتاب ، ويتهم الصحافة المصرية إجمالاً بإهمال الحركة
 الأدبية القائمة فيما يلي مصر من الأقطار العربية وخاصة لبنان . ويتهم الأستاذ
 أحمد حسن الزيات ، ولكنه يحله ويقدر أدبه ويعرف مكانته هو وجميع
 أدباء لبنان (الذين لا يعرفون للأدب حدوداً ولا يقررون له مناطق) .
 وبالطبع لم تمر كلمة الأستاذ أبي شبكة من غير رد أو تعقيب . وكان
 أسبقنا إلى الكلام الأستاذ إبراهيم المازني في عدد من « البلاغ » .
 وثني الدكتور زكي مبارك بكلمة في العدد ٥٣٣ من « الرسالة » اعترف فيها
 بأغفال المجلات المصرية للحركة الأدبية في لبنان وغيره من الأقطار العربية ،
 ولكنه رد ذلك إلى إغفال عام للحركة الأدبية في مصر ذاتها . وهذا كلام
 في جملته صحيح ولكنه يحتاج إلى بعض التصحيح فالحركة الأدبية في
 الأقطار العربية عامة ملحوظة في بعض الصحف المصرية « كالمقتطف » التي
 لا ينفي عنها مصريتها كونها من أصل لبناني . وعجيب جداً أن يتكلم الأستاذ

في « لبنانية المقتطف » ، أو « مصرية الرسالة » ، وهو كلام لاجب أن نسمعه
لأنه يوجع الآذان والقلوب ، ولأنه يفسح المجال لمن يقولون : هذا مصري ،
وهذا لبناني .

وكيف يا أخي أغفلت « الرسالة » وغيرها أدبكم ، وأهملت إنتاجكم ،
وهي تنشر لشكري فيصل ، وسعيد الأفغاني ، وعلى الطنطاوي ، وطه الراوي ،
وأنستاس السكرملی ، وأحمد صافي النجفي ، وحسين الطريفي ، وكوركيس
عواد ، وميخائيل عواد ، وفدوى عبد الفتاح طوقان ، ووداد سكاكيني
وغيرهم . وكلهم من الأقطار العربية القربية والنائية ؟

ثم ما وجه عتابك أنت بالذات يا أخي وأنت لا تكتب حتى في المجلات
المصرية التي يديرها ويشرف عليها — كما تزعم — لبنانيون كالمقتطف والهلل ؟
فما رأينا لك فيها من زمان بعيد أثر ، على حين قرأنا لأخينا اللبناني الأستاذ
كرم ملحم كرم أخيراً قصة لبنانية رائعة في إحدى المجلات الشهرية .

والحق أنك يا أخي أصابك نوع من ركود الإنتاج الأدبي فأخذت
تتجنى على صحافة مصر البريئة وأدبائها البرآء . ودليلي على ذلك أن صحافة مصر
الأدبية في هذا العام مملوءة بأسماء ميخائيل نعيمة اللبناني ، وعدنان مردم بك ،
وعبد الوهاب الأمين البغدادي ، ونقولا زيادة الفلسطيني ، وأسعد طلس
السوري ، وصلاح لبكي ، وزكي المحاسني ، و خليل هندواي ، وصلاح الدين
المنجد ، وراجي الراعي وغيرهم من أدباء الأقطار العربية . فأين اسمك بينهم ،
وأين جورك في ميادينهم ؟

أما كتبكم يا أخي فلم تغفلها الصحافة المصرية جملة ولا الأدباء المصريون
وإلا كنت في هذه الدعوى متجنياً علينا كعادتك . ففي مجلة مصرية شهرية
باب المكتبة العربية لا يفلت منه كتاب عربي خرج في سوق الأدب مهما
ضؤل حجمه ! حتى ديوان « خيوط الغمام » الذي نظمها الشاعر السوري الرقيق

عبد الله يوركي حلاق ، وكتب مقدمته صديقك كرم ملحم كرم . ولست أريد هنا أن أشق عليك وعلى القراء بالحديث عن نفسى وعن مجلة مصرية شهرية . فما أسمح أن يتحدث المرء عن نفسه !

على أن الصحف المصرية نفسها قد تسكت عما يصدر فى مصر نفسها من الآثار الأدبية — كما قال ذلك بحق الدكتور زكى مبارك فى رده عليك — فإن سلسلة «اقرأ» لم تظفر من مجلة «الرسالة» بكلمة واحدة على طرافة ما كتب فى تلك وجدته . وخاصة تلك «الدجاجة الفلسطينية» لآسحاق الحسينى ، التى وجدنا من حديثها عقلا وعجبا .

وقد تلاحظ يا أخى رواج كتبنا فى بلادكم وإملاق بلدنا من كتبكم . وتلك حقيقة يا أخى لا نحمل نحن مسئولية التقصير فيها . ولعل لتجار الكتب وموزعيها يدأ فى ذلك ، فنحن قد تحفى أقدامنا فى السؤال عن كتاب طبع فى الشام فلا نجد له أثرأ ، حتى كتب الكبار من أدبائكم . فأن «ملوك العرب» لأمين الريحانى لم أجده فى مصر ، إلى أن أهدانيه مؤلفه ، وحمله صديقى المرحوم ألفريد الجليل . وكانت لنا مشاركة فى مجلة المكشوف — حيا الله صاحبها — فلم نستطع الحصول عليها من مكتبات مصر ؛ حتى كتابك «الرسوم» لم أقع على نسخة منه إلا بقدر سعيد ... ولولا هداياكم المتوالية ما عمرت مكتباتنا الخاصة بكتبكم التى نقرؤها ونجلها .

على أن المعاتبة بينكم لا تحملك يا أخى على أن تسكت عن دعوة دعوتك إليها فى موضوع الكتابة عن الشاعر اللبناني نجيب إيلان ، فاكتب عنه فى أية صحيفة شئت ، وارسمه فى أية مجلة أردت ، ولكن لا تنس أنك أسأت الظن «بالرسالة» التى لا ينكر فضلها فى تمكين الروابط العربية إلا غير منصف . وحاشاك أن تكونه . والسلام .

الفهم — رس

صفحة

بين الأدب والنقد

٦	.	.	.	.	تاريخ النقائض في الشعر العربي
١٣	.	.	.	.	الفن ومذاهبه في النثر العربي
٢٥	.	.	.	.	في الأدب المصري
٢٩	.	.	.	.	الدراسة الأدبية
٣٧	.	.	.	.	مرحلة وأجواء

في عالم التربية والفكر

٤٢	.	.	.	.	آراء وأحاديث في التربية والتعليم
٤٨	.	.	.	.	الوعي القومي
٥٣	.	.	.	.	التعليم في رأى القابسي
٥٨	.	.	.	.	السلام الاجتماعي
٦٥	.	.	.	.	الفكر العربي بين ماضيه وحاضره

مع الفلاسفة

٦٨	.	.	.	.	التصوف وفريد الدين العطار
٧٩	.	.	.	.	شخصيات ومذاهب فلسفية
٨٣	.	.	.	.	محمد عبده

مع بعض المخطوطات المنشورة

٨٨	.	.	.	.	الفاائق في غريب الحديث
١٠٢	.	.	.	.	الرسالة للأمام الشافعى

صفحة

١٠٨	تصويبات في الذخيرة لابن بسام
١١٣	قوانين الدواوين
١٢٠	المفضليات
١٢٤	ديوان منسوب للمعري

في دنيا التراجم

١٣٠	كتب التراجم
١٣٦	أبو تمام الطائي — حياته وشعره
١٤٥	أبو عبادة البحتري
١٥٨	أبو نواس

مع بعض الدواوين

١٦٢	أنات حائرة
١٦٥	خيوط الغمام
١٦٨	مواعيد

مطالعات شتى

١٧٢	معارك العرب في الشرق والغرب
١٧٥	الصين وفنون الإسلام
١٨٠	بوشكين أمير شعراء روسيا
١٨٥	أساطير الحب والجمال عند الأغريق
١٨٩	مرايا الناس
١٩٢	أربعة كتب
١٩٧	طرائف عن الكتب والكتابات
٢٠١	الأخوة الأدبية بين البلاد العربية



808.H342bA:c.1

حسن : محمد عبد الغنى

بين السطور

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01030393

American University of Beirut



General Library

808
Ha381bA
c. 1